

السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٣/١٣/٩



كتاب الامام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام والامور المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندري

(المتوفى بعد سنة ١١٧٥ هـ / ١٢٧٢ م)

الجزء الثالث

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية

من مخطوطة برلين و بانسكى پور

طبع

بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

محامد على العباسى مدير دائرة المعارف العثمانية

طبع في المطبعه المملكه العربيه السعوديه في الرياض

١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

جميع الحقوق محفوظة
لدائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد
All copyrights reserved.



محتويات الجزء الثالث

من

كتاب الإمام

موضوع	(محتويات)	صفحة
مقدمة الجزئين الثالث و الرابع		الف
تكلمه مرثاة ابن أبى حجلة		١
السبع الموبقات		١٤
الستر على العباد		١٨
فائدة فى الذنوب		٢٣
الكبائر و الصغائر		٣٦
باب الزنا و الشهادة على الزانى		٤٢
عود لى مرثاة ابن أبى حجلة		٥٩
بطرس لو سنيان و الثغور الإسلامية		٦٤
فى الرباط و المراقبة		٦٨
إشاعة الحملة على الإسكندرية سنة ٧٦٨		٧٨
مقتل بطرس لو سنيان سنة ٧٧٢		٨٢
الأشرف شعبان و حراسة الإسكندرية و دمياط		٨٦
عود لى مرثاة ابن أبى حجلة		٨٨
مدينة صبة و خليجها		٨٩

الف

كتاب الإمام	(محتويات)	ج- ٣
موضوع	صفحة	
البحر الاعظم و كروية الارض	٩١	
الجواهر الاربعة و الاغذية	٩٣	
جزر بحر الروم	٩٨	
الحمام : منافعها و مضارها	١٠٠	
ذكر الاغذية	١٠٢	
عود إلى الحمام	١٠٤	
عود إلى جزر بحر الروم	١٠٨	
وصف مدينة رومة	١٠٩	
مدينة قرقشونة	١١٢	
قصة خرقة بنت النعمان	١	
الحرير و أسماؤه و أنواعه	١١٣	
تكملة قصة خرقة بنت النعمان	١١٤	
ذكر بعض مدن الفرنج	١١٨	
جزيرة صقلية	١٢٠	
قسطنطين بن هرقل	١٢١	
عبد العزيز بن موسى بن نصير و ابنة لذريق	١٢٣	
مدن بحر الروم و جزره	١٢٥	
قصة يوشع بن نون	١٣٠	
قصص عن زيد بن أسلم و أبي بكر الصديق	١٣٣	
ب	لمع	

كتاب الإسلام	(محتويات)	ج-٢
موضوع	صفحة	
لمع من أخبار أبي بكر و عمر و عثمان	١٤١	
عمر بن الخطاب و مناقبه	١٤٣	
خلافة عثمان بن عفان	١٤٦	
خلافة علي بن أبي طالب	١٥٣	
قصص و أخبار من عهد معاوية و يزيد	١٥٦	
موت الحسن بن علي	١٦٩	
في القطب و الاقطاب	١٧٠	
عود إلى جزر بحر الروم	١٧٢	
عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة	١٧٤	
السلطان ابو الحسن علي بن يعقوب المربى	١٧٧	
ذكر الزراعة	١٨٢	
حروب أبي الحسن المربى و ابن الاحمر في الاندلس	١٨٣	
تبادل الرسائل و القذف بين الفتنش و المربى	١٩٢	
غزوة الاندلس سنة ٧٦٨	١٩٨	
عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة	٢٠٢	
قصة ملك قار و المهرج	٢٠٣	
عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة و عودة الأمير صلاح الدين		
ابن عرام سنة ٧٦٨	٢٠٨	
قصة يعقوب اليهودى مع بطرس لوسنيان	٢١٠	

كتاب الإمام	(محتويات)	ج- ٣
موضوع		صفحة
دخول يلغا الحاسكى الإسكندرية		٢١٢
ولاية صلاح الدين بن عرام الثانية للاسكندرية		٢١٣
المرائى الأخرى للاسكندرية		٢١٦
عمارة الاسطول المصرى لغزو القرعج		٢٣١
حدود مصر		٢٣٤
فى مصر النيل		٢٣٥
فى الخمسة الأتهار		٢٤٦
القيوم		٢٤٨
فروع النيل		٢٤٩
فيضان النيل و المقياس		٢٥١
النهر فى اللغة و الأدب		٢٥٤
السلك المعروف بالأوال		٢٥٨
التمساح و آفته		٢٥٩
اتهار الأندلس		٢٦٠
الماء العذب و الملح		٢٦٢
ما قيل فى بحر النيل و أصوله		٢٦٣
عود لفيضان النيل و المقياس		٢٦٦
فى القناة		٢٦٨
حكاية جعفر البرمكى و الرشيد		٢٧٣

ج - ٣	(محتويات)	كتاب الإمام
صفحة	موضوع	
٢٧٤	مصر في القرآن و ذكر من دخلها من الانبياء و العلماء و خيرهم	
٢٧٧	قصة قتل ابن البقي سنة ٧١٨	
١	من اخبار مصر	
٢٨٠	من دخل مصر من الانبياء	
٥	من دخل مصر من الصحابة	
٢٨١	من دخل مصر من العلماء	
٢٨٣	من دخل مصر من الاولياء	
٢٨٥	احمد بن طولون و القاضي بكار	
٢٨٨	من دخل مصر من الادباء	
٢٩٠	الاصمعي و الاعرابي و خبر اظليتين	
٢٩٣	أصح من سبحان وائل و أعيان من باقل	
٢٩٤	من أخبار الامويين الاول و بعض الصحابة	
٢٩٩	خبر مسكين الدارمي	
٣٠١	من أخبار القاضي التتوخي	
٣٠٤	من دخل مصر من الحكماء	
٣٠٥	بعض ما قيل في الجن و الشياطين	
٣٠٨	خبر أمية بن أبي الصلت و الساحرة	
٣١١	سقراط و أرسطاطاليس و بطليموس من حكماء مصر	
٣١٣	ما أحدثه حكماء الهند	

كتاب الإمام	(محتويات)	ج - ٢
موضوع		صفحة
قارون و هامان و بخت نصر		٣١٦
الإسكندر و تأسيس الإسكندرية		٣٢١
أخبار أهل الفترة		٣٢٧
ذكر ملوك مصر الكفار		٣٣٢
خبر فوح و الطوفان		٣٣٦
ملوك مصر القبط		٣٤٠
فضائل مصر		٣٤١
عن الإبل		٣٤٨
شجرة اللسان		٣٥٥
من عجائب مصر العرس		٣٦٠
بجستان براق العجم		»
أول من ابتدع المساحة		٣٦١
من عيوب مصر		٣٦٢
عن الأهوية		»
وصف مصر مدينة فرعون		٣٦٣
في موضوع اللعة		٣٦٤
صفة دار فرعون و الحرمين		٣٦٧



مقدمة

الجزئين الثالث والرابع

إنه لمن دواعي غبطتنا أن نتقدم اليوم من جديد إلى قراء العربية بالجزئين الثالث والرابع من «كتاب الإمام» لأبي القاسم بن محمد النورى الإسكندرانى . وبتام نشر هذين الجزئين نختتم النص الكامل ٥ لمخطوطة برلين ، و نبتدئ مرحلة جديدة شاقة تشتمل على القسم الأخير من مخطوطة بانكى بور ، و يليها النص الكامل المطول لمخطوطة القاهرة التى لا بد من تقييم محتوياتها عن كثب لمعرفة صلاحية نشرها فى مجلدين آخرين على وجه التقريب .

- ١٠ و يلاحظ من الاطلاع على نص الجزئين الحاضرين طيبة الاستمرار فى مادتهما مع الجزئين السابقين . وقد كان فى نيتنا طبع الجزئين الثالث والرابع فى مجلد واحد ، إلا أن طول النص بالإضافات التى أخذناها عن مخطوطة بانكى بور جعل ذلك أمرا صعب المثال مما حدا بنا إلى تقسيمهما . و سيجد القارئ أن موضوع حملة القبارصة على الإسكندرية سنة ١٣٦٥ لا زال يشغل النورى فى تعليقاته على بقية ١٥ مرثاة ابن أبى حجلة ، وكذلك فى عدد من الحكايات التى سردها عن مغامرات بعض الأسرى من أهل الإسكندرية - من عاد منهم و من لم يعد عن قرر البقاء فى أرض النصرانية كقصة البنت المرتنة .

هذا وقد تصدى المؤلف أيضا في هذين المجلدين إلى عدد من الشئون التي يمكن الإمام بها من جدول محتويات الكتاب . وقد أخذنا هذه في كل من الجزئين عن رهوس موضوعات الأبواب المختلفة التي اضطررنا إلى صياغتها من عندياتنا بين قوسين وأدخلناها في صلب ه الكتاب لتيسير مطالعته على القارى والباحث ، إذ أن المؤلف كتب ه في أسلوب مرسل دون تبويب أو ترتيب ، فأصبح نشر النص على غرار الأصل جملة واحدة غير مستساغ .

و تتضح طبيعة المتفرقات التي جمع التورى شتاتها إلى جانب تاريخ الإسكندرية من نظرة طابرة على أبواب الكتاب ، من ذلك البيانات ١٠ الجغرافية عن الجزر والأنهار والمدن في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وقد حاولنا تحقيق بعضها ولم نحاول تحقيق البعض الآخر مما لم يرد في كتب الجغرافيا عند العرب ، وهى مادة جديدة تركناها لعلباء الجغرافيا التاريخية من المستشرقين . ومنها أيضا لمع في الأفلاك وكروية الأرض والاهوية وفلسفة الروح والفس والعقل وظائف أعضاء الجسم ١٥ البشرى والأغذية وغير ذلك . ثم إنه وصل في معرض الكلام إلى الشرق الأقصى وملكه المهرج وبلاد القمار ، ويقال إنها بمنطقه اندونيسيا في عصرنا هذا .

ولكن صلب المتن بقى قائما على موضوعين رئيسيين آخرين : أحدهما الأدب بما فيه الأدب الرفيع والأدب الشعبي الذي لم يتورع

الكاتب فيه من ذكر حكايات قد يبعثها الذوق الحاضر لرقاعتها ولكنها بدون شك ناحية من نواحي الأدب التي أقبل الذوق الوسيط عليها . والشق الثاني هو التاريخي ، وربما كان أهم ما جاء فيه يتعلق ببعض حروب المسلمين في الأندلس والمغرب ، كما خصص المؤلف قسما من جهده لتاريخ مصر الإسلامية ولا سيما الجزء المعاصر لحياته النورية وفيه بذلها قيمتها الخاصة ، خذ مثلا عهد الناصر محمد من سلاطين المماليك ، وقد أورد فيه المؤلف المرسوم السلطاني الفريد الذي نقله المؤلف برمته في كتابه .

وفي كل هذه الحالات قننا بمقارنة دقيقة بين مخطوطي برلين و بانكي بور ، يرى القارئ ثمرتها بجلاء في الحواشي الضافية ، كما أننا ملأنا الثغرات التي سقط منها الكلام في مخطوطة برلين ووردت في بانكي بور والعكس بالعكس حتى يكتمل النص الأصلي بقدر الاستطاعة . وقد حاولنا الاحتفاظ بأسلوب المؤلف في جملة مع الاكتفاء بتصحيح الأغلط النحوية الظاهرة وجماء الكلمات حتى تصبح صيغة الكتاب مقبولة ، ولكتنا أثبتنا في الحواشي جميع تلك المفارقات كاملة . كذلك أدرجنا بالحواشي ما أمكن تحقيقه من الأماكن وتواريخ الخلفاء والسلاطين والملوك ومكان الآيات القرآنية في سورها من المصحف .

ورجأؤنا أن نكون بذلك قد قننا بواجبنا لأدبي في صدد

نشر كتاب الإمام ، لأول مرة بكل ما حوى من الموضوعات ٢٠

المتفرقة في مختلف فنون الأدب و التاريخ و العلوم و القصص و غير ذلك مما جمعه مؤلفه من بطون الأصول الخطية العديدة التي كان ينسخها لاغتناء تجار الإسكندرية . مضافا إليها المعلومات الفريدة التي سردها عن الإسكندرية كشاهد عيان في القرن الرابع عشر الميلادي .

عزير سوريال عطيه

أستاذ التاريخ و اللغات بجامعة يوتا
بالولايات المتحدة الأمريكية

حيدرآباد الدكن بالهند
٣ نوفمبر سنة ١٩٧٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[تكملة مرثاة ابن أبي حجلة^١]

[١٥٤ : الف] 'نود إلى مرثية ابن أبي حجلة المتقدم آياتها في وقعة^٢ الإسكندرية :

وحقك هذا من ذنوب تقدمت^٣ وقرع كؤوس الخمر في الثغر بالثغر
في هذا الليث توييح^٤ وقريع لأهل الإسكندرية ، وتعرض لذكر
عيوبهم ، كأنه يقول : ما جرى عليهم الذي جرى من القتل والنهب
والأسر إلا بذنوبهم التي اقترفوها فيما تقدم من الفساد وشرب الخمر
وغيرهما . ومن أين علم ابن أبي حجلة أن لكل أهل الإسكندرية ذنوبا
وعيوباً ؟ بل لا تخلو^٥ الإسكندرية من الصالحين المتقين السليمين بما

(١) هذا العنوان غير موجود في الأصل ، وأضفناه كما أضفنا غيره من عناوين
الفصول المختلفة أيضاً بين قوسين فيما يلي من هذا الكتاب ، وذلك لتيسر متابعة
محتوياته حيث أن الأصول وردت مرسة في الجملة بغير قيوب .

(٢-٢) الجملة في بن [١٠٣ : ب] : طرّج إلى ما قاله ابن حجلة في مرثيته
لأهل .

(٣) في الأصل وبن : ذنوب وعيوب . وقد صححت قلم آخر في بر .

(٤) في بن : لا يخلو .

ذكره في هذا البيت . قال الله تعالى في خطابه لإبليس اللعين^١ : " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الضالين " . فماده ٣ الصالحون المتقون المخلصون ٢ عاقبهم الله من الذنوب لحفظه لهم . وكان يفنى لابن أبي حجة الصمت والسكوت^٢ عن هذا البيت سترًا على المسلمين المؤمنين . فالمبتلى بها أمره راجع^٣ إلى الله تعالى ، والله تعالى يعمو أو يفر ، إن ربك واسع المغفرة . ولو قدرنا أن لهم ذنوبًا كما ذكر^٤ فلسان حالهم يقول :

إن يكن^٥ هذا الذنب سابقًا^٦ قد جرى منا بجهل^٧ وغرر
أو يكن منا إساءة^٨ بدت قاله العرش أولى من غفر

(١) قرآن كريم : ١٥ : ٤٢ .

(٢) في الأصل : الضالين . وهي صحيحة في بن .

(٣-٢) في الأصل و بن : الصالحين المتقين المخلصين .

(٤) من بن ، وفي الأصل : السكون .

(٥) سابقة من بن .

(٦-٦) في بن مطبوعة في ترميم الورقة .

(٧) في الأصلين : سابق .

(٨) من بن ، وهي في الأصل : وجهل .

(٩) في الأصل و بن : إساءة - بالناء المفتوحة ، والكلمة مصدر بالناء المربوطة .

فكان ينبغي له الصمت عن 'ذكر هذا البيت':

'في الصمت إلا في الخير'

كن صامتا حتى يقال كأنما زبر الحديد على لسانك^٣ سُئِرْتُ

فاذا دعتك إلى الكلام ضرورة فانطق^٤ بما خير الأمور تيسرت

وكان ينبغي لابن أبي حجلة سد خلل أهل الإسكندرية، لأن هـ

سد خلل المسلمين أحسن من إظهار عيوبهم. قال الحريري^٥ في ملحمة

الإعراب^٥:

وإن تجدد عيا سد الخلالا مجل من لا عيب فيه وعلا

وقال غيره:

لا تكشف عن عيوب الناس ما ستروا فيكشف الله سترا من مساويك^{١٠}

فاذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيك

وقال غيره:

المراء إن كان عاقلا ورعا يمنع عن عيوبنا ورعه

كالليل السقيم يشغله عن وجع الناس كلهم وجهه^٦

(١-١) في بن [١٠٤: الف]: ذلك. وبهامش بر: في الصمت.

(٢-٢) في بن: قال بعضهم في لزوم الصمت إلا في خير.

(٣) في بن: لسانه. وهي جاذبة.

(٤) ساقطة من بن.

(٥-٥) واردة في بن، وساقطة من بر.

(٦-٦) الأبيات كلها ساقطة من بر و واردة في بن وقد أخذناها عن الأخيرة.

وقال غيره:

إن كانت الاعضاء خالفت الذي أمرت به في سالف الأزمان
فسلوا الفؤاد عن الذي أودعتموها فيه من التوحيد والإيمان
تجدوه قد أدّى الأمانة فيها فهبوا له ما حلّ في الأركان
ه ذكر^١ الأستاذ أبو القاسم^٢ القشيري في شرح الاسماء الحسنى له
عن ابن المنكدر قال: قلت في الطواف: اللهم اعصني، وأقسمت
على الله طويلاً، فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: أنت الذي قلت:
اعصني؟ قلت: نعم، فقال^٣: إنه [١٥٤: ب] لا يفعل. فقلت:
لِمَ؟ قال: يريد أن يُعصى حتى ينفر.

١٠ وقال إبراهيم بن أدهم الكبير المقدار، صاحب المقامات والأنوار:
طُففت ذات ليلة بالبيت الحرام، وكانت ليلة ممطرة كثيرة الظلمة،
وقد خلى الطواف وطابت نفسي فوقفت عند الملتزم وقلت: اللهم
اعصني حتى لا أعصيك، فهتف لي هاتف فقال: يا إبراهيم! أنت سألتني
أعصيك وكل عبادي يسألني العصمة، فإذا عصمتهم فعل من أفضل
١٥ ولمن أضر؟

(١) في بن: أودعتمهم.

(٢) في بن: وذكر.

(٣) في بن: القسم.

(٤) في بن: قال.

(٥) في بن: يسئلي.

وذكر أبو طالب المكي في كتاب قوت القلوب له عن سهل بن عبد الله التستري أنه كان يقول: العبد لا بد له من مولاه على كل حال، وأحسن حاله أن يرجع إليه في كل شيء، إذا عصي يقول: يا رب استر علي، فإذا فرغ من معصيته قال: يا رب تب علي، فإذا تاب قال: يا رب ارزقني العصمة. فإذا عمل قال: يا رب تقبل مني. ٥

وقال الجزولي في شرح رسالة ابن أبي زيد في الفقه: ينبغي للإنسان أن يتأول لأخيه المسلم ولا يسيء به الظن. قال الله تعالى: "ان بعض الظن أثم" ٢. ٣ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إياكم وسوء الظن فانه أكذب الحديث" ٤. واعلم أن الإنسان مشتق من الظهور لقوله تعالى: "فان أنتم منهم رشداً" ٥. أي فان ظهر لكم ١٠ منهم، كما سمي الجن جنا لاستتاره. وكما يقال يضرب على يد اليتيم حتى يستقيم. وقيل سمي الإنسان إنساناً لإنسانيته، كما سمي الوحش وحشاً لتوحشه. وقيل مشتق من النسيان لأنه ينسى، وهذه المعاني كلها موجودة في الإنسان - انتهى.

نعود إلى ما جاء في فضل التستر على المؤمن. قال النبي صلى الله عليه ١٥

(١) في بن: للاسأ. وربما كانت النون مطموسة في ترميم الورة.

(٢) قرآن كريم: ٤٩: ١٢.

(٣-٣) في بن: وقال.

(٤) الكلمة ساقطة من بن.

(٥) قرآن كريم: ٤: ٦.

عليه وسلم : « من ستر عورة أخيه ، ستر الله عورته يوم القيامة » .^١ وقال
عمر رضي الله عنه : « لا تظن بأخيك هوماً وأنت تجد له في الخير
مسلكاً » . وقال عليه السلام : « لا تسجل^٢ على أخيك وأنت تجد له وجهاً
تدفع^٣ به عنه » . وإياكم والتعنيف وأنتم تجدون سيلاً إلى التخصيف ،
ه فان الله عز وجل قد أعذر إلى خلقه^٤ وبالغ في العذر^٥ . وقال بعض
أهل الصلاح : لا ينبغي للمؤمن أن يسي^٦ الظن بأخيه حتى يلمس له
سجين مخرجاً . وقيل لبعضهم : رأيت الذي يشهد فيه بالصلاح على باب
الحياة واقفاً . فقال^٧ : لعله وقف لأمر معروف ونهى عن منكر .
ف قيل له ليس هو بمن نصب لذلك . فقال : ولعل له غريماً تحصر بها .
١٠ ف قيل له : ليس هو بمن يدين الناس . فقال^٨ : لو كان يدينهم لما اشتد
طلبه ، وإنما تجددت عليه المداينة فتدم عليها فجند في طلب الغريم .

(١) في بن : القيمة .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : لا لا نجل .

(٤) في بن : قد وقع .

(٥) في بن : خالقه .

(٦) زيد في بن : وقال أبو الحسن الغربي : أرحم خليلي عباد الله للجنة والنظر
إليهم عين القطف والشقة... وأرحم صغيرهم وراع في كل خلق الله من خلقه .

(٧-٧) الجملة مطموسة في بن في الترميم .

(٨) في بن [١٠٤ : ب] : قل .

(٩) في بن : وقال .

وقيل [١٥٥: الف] لبعضهم فلان' الذي يُشْهَد فيه بالصلاح رأيته اليوم
يقبل امرأة في الطريق ، فقال: و لعلها من ذوات عارمه . فقيل له:
٢ ومن لا ٢ أهلها حتى يجمعهما سار؟ فقال له: و لعله حلف لا يجمعهما
سار . وقيل لآخر مثله فقال: و لعلها زوجته . فقيل له: ٢ ومن لا ٢
كان في سرة؟ فقال: ٢. و لعل السفر؟ أجمله عن ذلك ٤ . قال بعض
الاشياخ: فاذا كان السر مستنوبا و فعله مشروعا و مندوبا معمولا به
عند العلماء* خاصة، في حق المسلمين عامة ، فانه يتأكد في أهل الفضل
المشهود لهم بالخير في الاصل . و لقد أحسن القائل في وصف أحوال
الإخوان:

فمن كان ذا عذر قبلت اعتذاره و من لا له عذر فندى له عذر ١٠
عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يامعشر
من أسلم بلسانه ولم يفيض الإيمان إلى قلبه الا تعيروا المسلمين و لا تسبوا
و لا تتبعوا عوراتهم» . و من يبيع الله عورته يفضحه^١ و لو في
(١) من بن ، و في بر: فلا .

(٢-٢) كذا في الأصل ، وربما كان الأصوب قراءتها: و هلا .
(٣-٣) في بن: و لعله للسفر ثم .

(٤) زيد في بن: قيل له: ليس هو بمن يداين الناس . فقال: لو كان يداينهم
لما اعتد عليه وإنما تجددت عليه المداينة . متدم بخد في طلب التريم ، و قيل
لبعضهم فلان الذي يشهد فيه بـ و الجملة مكررة و مشطوبة .
(٥) في بن: العقبا .

(٦) زيد هنا في بن: فان من يبيع عورة أخيه المسلم يبيع الله عورته .
(٧) في بن: يفضح .

جوف بيته . وقال أبو سعيد الخزاز : استرارك ليوب^١ الناس ذل لك لأن الله عز وجل ستر عباده بستره الجليل ، فمن تعرض لهتك ستره أذله الله في الدنيا ومقته في الآخرة .

واعلم أن الشفقة على خلق الله تعظيم^٢ لامر الله^٣ ، والستر عليهم ه يرتجى به^٤ من الله^٥ ، لأن من ستر ستر ومن قهر قهر . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يستر عبداً إلا ستره الله يوم القيامة » . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان في^٦ بنى إسرائيل رجلان متآخيان^٧ أحدهما مجتهد والآخر مذنب ، فكان المجتهد يقول للمذنب : اقصر ، فيقول المذنب : خلّنى وربى ! فوجده المجتهد يوماً على عظمة ، فقال : اقصر ، فقال المذنب : خلّى ورنى^٨ أبعثت على رقيبا ؟ فقال : والله لا يدخلتك^٩ الله الجنة ! فبعث الله ملك الموت قبض أرواحهما . فقال الله عز وجل للمذنب : ادخل الجنة برحمتي^{١٠} ، وقال للمجتهد : أكنت قادرا على ما فى يدي ؟ أستطيع أن تمنع عبدى رحمتى ؟ أدخلوه النار .

(١) فى بن . يعيوب

(٢) فى بن : تعظيما .

(٣) زيد فى بن : تعالى .

(٤) زيد فى بن : الستر .

(٥) فى هامش يروى : نكته .

(٦) فى الأصلين . متواخيان .

(٧) فى بن : يدخلك .

(٨) ساقطة من بن .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لقد تكلم بكلمة أوقعت دنياه
وآخرته » ذكره البراز في سنته .

قال الشيخ أبو العباس المرسى في قوله سبحانه : " يوم تشقق السماء
بالغمام و نزل الملائكة تزيلاً للملك يومئذ الحق للرحمن " . ولم يقل :
للقهار ولا للعزیز ، فلو قال : للقهار أو العزیز ، لم يخلق ذلك العذاب ٣ و انقطرت
قلوبهم فرق بهم أن قال : " الملك يومئذ الحق للرحمن " . وهكذا قوله :
" يوم نحشر المتقين الى الرحمن [١٥٥ : ب] وفداً " ، ولم يقل : للقهار
ولا للعزیز ، لأن الحشر و هول المطلع شديد فلا طغفهم في رحمانيته
في ظهور سلطان قهره ٦ . و قال أبو الحسن الشاذلي : من آمن بالله آمن
من كل شيء ، و من أسلم لله قل ما يصيبه ، و إن عصاه اعتذر إليه ، و إن
اعتذر إليه قبل عذره . و قال ابن عمر ٧ : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول « إن الله يدق المؤمن فيضع كنفه عليه و ستره . فيقول : أتعرف
ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أي رب ! حتى يقرره بذنوبه و رأى نفسه أنه

(١) زيد في بن : و تعالى . قرآن كريم : ٢٥ : ٢٥ و ٢٦ .

(٢) « الرحمن » ساقطة من بن .

(٣) في بن : العباد .

(٤) قرآن كريم : ١٩ : ٨٥ .

(٥ - ٥) في بن : برحمانيته .

(٦) في بن : قدرته .

(٧) زيد هنا في بن : رضي الله تعالى عنهما .

هـ هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يستر عبداً إلا ستره الله يوم القيامة» .
 قال بعضهم: كنا قعوداً^١ ينفذاد عند^٢ معروف الكرخي على الدجلة إذ مر بنا قوم أحداث في زورق يضربون بالدفوف ويشربون ويلعبون، ه فقالوا-^٣ لمعرف: ما تراهم يصنون الله مجاهرين؟ فهل لا دعوت عليهم؟ فرفع يده وقال: إلهي! كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة. فقالوا: أيها الشيخ! سالتك أن تدعو عليهم فدعوت لهم. قال: إذا فرحتهم في الآخرة تاب عليهم.

قال: بعض العارفين: إذا كان الحق سيجله حرس السماء بالكواكب والشهب كيلا يسترق^٤ السمع منها، فقلب المؤمن أولى بذلك لقول الله سبحانه^٥ فيها يحكيه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم تسغى^٦ أرضي

(١) ساقطة من برو واردة في بن.

(٢) في بن [١٠٥: الف]: القيمة.

(٣) في الأصلين: قعود.

(٤) في بن: مع.

(٥) في بن [١٠٥: الف]: هيل.

(٦) في بن: قال.

(٧) في بن: فرحوا.

(٨) في بن: يسترهوا.

(٩-٩) في بن: لقوله.

(١٠) زيد في بن: وتعالى.

(١١) في الأصل: لم يسغى.

ولا سماء، ويسمى قلب عبدی المؤمن . فانظر رحمك الله هذا الامر الاكبر
الذى أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه المرتبة أهلاً . ولقد قال الشيخ
أبو الحسن الشافلي: لو كشف عن^١ نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء
والارض، فإظنك بنور المؤمن المطيع؟ قال بعض المريدين: صليت
خلف شيخى صلاة، فشهدت ما أهر عقى، وذلك أنى شهدت^٢ بدن^٣ هـ
الشيخ والانوار قد ملائته، وأنبت الانوار من وجوده حتى لم أستطع النظر
إليه . فلو كشف الحق عن مشرقات أنوار قلوب^٤ أوليائه لاطوى نور الشمس
والقمر من أنوارهم، الشمس يطرى^٥ عليها الكسوف والغروب، وأنوار
قلوب أوليائه لا كسوف لها ولا غروب . ولذلك قال قائلهم:

إن شمس النهار تغرب في الليل وشمس القلوب ليس تغيب ١٠

وكان كل خليفة ولي الخلافة بغداد يرفع إليه حُرَّاس الدروب
في كل صيحة يوم ما يكون عندهم من أحوال الناس الصالحة والطالحة .
فلما ولي الظاهر^٦ الخلافة أمر^٦ بتعطيل ذلك^٦، وقال: أى فائدة في كشف
أحوال الناس وإظهار أسرارهم؟ [١٥٦ : الف] قهيل له: إن ترك ذلك

٥٧٣٦٦

(١) في بن: من .

(٢) في بن: وجدت .

(٣) في بن: قلبى .

(٤) يطرى في الأصل بمعنى يطرأ وهي كذلك في بن .

(٥) الخليفة العباسي وحكمه ٦٢٢ - ٦٢٣ هـ / ١٢٢٥ - ١٢٢٦ م .

(٦ - ٦) في بن: بتعطيل ذلك كله .

يفسد الرعية ، فقال : نحن ' ندعو ' الله لهم أن يصلحهم . وأرسل إلى القاضي عماد الدين عبد القادر الحنبلي بمشرة آلاف دينار يقضى بها ديون من في مهبوه الذين لا يجدون وقاء ، وفرّق في العلماء بقية المائة ألف دينار . ولامه بعض الناس في هذه الأفعال فقال : نحن فتحنا هـ المكان بعد الحصر فذروني ٣ أعمل صالحا ، فكم مقدار ما بقيت أعيش . وكان يبيع بالخلافة وعمره يومئذ اثنان وخمسون عاما ٤ فلم يَلْ . الخلافة من بنى العباس أسنّ منه . ولم تزل سيرته محمودة حتى توفي رحمه الله تعالى ، ورخصت الأسعار في أيامه بعد غلاء كبير ٥ ، أكلت الناس فيه الكلاب يلاذ الجزيرة والموصل ٦ ، فزال ذلك عن الناس ١٠ بخلافه . فانظر إلى حسن خلق هذا الخليفة كيف كان يحسن إلى الناس ويستترهم ١ يرجو بذلك الشفقة على عباد الله والرحمة لهم ، لأن من رحم العباد رحمه ٨ رب العباد ٨ . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الراحمون

(١) في بن : ان نحن .

(٢) في الأصل « ندع » مصححة بقلم آخر إلى « ندعو » وهو الصواب ،

وفي بن : ندعوا .

(٣) في بن : فدعوني .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في الأصلين : يلى .

(٦) في بن : كثير .

(٧) في بن : وبالموصل .

(٨-٨) في بن : الله تعالى .

يرحمهم الرحمن' . قال عامر الدوسي : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل عليه كساء وفي يده شيء قد اتف عليه فقال : يا رسول الله ! مررت بغيضة ثمر فسمعت أصوات أفراخ ، فأخذتهن فوضعتن في كسائي ، فجاءت أمهن فاستدارت على رأسي ، فكشفت لها عنهن ، فوقعت عليهن ، فلففتهن في كسائي فهم هؤلاء مني . فقال : هـ
ضعن . فوضعتن وأبت أمهن إلا لزومهن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون لرحمة أم الأفراخ بفراخها ؟ قالوا : نعم ! قال : والذي نفسي بيده ٢ الله أرحم بعباده ٣ من أم الأفراخ بأفراخها ، أرجع حتى تضعن من حيث أخذتهن وأمن معهن . فرجع بهن كما أمره .
ذكره أبو داود في سننه ، فانظر إلى شفقة النبي صلى الله عليه وسلم في ١٠ قوله : أرجع بهن حتى تضعن من حيث أخذتهن .

ومن علامات خلق النبي صلى الله عليه وسلم لإشفاقه أيضا على أهل الكبار من أمته وأمره لإمام بالستر . فقال : من بُلي بهذه القاذورة فليستر - بنى المحرمات . وعتب النبي صلى الله عليه وسلم على ماعز لما حرصه على إشهار نفسه عنده باقراره بالزنا ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم ١٥ عليه وسلم برجمه بعد أن قال له : أباك جنون ؟ قال : لا . ولا خلاف

(١) زيد في بن : تبارك وتعالى أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

(٢) في الأصلين : يرسل .

(٣-٢) في بن : لله بعباده أرحم .

(٤) في بن : ففراخها . وبقية الجملة مطموسة في ترميم الوردية .

من العلماء في إلزام المقر ما أقرب ما لم يمنع من ذلك مانع . ولما قيل
لنبي صلى الله عليه وسلم : إن ماعزاً قرّ من الرحم فتبعناه إلى أن قتلناه
بالحجارة ، فقال : ' اهل لا آيتيموى به ؟ ' وأمر أمته أن [١٥٦ : ب]
يستغفروا للحدود ويترحموا عليه لما حنقوا عليه وسبوه ولعنوه^٩ .
ه فقال : قولوا : اللهم اغفر له وارحمه ! وقال لهم في رجل كان ٣ كثيراً
ما يؤتى به سكراناً بعد تحريم الخمر ، فلعنوه مرة ، فقال : لا تلعنوه فانه
يحب الله ورسوله . فأظهر لهم خيئة قلبه لما رصوه بظاهر فعله لأن
حبة من مواجيد القلوب خير من قراريط من أحوال النفوس ، وحبّة
من أحوال النفوس تنشأ عن أصل معرقة من القلوب خير من قراريط
١٠ من أعمال الأبدان ، وإعما ينظر الله إلى القلوب ، وخبياً رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعوته ليقى له عمل يعمل به يوم القيامة لم يبق^٩
لأدى سواء . فقال : اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة .

[السبع الموبقات -^٩]

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا
١٥ السبع الموبقات^٦ . قيل : يا رسول الله^٢ ! وما هن ؟ قال : الشرك بالله

(١-١) لعنه و هلا .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) في الأصلين : لم يبق .

(٥) العنوان غير وارد بالنص وقد أخذناه عن الهامش .

(٦) في الهامش : السبع الموبقات .

(٧) في الأصلين : يرسل .

و السحر و قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق و أكل مال اليتيم و أكل الربا و التولي يوم الزحف و قذف المحصنات - خرجه مسلم - و عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكبائر قال: الشرك بالله و عقوق الوالدين و قتل النفس و قول الزور .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن من الكبائر شتم الرجل والديه . قالوا: يا رسول الله أهل يشتم الرجل والديه . قال: نعم، يسبّ أب الرجل فيسبّ أباه و يسبّ أمه فيسبّ أمه . و سيأتي ما قيل في الكبائر والصغار إن شاء الله تعالى . و قال: النبي صلى الله عليه وسلم: شعاقي لأهل الكبائر من أمتي .

يحكي أن أعرابيا أتى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فأناخ راحلته ١٠ باب المسجد و جاء بين يدي قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال منشدا:
يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطلاب من طيهن القاع والآكم

(١) في الأصل: و قتل . صححت إلى « وقذف » و في هامشي: صواب

« وقذف » . وهي كذا في بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين: رسول .

(٤) في بن: قال .

(٥) في بن: حكى .

(٦-٧) الجملة مكررة في بن .

نفسى القداء لقر أن ساكنه فيه المغاف وفيه الجود والكرم
ثم التفت الاعرابى لقرأ الذى صلى الله عليه وسلم فقال : بأى أنت
وأى يا رسول الله ؟ خصك الله يا رسول الله وأزول عليك كتابا
جمع لك فيه خير الأولين والآخرين ، قُلْتَ عر الله فسمعنا قولك ،
وَوَعَيْتَ عر الله فوعينا عنك ، وكان بما أنزل عليك "ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا
رحيما" وقد أتيتك تأثبا من ذنى مستشعما بك إلى ربى فتودى من
القر أن الله قد غفر لك .

قال المؤلف نصر الله له ولوالديه وللأقرين إليه وجميع المسلمين :
١٠. وقتت على آيات فيها زيادة على بيقى الاعرابى [١٥٧ : الف] فأحببت
ذكرها هنا - ٩ - وهى .

أقول والدمع من عيو بنسجم لما رأيت جدار القبر يستسلم
والناس من حوله بالك ومنقطع من المهابة أوداع فملتزم
٦. فما تمالك أن ناديت من حرق^٦ فى الصدر^٧ كادت بها^٨ الأجساد تضطرم

(١) فى بن : إلى قبر .

(٢) فى الأصلين : يرسل .

(٣) قرآن كريم : ٤ : ٦٤ .

(٤-٤) فى بن : رحمه الله .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) مطموس فى الترميم .

(٧-٧) فى بن : والصدر .

(٨) فى بن : به .

- ياخير من دفت بالقاع أعظمه فطاب من طيهن القاع والأك
أنت النبي الذي ترعى شفاعته عند الصراط إذا ما زلت القدم
الولاء ما خلقت شمس ولا قر ولا نجوم ولا لوح ولا قلم
هسى العداة لقر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
وفيه شمس التقى^٢ والدين قد غربت من بعد ما أشرقت من نوره الظلم
حاشا^٣ لوجهك أن يلى وقد هديت في الشرق والغرب من أنواره الأمم
ثمن رأياه قرا إن باطنه لروضة من رياض الخلد^٤ تنقسم
طافت به من حوالى^٥ ملائكة تنشاه في كل ما يوم وتزدحم
لو كنت أبصرته حيا لقلت له لا تمس^٦ إلا على خدى لك القدم
لقت ربك والإسلام صارمه ماض وقد كاد^٧ جيش الكفر يصطدم
أقممت فيه مقام المرسلين إلى أن عز^٨ فهو على الأيادي يحتم

(١-١) هذا البيت ساقط من بر ووارد في بن [١٠٦: الف]

(٢) في بن: القاع .

(٣) في بن: حاشى .

(٤) في بر: الخلد . وصحته في بن .

(٥) في الأصلين : حواله . ولا يستقيم بها الوزن .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) في الأصل : لا يمشى - كذا .

(٨) في بن : كان .

او يروى أن أعرابيا سمع ابن عباس وهو يقرأ "وكتبتم على شفا حفرة من النار فاقتدكم منها" . قال الأعرابي ٣ : والله ما أقدم منها وهو يريد أن يعيد فيها . قال ابن عباس : خذوها من غير قبه - انتهى .

(الستر على العباد)

٥

نعود إلى ذكر فضل الله وكرمه وستره على عباده المؤمنين فله

(١) زيد هنا في بن : واعلم أن الله تعالى أمر عدا صلى الله عليه وسلم بالاستغفار للذين "واستغفر لذنبيك وللمؤمنين وللمؤمنات" (قرآن كريم: ٤٧: ١٩) والفاسق مؤمن بدليل قوله تعالى "وإن طائفتين من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوها يبينها فإن شت أحدُهما على الأخرى فقاتلوا التي تبنى" (قرآن كريم: ٤٩: ٩) حماء مؤمنا حال كونه باغيا وقال "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتل" (قرآن كريم: ٢: ١٧٨) حماء مؤمنا حال ما قتل الناس بغير الحق فثبت بهذا أن الله تعالى أمر عدا أن يستغفر للفاسيق فإذا طلب عدا صلى الله عليه وسلم المغفرة للفاسيق فلا بد أن يريد ألا يردم الله عن مطلوبه بل يقبل شفاعته وإذا ثبت أن عدا صلى الله عليه وسلم يريد ذلك وجب أن يرضيه الله تعالى بذلك كقوله تعالى "ولسوف يعطيك ربك فترضى" (قرآن كريم: ٩٣: ٥) ويلزم من مجموع ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقبل شفاعته عدا صلى الله عليه وسلم في حق الفاسق .

(٢) قرآن كريم: ٣: ١٠٣ .

(٣) في بن : للأعرابي .

(٤) في بن : قد هم .

الحمد والشكر دائماً على إنعامه^١ اعلم أن معنى^٢ الحمد في اللغة الثناء على
 المحمود بحمیل صفاته و أفعاله^٣ والشكر والثناء^٤ على^٥ إنعامه . فكل شكر
 حمد ولا ینعکس . وقيل إن كل واحد منهما عام من وجه ، خاص
 من وجه ، لأن الحمد لا يكون إلا باللسان ، والشكر يكون^٦ باللسان وغيره .
 قال الشاعر :

٥

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
 والحمد والمدح معنهما واحد وإن افرقا من جهة أن الحمد
 خاص بأولى العلم ، والمدح يكون لأولى العلم وغيره^٧ . انتهى^٨ .
 نعود إلى ذكر كرم الله وستره على عباده . ورد في الحديث

(١) زيد هنا في بن : فلنذكر ما قيل في الحمد والشكر .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : وفعاله .

(٤) كذا في بن وفي الأصل : عليه .

(٥) زيد في بن : قال بعض العلماء في صدر كتابه : الحمد لله بلا ابتداء الأخير
 بلا انتهاء ، أحمد على حله بعد عليه ، وعلى عفو بعد قدرته ، وصلى الله على محمد النبي
 للكرم والشافع القرب ، الذي بحث آخره واصطفى أولا ، وجعلنا من أهل
 طاعته وعقنا بشفاعته .

عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
 « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم و ألقى بقوم يذنبون و يستغفرون فيغفر لهم » .
 و حرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 [١٥٧ : ب] « و الذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم و لجاء
 ٥ قوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » . و قال صلى الله عليه وسلم : « ما أصرَّ
 من استغفر و لو عاد في اليوم سبعين مرة » . و قال صلى الله عليه وسلم :
 « من أذنب ذنبا فلم أن الله قد اطلع عليه عُفْرُ له و إن لم يستغفر » .
 و قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٢ : العجب بمن يهلك و معه النجاة .
 قيل : و ما هو ؟ قال : الاستغفار . و قال الفضيل بن عياض : قول العبد :
 ١٠ أستغفر الله - يعني أقلني ٣ . و لما دخلوا إخوة يوسف عليه و هو قاعد
 على سرير ملكه و على وجهه البرقع المكلل بأنواع الجواهر - ففرغهم

(١) زيد بن : رضي الله عنه .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) تلى الجملة هنا في بن زيادة من ٤٦ سطرا [١٠٦ : ب ١٠٧ : الف] كلماتها الأولى
 مطموسة في الترميم و البقية تتكون من عبارات فيها ما هو مفهوم و ما هو
 غير مفهوم ، و الظاهر أن ناسخ بر تجاوز عنها و أسقطها لهذا السبب و لقلة
 فائدها في خدمة النص ، و قد اقتضينا أثره في ذلك فرصتنا من هذا المامش .

(٤) في بن الواو ساقطة من « و لا » .

(٥) في بن : التول و الجواهر .

ولم يعرفوه فقرأ صواحه الذهب^١ وأدناه إلى أذنه لسمع طنينه ،
 فقال لهم : إن هذا الصواح يخبرني أنكم طرحتم أخاكم في البئر ثم أخرجتموه
 وبعتموه بثمن بخس . فأنكروه وقالوا : لم فعل ، لعل الملك قد سمع
 غلطاً . فأخرج الكتاب الذي كتبوه يوم يمه لمالك بن دعر وفيه
 خطوطهم ، فقال : هذا الكتاب وجدته في خزاتي وهو مكتوب
 بالعبرانية ، فقرأوه^٢ وفروه لنا . قال فأخذه يهودا ونظر فيه ،
 ثم قال لآخيه روييل : أتعرف خطك ؟ فلما نظر إليه روييل داخلهم
 المزعج وبهت أبصارهم وخرست ألسنتهم ، فقال لهم يوسف : ما لكم
 صمتتم ؟ قالوا : أيها الملك نعم^٣ هذا كتاب كتبناه^٤ لعبد بعناه كان لنا . قال :
 فأخبروني ما فيه . فقرأ عليه روييل . فقال يوسف : ويحكم لقد جئتم^٥
 بما لا يليق بكم ، فلو كنتم كما تقولون ما ارتكبتم مع^٦ صغيركم
 ما ارتكبتم . ثم قرأ الصواح^٧ وأصغى بأذنه إليه وقال : إن الصواح

(١) زيد في بن : الذي يكل به البر في زمن الغلا فأدناه .

(٢) ساطعة من بن .

(٣) في الأصلين : فافروه .

(٤-٤) في بن : نعم أيها الملك .

(٥) في الأصلين : من .

(٦-٦) الجملة مطموسة بالترميم في بن .

أخبرني^١ أن أخاكم الذي تزعمون موته حتى^٢ وأنه سيرجع فيخبر الناس بصنيعكم معه . ثم قرء الصواع وقال : يقول هذا إنكم أذنبتم هذا الذنب وما زلتهم مصرين لم تتوبوا ولم تستغفروا الله لأصيرنكم نكالا للعالمين ، ولا ذيقنكم وبال أمركم ، على^٣ بالحدادين^٤ حتى أقطع أيديكم وأرجلكم .

هـ فلما سمعوا ذلك ضاق ذرعهم وأسألوا دموعهم وخضعوا . فقال لهم يهودا : ما حذرتكم منه يوم فعلتم بأخيكم ما فعلتم وقلت لكم إن الله عز وجل بالمرصاد لا يترك ظلم العباد ، فكيف يكون حال ذلك للشيوخ الضعيف يعقوب إذا وصله فقد أولاده جميعا وقد أصابه ما أصابه لفقد واحد ، فتوبوا إلى الله واعترفوا بين يديه وأشهدوا هذا الملك الجليل قدره على أنفسكم بالتوبة ، فلعن الله تعالى أن يحصل لكم في قلبه شفقة ورحمة ، فإن الله أرحم الراحمين . قال : فبكوا جميعا وقالوا : اعترفنا بذنوبنا وتبنا عما كسبت أيدينا ، ولئن من^٥ الله [١٥٨ : الف] علينا برجوع^٦ أخينا يوسف إلينا لتكونن ترابا لقدميه ، ولتقبلن رأسه ويديه . فلما سمع يوسف مقالهم وتوبتهم ورأى حالهم فاضت عيناه بالدموع

١٥ وقال : إلى كم أطلق^٧ قلوب إخوتي ؟ إنما كانت حرصى على توبتهم

(١) في بن [١٠٧ : ب] : يخبرني .

(٢) في الأصلين : حما . وهي مصححة في برقلم آخر .

(٣) في بن : بالحدادين .

(٤-٥) في بن : يوسف أخينا .

(٥) في : انقلبك .

و زوال الإصرار من قلوبهم ، فأمر أن يخلى سبلهم و ينصرفوا^١
 لايهم .^٢ فلنذكر الآن أدعية المذنبين المتضرعين لرب العالمين^٣ ،
 و كان بعضهم يقول في دعائه : اللهم ارحم من هنك الستور ، و طاق
 الفجور ، و لم يراقبك^٤ يا غفور . و^٥ قال بعضهم^٦ في المعنى :

و كم زلت و لم أذكرك في ذللي و أنت يا سيدي في الغيب تذكري^٧
 و أكشف الستر جهلا عند مصيقي و أنت يا سيدي بالغيب تسترني^٨
^٩ قال النبي صلى الله عليه و سلم : « لا يرين أحدكم من أخيه عورة
 فيسترها إلا دخل الجنة » . و قال صلى الله عليه و سلم : « أمتي هذه أمة
 مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة » . و قال عقبه بن طامر : سمعت
 رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : « من وجد مسلما على عورة فستره^{١٠}
 فكأنما أحيا مؤودة من قبرها ، و من ستر مسلما ستره الله^{١١} » .

فائدة [في الذنوب -٧]

تشتمل على أنس لقلوب المؤمنين المذنبين ، و هي أن زليخا لما^{١٢}

(١) في بن : ينصرفون

(٢-٣) ساقطة من بر و واردة في بن و يكتمل بها السياق .

(٣) في بن : براصيك .

(٤-٤) في بن : و كان بعضهم يقول .

(٥) في بن : فله

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) ما بين الحাজرين في العنوان غير وارد بالأصل و أضفناه .

(٨) ساقطة من بن .

علت أن النسوة يلبنها في حبها ليوسف عليه السلام احتالت لعذرهما ،
 فابتلى بها إياهم لما كانت منها حتى صيرن^١ لسان الملامة لسان العذر
 والسلامة . فكذلك الله عز وجل لما لامت الملائكة نبي آدم بالمعاصي
 وترك الأمر وارتكاب النهي^٢ ، وركب فيها الشهوات وإنهاء زمام
 ه الآفات ، فرجوا عن لسان الملامة إلى لسان الاستغفار . قال الله عز وجل^٣
 في صفهم^٤ : « يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا » .
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن الله عز وجل^٥ : « يا عبادي !
 إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم » .
^٦ عن أبي هريرة^٧ عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه
 ١٠ عز وجل أنه قال : أذنبت عبد^٨ ذنبا فقال : أي رب اغفر لي ذنبي .
 فقال الله تعالى : « أذنبت عبدى ذنبا فلم أن له ربا يغفر الذنوب »^٩ و يأخذ

(١) في الأصلين : صرن .

(٢) في بن : النهي .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : وصفهم .

(٥) قرآن كريم : ٤٠ : ٧ ويلاحظ أن « ويؤمنون به » ساقطة من الآية
 في الأصلين .

(٦) في المامش : فوائد في الذنوب . وهي بقلم غير قلم المخطوط .

(٧-٧) في بن : روى عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٨) في بن : عبدى .

(٩) في بن : الذنوب .

بالذنب^١. ثم أذن فقال مثل ذلك، ثم أذن فقال مثل ذلك، ثم أذن فقال مثل ذلك. فقال الله تعالى: «اعمل ما شئت فقد غفرت لك»، - أخرجه البخاري ومسلم.

قال الشيخ أبو العباس المرسى هذا الحديث عظيم الموقع في الدين، كثير النور والبركات، فتح باب الرجاء بسبل الخيرات، شرح الله تعالى بنوره الصدور، ويشرب وجوده الأمور، وسكن به قلوب الخائفين، [١٥٨: ب] وجبر به كسر المذنبين، وسهل به الأسباب، وفتح به بوسع فضله وعظيم مغفرته كل باب، فله الحمد على ما وفق وهدى، ومنح وأعطى.

اعلم أن هذا العبد صار قلبه لا يآلف الذنب ولا يقر عليه، بل كل ١٠ 'ما قوى قلبه بنار المعصية ٢ و طود التوبة ولم يتخذ أصلاً في قلبه عقدة ٣ إصرار، وهذا حال من أحوال التوبة شريف، وسلوك لاهل الآذواق لطيف، وهو حال حسن للتائبين، ومنزل معلوم للسالكين. فلما علم الله تعالى أن هذا عبد ليس له على ذنب قرار بل كل ما لم يذنب طواد^٤ التوبة والاستغفار، قيل له: «اعمل ما شئت»^٥ إذا، فانك إن قضى عليك ١٥

(١) في بن: الذنوب.

(٢-٢) مطموسة في بن في الترميم.

(٣) ساقطة من بن.

(٤) في بن [١٥٨: الف]: عاد.

(٥-٥) في بن: فاني لن أقضى.

بذنب ثبت إلينا ، و طودت أبواب كرمنا ، و نحن أيضا أجرينا عوائد
 كرمنا أن من تاب إلينا قبلناه ، و إن عاود ٢ في كل يوم مائة مرة جبرناه ،
 فأنت كلما وقعت في الذنوب و العصيان ، و راجعت التوبة فتحنا لك
 باب العفو و الغفران ، يا عبادي ! إنكم تخطئون بالليل و النهار ، و أنا أغفر
 ٥ الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، فاعمل ما شئت ! فانك بتوبتنا يُفتح
 لك باب المتاب ، و أنا بسابق كرمي و عظيم إحساني أغفر لمن تاب و أتاب .
 و قال أنس بن مالك ٣ : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم
 يقول : قال الله تعالى : يا ابن آدم ! إنك ما دعوتني و رجوتني إلا ٤ غفرت
 لك على ما كان منك ، و لا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء
 ١٠ . ثم استعرتني . غفرت لك يا ابن آدم ! لو أتيتني بتراب الأرض خطايا
 . ثم لقيتني . لا تشرك بي شيئا لأتيتك بسترها مغفرة . ١ قال الشيخ
 محي الدين النووي ٦ معناه ما يقارب ملامها .

قال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قاعدا
 متفكرا في ذنوب أمته و خطاياهم فأشعق لذلك . فبينما هو كذلك إذا

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : عاد .

(٣) زيد في بن : رضى الله عنه .

(٤) ساقطة من برو واردة في بن .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) ساقطة من برو واردة في بن .

بطائر منظوم بالدرد والياقوت من أحسن الطير خلقا قد وقع بين يديه ،
 فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجب من حسنه و صورته ، ثم
 أن الطائر طار حتى أتى البحر و كشف الله عن صرعه حتى رآه ، فأتى
 جزيرة من الرمل صار يأخذ بمنقاره من الرمل ويرى في البحر زماما ،
 ثم طار حتى وقف بين يديه و قال : السلام عليك يا رسول الله ! قال : ه
 و عليك السلام أيها الطائر ! قال : ألا تسألني : من أين جئت ؟ ولِمَ فعلت
 ما فعلت ؟ قال : رأيته ٢ وصلت البحر و رأيته تأخذ الرمل بمنقارك
 و ترميه في البحر . قال : نعم ، أردت أن أورد جرى ماء البحر و أطمس
 أمواجه بما أخذته من الرمل ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 فقال : ما [أضحكك - ٣] ؟ ضحك الله سنك ! قال : عجبت من حسن عقلك وكيف
 تقدر [١٥٩ : الف] أن ترد ماء البحر بما تأخذه بمنقارك من الرمل . فقال :
 إن الله عز وجل ضربني لك مثلا حين علم ما خطر بالك ، و الذي بينك
 بالحق ! ما ذوب أمتك في سعة صفوه إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره و يجعله
 في البحر - ذكره صاحب كتاب الغرائب و إظهار العجائب .

و قال الفضيل بن عياض : يقول الله تعالى في بعض كتبه المنزلة ١٥
 « بشر المذنبين أنهم إن تابوا قبلت توبتهم ، و حذر الصديقين إن وضعت

(١) في بن : أتى .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) زيد من بن ، و قد سقط من بر .

عليهم عدّتهم . قال^١ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : من ذكر خطيئة ألتم^٢ بها فوجل منها قلبه مُحييتُ عنه في أم الكتاب . قال الله تعالى : " وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى^٣ " . قال الشيخ أحمد بن الجُلا : لو أن رجلا عصى الله^٤ عز وجل^٥ بين يدي بمصيبة ثم استتر عني بهذا العمود - وكان مستندا إلى عمود - لم يسعني فيما بيني وبين الله^٦ أن أعتقد فيه ما رأيته عليه لأنه يمكن أن يكون تاب حين استتر عني . والتوبة رجوع إلى الله^٧ بعد الفرار منه . ويروي أن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النظرة ، فأظهره إلى يوم القيامة^٨ ، قال : لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح^٩ ، قال الله سبحانه وتعالى : « وعزّي

(١) في بن : وقال .

(٢) في بن : ألتم .

(٣) قرآن كريم ٢٠ : ٨٢ .

(٤) زيد في بن : تعالى .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : القيمة .

(٧) وردت العبارة من هنا إلى « فلا يزال » في بن مع بعض الزيادة على الوجه التالي : وقال : « لم يترك لأغوينهم إجمعين ، استثنى المخلصين عن إغوائه وإضلاله فوسوسة إبليس وصلت إلى المخلصين وإبراهيم وإسحاق ويعقوب كانوا من المخلصين . قال الله تعالى « إنا اخلاصهم بخالصة ذكرى الدار » [قرآن كريم ٣٨ : ٤٦ - وفي الأصل بإض] . وقال في حق يوسف إنه من عبادة المخلصين . قال الذين =

و جلالى لا... عنه التوبة ما لم يغرر . و قال ابن الجوزى : إن الرجل ليحدث الذنب فلا يزال نادما حتى يموت فيدخل الجنة ، فيقول إبليس : يا ليتنى لم أوقعه فيه ! و قال سفيان بن عيينة : لا يمنن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله قد استجاب دعاء شر الخلق و هو إبليس ، قال : رب فانظرنى الى يوم يعثون ، قال : فانك من المنظرين ، و قال سفيان ه ابن عيينة أيضا : يستحب للرجل ٢ أن يقول فى دعائه : اللهم استرني بسترِكَ الجليل . و معنى الستر الجليل ' أنه يستر على عبده فى الدنيا و يستر عليه فى الآخرة من قبل أن يوبخه عليه . و قيل الصبر ' الجليل الذى لا جزع فيه - - - - - لم يتبعوا إبليس هم الأنبياء عليهم السلام [هنا كلمات مطموسة بالترسيم فى آخر ١٠٨ : الف ثم يستأنف الكلام بعدئذ فى ١٠٨ : ب] فصل هذا على أن الأنبياء ما أدنوا البتة وأجمعت الأمة على أنهم معصومون من الكفر والبدعة . قال ابن الجوزى : يحدث الذنب لا يزال - الخ .

(١) يباح بالأصل (بر) و لعل العبارة كما فى بن (انظر الحاشية السابقة) .

(٢) و امل صحته كما فى بن « ابن الجوزى » (انظر حاشية سابقة) .

(٣-٣) وردت العبارة فى بن كما على : و قال سفيان بن عيينة (!) لا يمنن أحدكم الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله قد استجاب من شر خلقه و هو إبليس . قال رب : فانظرنى ان يوم يعثون . قال فانك من المنظرين . و قال سفيان

ابن عيينة (!) أيضا للرجل أن يقول - الخ .

(٤) فى المامش بالأصل (بر) : الستر الجليل .

(٥) فى بن : الستر .

ولا شكوى لأحد من المخلوقين ١ . وقال الله تعالى : " إن الله يحب المتوازين
ويحب المتطهرين ٢ " . معناه إذا تاب عليه قبل الموت فلم تضره
الذنوب الماضية وإن كثرت ، كما لا يضره ٣ الكفر بعد الإيمان . وقال
النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب ، والتائب
من الذنب كمن لا ذنب له » . وقال عليه السلام : « الشاب التائب حبيب الله ،
والشيخ التائب عتيق الله ، ويكون من الذين يدل الله سيئاتهم حسنات » .

(١) زيد في بن : وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يرين أحدكم من أخيه عورة
فيسترها إلا دخل الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم : هذه أمة مرحومة لا عذاب
عليها في الآخرة . وقال ابن الجوزي : يا أرباب القلوب القلـ...
..... روح الله يا أهل الخوف من عواقب الذنوب ، طيبوا قلوبكم إنه من صل
منكم شرا له ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم ، حلوا عقدة ،
الإصرار بظل خيط القول (كذا) قلوبكم على أصل الطهارة ، وأنما تشبهت به
أنجاس المعاصي فأصابها رشاش فأصلوها يسير من مياه العيون وقد طهرت - انتهى .
قوله تعالى : إنه يحب المتوازين - الخ .

(٢) قرآن كريم : ٢ : ٢٢٢ .

(٣) في بن : بضر .

(٤) في الأصل (بر) كلمة « قيل » رائدة ولا وجود لها في بن وهو الصواب .

(٥) زيد في بن ، قال الأصمعي : سمعت أعرابيا وهو يطوف بالبيت يقول : اللهم
اغمرني ما سلف من ذنوبي فإن عدت لشيء منها فعد عليّ برحمتك فإني أهل
ذلك يا إلهي .

واعلم أن التوبة فرض على جميع المؤمنين لقوله تعالى: "وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون" [١٥٩: ب] وقوله تعالى: "ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون" [٢: و] صحيح مسلم عن الأغر المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس! توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة. وفيه أيضا عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دونه مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبته فطلبها حتى أدركه المطر ثم قال: أرحع إلى مكان الذي كنت فيه فأنام فيه حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه، فأقته أشد فرحا ١٠ بتوبة العبد المؤمن من هذا براحتته. وفي البخاري عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأستغفر الله

(۱) قرآن کریم : ۲۴ : ۳۱ .

(۲) قرآن کریم : ۴۹ : ۱۱ •

(۳) زید فی بن : جمیعاً .

(۲) فین : دوہ .

(هـ) في الأصل (ر): ذهب. وصوابها في بن كذا.

(٦) ساقطة من بن .

(۷) زید و بن : رضى الله تعالى عنه .

وأتوب إليه^١ في اليوم^١ أكثر من سبعين مرة^٢ . لا يقال : إن كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته كان بسبب^٣ ذنب ، فإن عصمته من ذلك لا شك فيها ولا ريب . وقد اختلف المحققون من العلماء الأخيار في سبب كثرة الاستغفار ، فقال بعضهم : سببه فترات وغفلات^٤ عن الذكر ه الذي كان دأبه ، فكان^٥ يستغفر الله تعالى من تلك الغفلات . هذا ضعيف ، وإما كان صلى الله عليه وسلم يترقى في كل يوم فيجد^٦ . 'مضى تقصيرا' منه^٧ وليس ذلك تقصيرا^٨ منه صلى الله عليه وسلم . وقيل كان سببه^٩ ما اطلع عليه من أحوال أمته وما يكون بعده ، فكان يستغفر الله تعالى لهم . وقيل كانت دعواته وتوحيده^{١٠} وتضرعاته واستغفاره قياما^{١١} بحق وظيفة^{١٢} العبودية واعترافا بحق الربوبية لتقتدى به أمته صلى الله عليه وسلم ، فاستجاب دعوتهم وتقبل توبتهم . وقيل كان ذلك لمعنى لطيف أشار إليه بعض الفضلاء وهو استدعاء حجة الله تعالى .

(١ - ١) ساقطة من بن .

(٢) في بر : سبب . وصوابه كذا في بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤ - ٤) العبارة ساقطة من بن « وطلوها بياض في الأصل (بر) .

(٥) في الأصل (بر) : سبب . وصحته في بن .

(٦) في بن : والتوخذ .

(٧) في بن : قائما .

(٨) في بن : وضيعة .

قال الله تعالى: "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" . قال بعض المشايخ: غفلتك عن التوبة لذنوب ارتكبتها شر من ارتكابه، ومن اخترته المنية قبل التوبة فأمره إلى الله، فإن ربك لذنو مغفرة للناس على ظلمهم .
 ٣ وقيل التوبة تأتي ٣ ما لم يبلغ الروح الحلقوم، فإذا مات غلق عليه .
 باب التوبة، حيث لا ينفع نفساً إيمانها^١ لم تكن آمنت من قبل .
 أو كسبت في إيمانها^٢ خيراً . وقال الفضيل^٣ بن عياض: لما عاين قوم يونس العذاب قام رجل منهم فقال: اللهم! إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل فأقل بنا ما أنت أهل ولا تفعل بنا ما نحن أهل . فكشف الله [١٦٠ : الف] عنهم العذاب . قال الله تعالى:
 والاقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا .
 ١٠ ومتنهم إلى حين^٤ . قال ابن صلاء الله في كتاب لطائف المنن إن الفضيل بن عياض كان يقطع الطريق فخرج ذات يوم وإذا هو بقوم سفارة ومهم ملح فسمع بعضهم يقول: جدوا السير لئلا يلحقنا الفضيل

(١) قرآن كريم: ٢ : ٢٢٢ .

(٢) في بن: لأن الله تعالى يحب للمتطهرين .

(٣-٢) في بن: ووقت التوبة يأتي .

(٤-٤) في بن: أغلق .

(٥) في الأصلين: نفس .

(٦) الكتاب هنا يقتبس من القرآن الكريم: ٦ : ١٥٨ .

(٧-٧) مطموسة في بن .

(٨) قرآن كريم: ١٠ : ٩٨ .

ابن عياض فيأخذ ما معنا ، فاقتم الفضيل لذلك و تفكر وقال : تخافى الخلق بهذا الخوف العظيم ! فتقدم إليهم وسلم عليهم وقال لهم وهم لا يعرفونه : تكونون الليلة عندي وأنتم آمنون من الفضيل . قال : ففرحوا واستبشروا وذهبوا معه ، فأنزلهم و خرج يطلب علقا فسمع ه قارئاً يقرأ "الم يا من الذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ؟" . فصاح الفضيل وخرق ثيابه وقال : بلى قد آن قد آن ! وكان هذا أصل توبته . وصار من الفضيل ما صار من العلم والزهد والورع والآخر منه ، و مناقبه مشهورة . وسأذكر شرح حاله فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

١٠ و يروى عن عبد الله بن سلام قال : لا أحدثكم بشيء إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل . إن العبد إذا عمل ذنباً ثم ندم عليه طرقة عين سقط عنه أسرع من طرقة عين . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أذنب العبد ذنباً فعلم أن له ريباً يأخذ بالذنب ويغفر الذنب يقول الله تعالى : يا عبدي ! اصمل ما شئت فقد غفرت لك .

(١) في بن : تكونوا .

(٢) قرآن كريم ٥٧ : ١٦ .

(٣) في بن : وسيأتي .

(٤) في بن : ألا .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) من بن ، وهي ساقطة من بر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أصر من استغفر و لو عاد في اليوم سبعين مرة » . وفي سنن أبي داود و ابن ماجه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق ^١ فرجا و من كل هم ^٢ مخرجا و رزقه من حيث لا يحتسب » .

٥

(١) في بن : هم .

(٢) في بن : ضيق .

(٣) زيد في بن : [١٠٩ : الف - ب] : وقال الله تعالى : « و من يعمل سوء او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيا » و من يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه (قرآن كريم ٤ : ١١١) و الاستغفار طلب الغفرة و طلب المغفرة ليس نفس التوبة فصرح سبحانه و تعالى في تلك الآية بأنه سواء تاب أو لم يقب فاذا استغفر غفرله و لم يقل في جانب العصية و من يكسب اثما فانه يجد الله مغفلا معذبا معاقبا بل قال فانما يكسبه على نفسه ، فدللت هذه التنبهات على أن جانب الحسنه راجع عند الله تعالى (كلمات مطموسه بالتوميم) احسنتم لافسكم و ان اساتم فلها فكأنه تعالى بالغ في إظهار أهاليه الحسنه (زعيم بأخو الصفحه انطمس به آخر السطور م قلاه في ١٠٩ : ب ما يلي) إساءه لم يذكرها إلا مرة واحدة و كل ذلك يدل على أن جانب الحسنات راجع و قوله تعالى : « من جاء بالحسنه فله عشر امثالها و من جاء بالسئته فلا يجزى إلا مثلها » (قرآن كريم ٦ : ١٦٠) ثم إنه تعالى زاد على العشره فقال : « كمثل حبه انبئت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبه » ثم زاد عليه « و اقله يضاعف لمن يشاء » . و أما جانب السيئه فقال : « من جاء بالسئته فلا يجزى إلا مثلها » و هذا تنبيه على أن جانب الحسنه راجع على جانب السيئه .

و كان بعضهم يقول في دعائه : اللهم ! لا تجعلني من أشقياء خلقك
المسدين عدك ، ولا أتحيب الراجين إليك ، ولا أحرّم الآملين
لرحمتك . قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي : الناس على ثلاثة أقسام :
قوم غلبت حسناتهم سيئاتهم فهم في الجنة قطعا ، وقوم تساوت حسناتهم
هـ وسيئاتهم فلا يدخلون النار قطعا . وقوم غلبت سيئاتهم حسناتهم
فلا يدخلون في النار قطعا . قال الشيخ أبو محمد المرجاني : يحشر الناس
يوم القيامة على قسمين : مؤمن وكافر ، الكافر إلى النار ، والمؤمن
ينقسم قسمين : مُصَرٍّ وغير مُصَرٍّ . فالغير مُصَرٍّ : مصر إلى الجنة ، والمصر
ينقسم قسمين : مصر على الصغائر ، ومصر على الكبائر ؛ فالمصر على
١٠ [١٦٠ : ب] الصغائر إلى الجنة ، والمصر على الكبائر ينقسم على
قسمين : فاعل بها مادم عليها إلى الجنة ، والغير مادم عليها أمره إلى الله
تعالى يفعل به ما يشاء وهو أرحم الراحمين .

[الكبائر والصغائر - ']

و سأذكر أيضا ما قيل في الكبائر والصغائر ' إن شاء الله تعالى ' .
١٥ اعلم أن الكبائر الشرك بالله تعالى والإلحاد والدعة وقتل النفس بغير

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) العنوان غير وارد بالنص على ما ذكرناه في الحاشية الأولى من هذا
الجزء وأحده عن الهامش .

(٣) في الهامش : مطلب في معرفة الكبائر وعدمهم . وفي بن : فلذكر الآن
ما قيل - الخ .

(٤-٤) ساقطة من بن .

حق والزنا والواط وقذف المحصنات والمحصنين بالزنا وحقوق الوالدين
المسلمين بقول أو فعل والقرار من الزحف رجل من رجلين في الحرب
وأكل مال اليتيم ظلماً وشهادة الزور وأكل شهر^٢ رمضان عامداً
ومقاطعة الرِّحْم واليمين الفاجرة : أخذ أموال الناس^٣ من أى حيلة
كان ومن سرق في ميزان أو قصص في كيل^٤ أو ميزان^٥ وتقديم الصلاة^٥
بغير أوقاتها وضرب المسلم بغير حق^٦ وشم أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم متعمداً^٧ وتقديم على بن أبي طالب على أبي بكر وعمر وعثمان
رضي الله عنهم ومن كذب على النبي صلى الله عليه وسلم متعمداً وكتمان
الشهادة من غير عذر وأخذ الرشوة والقيادة^٨ بين الرجال والنساء والسعاية
عند الظالم والسحر ومنع الزكاة وترك الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر مع القدرة والوقعة في أهل العلم وإحراق الحيوان بالنار وامتاع
المرأة من زوجها بلا سبب والكذب والغيبة والنميمة والكبر

(١) في بن : وأكله .

(٢) في بن : أيام .

(٣) ريد في بن : ظلماً .

(٤) في بن : مكيال .

(٥) « أو ميزان » ساقطة من بن .

(٦) في بن : الحق .

(٧) في بن : متعمداً .

(٨) من بن ، وفي بن : القيادة .

والعيب والحقد والحسد والغل والبغى والسرقة والهزؤ والربا
 وشرب الخمر . وقد قيل^١ ليس في المعاصي الفرعية معصية هي أشد من
 معصية الربا . روى أن رجلا رأى سكرانا ينط^٢ في ضياء القمر ويقول :
 آخذك يا قر آخذك يا قر . يكررها ، خلف الرجل حين رآه على هذه
 الحالة أنه لا معصية أشد من شرب الخمر ، ثم أتى مالكا^٣ فسأله عن يمينه
 التي خلفها ، فقال له مالك : أرى أن تحت فاني لم أجد في كتاب الله
 عن رجل أعظم إثما من آكل الربا^٤ . قال الله تعالى " فان لم تفعلوا
 فاذنوا بحرب من الله ورسوله^٥ " ولم يقل ذلك في غيره . عن أنس
 ابن مالك قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم
 شأنه وقال : وإن الدرهم بصيه^٦ الرجل من الربا أعظم عند الله عز وجل
 في الخطيئة من ست^٧ و ثلاثين زنية يزنيها الرجل . وأربا الربا عرض
 الرجل المسلم . وأما الزنا فقال ابن جريح : أخبرني أبو الزبير أن
 عبد الرحمن بن الصامت أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول : جاء الأسلي إلى
 نبي الله صلى الله عليه وسلم فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراما ،

(١) ساقطة من بن .

(٢) زيد في بن : أنه .

(٣) زيد في بن : رضى الله عنه .

(٤) في هامش الأصل : الربا .

(٥) قرآن كريم ٢ : ٢٧٩ .

(٦) في بن : يصيب .

(٧) من بن ، وهي في بن : ستة .

[١٦١: ألف] قال ذلك أربع مرات ، كل ذلك يُعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُنِكَّتْهَا ؟ قال: نعم ، قال: حتى غاب ذلك منك في ذلك كما يغيب المروء في المكحلة أو الرشا في البر؟ قال: نعم ، قال: وهل تدري ما الزنا؟ قال: نعم ، أنيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا ، قال: فإه تريد بهذا القول؟ قال: أن تطهرني ، فأمر به فرُجم . وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه : انظر هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجِمَ الكلب . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما ثم سار حتى مر بجيفة حمار شاتلا رجله فقال : أين فلان وفلان ؟ قالوا : نحن ذا يا رسول الله^٢ قال: أنولا فكلنا من ١٠ حيفة هذا الحمار ! فقالا : يابني الله غفر الله لك ! ومن يأكل من هذا ؟ قال: بما نلتما من عرض أخيكما آتيا شر^٣ من أكل منه ، والذي نفسي بيده ! إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها . رواه أبو داود عن الحسن ابن علي الحلواني . والاسلي المتقدم ذكره هو ماعز بن مالك - انتهى .

* تعود إلى ما قاله أبو صالح عن أبي طالب المكي في الكبائر ١٥

(١) ساقطة من برو واردة في بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في الأصليين : يرسل .

(٤) في بن : أشر .

(٥) من هنا إلى « قال » في بن : فلنذكر الآن ما قيل في الكبائر . وفي =

و الصغار . قال : الكبائر النطق باللسان والإعمال بالجوارح وهما مجتمعان
 في بي آدم أربعة في الرأس وستة في اللسان واثنان في اليدين وأربعة
 في البطن^١ واثنان في الفرج واثنان في الرجلين وواحدة في جميع
 الجسد . أما التي في الرأس فالشرك بالله والإيمان من مكر الله والتقنوط
 ٥ من رحمة الله والإصرار على الذنب : وأما التي في اليدين^٢ فالسرقة
 وقتل النفس التي حرم الله . وأما التي في اللسان فقدف المحسنات وإيمان
 الغموس وشهادة الزور والغيبة والنميمة والسحر . وأما التي في البطن
 فشرب الخمر وأكل الحرام وأكل الربا وأكل أموال اليتامى ظلماً .
 وأما التي في الفرج فالزنا واللواط . وأما التي في الرجلين فالفرار من
 ١٠ الزحف إذا كانوا يمشون عدد المسلمين والمنشئ إلى ما لا يحل . وأما التي
 في جميع الجسد فسقوق الوالدين .

و الصغار^٣ أولها النظر بالمين إلى ما يجوز النظر إليه ، واللس
 باليد ، والغيبة بالمسلمين ، والظن بالسوء ، والحسد ، والكذب ، والضحك
 بلا عجب^٤ ، والأكل^٥ من غير جوع . والكذب الذي ليس فيه

= هامش بر : مطلب الكبائر .

(١) في بن : الباطن .

(٢) قدم فاسخ بن العبارة للصلة باللسان على التي تتعلق باليدين .

(٣) في الهامش : الصغار .

(٤) الأغلب أن صفة الجملة : والضحك بلا سبب .

(٥-٥) في بن : بلا .

ضرر على المسلم ، والسباح ، والغناء ، وقعود الجنب في المسجد بغير عذر ،
ومن هجر أعاه فوق ثلاثة أيام ، والسكوت عند من اغتاب مسلماً ،
والبكاء عند المصيبة ، ولطم [١٦١ : ب] الحدود ، والجلوس في مجلس
الفاسين مؤسأ لهم ، وصلاة النافلة في 'أوقات النهى عنها' ، والشراء والبيع
في المساجد ، وإدخال الصبيان والمجانين في المساجد ، وإضاعة المال ، ه
وإذا صلى يقوم وهم له كارهون ، والمبيت في الصلاة ، وإذا تكلم
والإمام يخطب يوم الجمعة ، وإذا تخطى 'وقاب الناس في المسجد ،
وإلقاء النجاسة على سطح المسجد وعلى طريق المسلمين ، وكشف العورة
في الحمام ، والسجود لغير الله تعالى ٣ ، وإذا نام 'مع ولده فوق سبع
سنين ، وقراءة القرآن 'جنباً أو حائضاً . روى * عن الأوزاعي في ١٠
قول الله عز وجل : " لا ينادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها " . قال
الصغيرة التيسم والكبيرة الفقهة - يعني ٧ أن الفقهة من الكبار - انتهى .

(١ -) في بن : الاوقات المنهية .

(٢) في بن : خطأ .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) زيد في بن : والده .

(٥) في بن : وروى .

(٦) قرآن كريم ١٨ : ٤٩ .

(٧) عبارة « يعني ان الفقهة من الكبار » ساقطة من بن .

(باب الزنا و الشهادة على الزانى)

نعود إلى قول ابن أن حجة أيضا :

وحق هذا من ذنوب تقدمت

الذنوب تشتمل على الزنا وغيره ، فالزنا إذا ثبت بالإقرار و الشهادة
 ٥ أو الحمل حُدد الزانى والزانية ، وإذا لم يثبت بذلك^١ كان على قاذفها
 الحد ، و ما يطلع عليه أربع شهود فى الزنا لا يكون إلا فى غاية
 الظهور ، وهذا أقل^٢ ما يحكى أن زنا يثبت بشهادة أربعة ، وإما الواقع
 ثبوته بالإقرار و الحمل ، وذلك لأن الزنا يلحق العار العظيم بالقبائل
 ٢ وبالغ الشرع فى إخفائه ، فالأدلى^٣ الستر على فاعله .

١٠ قال العلماء : ويستحب للمسافر إذا قرب من وطنه أن يبعث أمامه
 من يخبر أهله بقدمه كيلا يقدم عليهم بقتة هى السنة . واعلم أنه
 من رأى رجلا يزنى بامرأة ورأى ذكره سالكا فى فرجها كالمروء
 فى المكحلة أو كالرشا فى البئر إن شهد بذلك بمفرده حُددَ القذف
 لأنه ربع النصاب ، وكذلك لو شهد بذلك شاهدان^٤ وثلاثة وامتنع
 ١٥ الرابع حُدد^٥ الثلاثة ، كامتناع زياد بن أبيه من الشهادة^٥ على المغيرة بن

(١) ساقطة من بن .

(٢-٣) العبارة مطموسة بالترميم فى بن .

(٣) فى الأصلين : شاهدين . والكلمة صححت بقلم غير قلم الكاتب فى بر .

(٤) من بن ، وفى بر : حدوا .

(٥) فى الهامش : حكاية لطيفة تتعلق بالشهادة على المغيرة بن شعبة بالزنا .

شعبة ، لحد^١ الثلاثة الذين شهدوا على المغيرة بالزنا عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسقط حد الزنا عن المغيرة . و ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه^٢ لما ولي^٣ أبا موسى^٤ الأشعري البصرة أمره أن يشخص إليه المغيرة بن شعبة منها لما^٥ شهد عليه أبو بكر بالزنا ، وذلك أن أبا بكر لما قدم على عمر سمع صوته ، فقال : أبو بكر ؟ قال نعم^٦ ، قال : لقد جئت بشر^٧ ، قال : إنما جاء به المغيرة بن شعبة ، ثم قص عليه أن المغيرة أتى أم جميل امرأة^٨ من بني هلال وكان لها زوج قد هلك قل ذلك يقال له [١٦٢ : الف] الحجاج بن عتبة^٩ ، فكان المغيرة يدخل عليها ، فبلغ ذلك أهل البصرة فأعظموه ، فخرج المغيرة يوما من الأيام حتى دخل عليها وقد وضعا له الرصد ، فانطلق القوم الذين شهدوا جميعا^{١٠} فكشفوا السر فرأوه قد واقعا ، فقدم المغيرة على عمر فدعى بالشهود فشهد أبو بكر^{١١} ومُعبِد بن مُشَيْل^{١٢} الجهني ونافع بن عبيد أنهم رأوا ذكره

(١) من بن ، و في بر : لحدوا .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : أبو موسى ، صححت إلى « أبا » بقلم غير قلم الكاتب في بر .

(٤) في بن : حيين .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : عتبة .

(٧) في بن : أبو بكر .

(٨) في بن : شهيل .

في فرجها كالمرود في المسكحة، وكان المغيرة لما قدم على عمر قد تزوج امرأة من بني ثمرّة، فقال له عمر إنك لفارغ القلب، ثم شهد الشهود الثلاثة على المغيرة بالزنا، ولم يكن زياد بن أبيه حاضرا، فلما حضر لتكميل الشهادة قال له المغيرة: ٣ اتق الله في أمري! فانك لو كنت بين هـ بطنى و بطنها ما رأيت فرجى؛ سالكا في فرجها، فسأل عمر زيادا بما ذا يشهد، فقال: رأيت النفس العالى والاضطراب ورجلاهما على كتفيه كأذنى حمار، وما أعلم ما وراء ذلك. قال عمر: الله أكبر! وأسقط الحد عن المغيرة لأجل التقاصر في الشهادة عن عدد الأربعة. وكان عمر قال للمغيرة بعد شهادة أبي بكر: ذهب ربعك يا مغيرة! فلما شهد ١٠ الثانى قال: ذهب نصفك، فلما شهد الثالث قال: ذهب منك النصف والرابع، وتوقف الأمر على شهادة زياد حتى يكمل نصاب الشهادة فيرجم المغيرة لإحصائه. والإحصان أن يتزوج الرجل امرأة نكاحا صحيحا ويأتمها وطئا مباحا. فلما توقف زياد عن عدم رؤية فرجه في فرجها حد

(١) في الأصلين: وقد. وتستقيم العبارة بحذف واو المطلق.

(٢) زيد في بن: لا.

(٣) زيد في بن: يا زياد.

(٤) في بن: ذكرى.

(٥) زيد في بن: بالحجارة حتى يموت.

(٦) في بن: ويطؤها.

(٧) زائدة في بن.

عمر الثلاثة الذين شهدوا على المغيرة حد القذف ١ . فقال المغيرة لهم ٢
عند ذلك : الحمد لله الذي أخراكم . فقال عمر : أخزى الله مكانا
وأرك فيه ٢ .

سئل بعض المفتين عن محسن خلا بأجنبية فاستمتع بها غير الفرج
والدبر فما يجب عليه ؟ فقال : هذا إذا ٢ لم يظهر أمره فليستر نفسه ٥
وليتب إلى الله توجها وليجتهد في العمل الصالح الذي يمحو به السيئات ،
فإن لم يفعل ذلك استحق عقوبة بليغة - والله أعلم ٦ . والإحصان أن
يتزوج امرأة نكاحا صحيحا ويوطأها وطئا صحيحا ، فإن زنى ٢ بعد ذلك
وجب عليه الحد ، وحده الرجم إلى أن يموت . وكذلك المرأة المحصنة
إن زنت رُجمت إلى أن تموت .

١٠

(١) في الماشح بخط غير خط ناسخ « بر » ما يلي : ذكر النووي في تهذيب
الأسماء والألقاب أن المغيرة كان عاقدا نكاحه سرا على المرأة الرقومة لأمر
اقتضته المصلحة في شأنه ، وكان عمر لا يقبل نكاح السر ، فشهد من شهد بحق
على حسب ما رأى . والحال أن المغيرة كانت المرأة في عقد ، ولم يحصر على
إظهار ذلك بين يدي أمير المؤمنين سيدنا عمر لعلمه عدم قبوله ذلك بحسب
اجتهاده ، فالصحابة جميعا رضوا الله عنهم عدول لا سيما أبو بكره و تابع .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) زيد في بن : انتهى .

(٤) في بن : يمحى .

(٥-٥) في بن : علم .

(٦) زيد في بن : بالصواب .

(٧) من بن ، وفي بر : زنا .

و اعلم أنه لا يجب على الشارب أو الزاني إذا تاب تسليم نفسه
 للقصاص ١ . بل الأولى له السر على نفسه لقوله صلى الله عليه وسلم :
 « أيها الناس ! قد آن لكم أن تتكفوا عن حدود الله ، من أصاب من هذه
 الفاذورة ٢ شيئا فليستر بستر الله فانه من [١٦٢ : ب] يبد لنا ٣ صفحته
 هـ 'تم' عليه كتاب الله ، - خرج مالك في موطنه * . قال ابن الموان في
 شاهدين قفلا عن أرملة أهم أشهدوم ' بأن فلانا زنى فلم يجد الناقلين
 عنهم حتى قدم الأربعة فأنكروا أن يكونوا أشهدوم بذلك ، فان الأربعة
 'يحدون لأن محمول شهادة الناقلين تضمنت أن الأربعة ' قدفوا هذا
 الرجل بالزنا . قال أبو عبيد الله محمد بن عبد السلام قاضي الجماعة
 ١٠ بتونس ٤ ' في شرحه الذي وضعه على مختصر ابن الحاجب في الفقه : إن
 ' بينة الزنا شرطها أربعة ذكور مجتمعين غير متعرقين يشهدون بزنا واحد
 و رؤية واحدة أنه أدخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة ، فطلب

(١) في بن : لقصاص .

(٢) في بن : الفاذورات .

(٣) في بن : يبد .

(٤) في بن : قم .

(٥) في بن : موطنه .

(٦-٧) مطموسة بالترميم في بن . وفي الأصل (بر) : زنا مكان : زنى .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨) في بن [١١١ : الف] : بمدينة تونس .

(٩-٩) ساقطة من بر و واردة في بن .

الشرع في شهود الزنا ما لم يطلب في غيره من الحقوق والحدود .
 قيل وإنما ذلك لقصد السر ودفعاً للعار الذي يلحق الزاني والمزني بها
 وأهلها ، واكتفى^١ في القتل بشاهدين وإن كان القتل أعظم جرماً
 من الزنا ، ودل قوله تعالى "والتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا
 عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت^٢" على طلب^٣ ٥
 العدد الخاص في الشهادة . والمنسوخ من هذه الآية هو الحبس في
 البيوت ، وذلك قوله تعالى^٤ في آية القذف "والذين يرمون المحصنات
 ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة"^٥ ، وقوله "لو لا جاءوا
 عليه بأربعة شهداء فإن لم يأتوا بالشهداء فادلك عند الله هم الكذبيون"^٦ .
 وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة^٧ قال سمعت بن عبادة : يا رسول الله^٨ !
 لو وجدت مع أهلي رجلاً لم أمسه حتى آتي بأربعة شهداء^٩ قال رسول الله

(١) كذا في بن : وهي في بر : واكتفا .

(٢) قرآن كريم : ٤ : ١٥ .

(٣) في بن : غلب .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) قرآن كريم : ٢٤ : ٤ .

(٦) قرآن كريم : ٢٤ : ١٣ .

(٧) زيد في بن : رضي الله تعالى عنه .

(٨) في الأميلين : رسول .

صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا^١ ما يقول سيدكم^٢ إنه لغيور وأنا أخير^٣ منه والله أخير مني ، . » وقال صلى الله عليه وسلم : « إني لغيور وما من امرئ^٤ لا يغار إلا منكوس القلب ، . » وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليغار^٥ ومن غيرته حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، . »
 ٥ عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا علي ! كي غيورا ، فإن الله يحب الغيور ، . » وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن^٦ المؤمن يغار ، قسب الغيرة إلى الإيمان بقوله « إن المؤمن يغار ، والطريق المغنى عن الغيرة أن لا يدخل الرجل على زوجته الرجال ولا تخرج هي^٦ إلى الأسواق . » قال النبي صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة : أى شيء خير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى رجلا ولا رجل^٧ يراها . فضمها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه^٨ وقال : « ذرية بعضها من بعض^٩ » واستحسن قولها - انتهى .

(١) زيد بن : يا أصحاب لى .

(٢) زيد بن هاشم بن : أراد بالسيد سعد بن عبادة وهو رئيس قومه .

(٣) زيد بن سطور بن : أى لم أتركه حتى يكون مساء ولم أمهله .

(٤) فى الأصلين : اسره .

(٥-٥) فى بن : وقال صلى الله عليه وسلم .

(٦) زائدة فى بن .

(٧) فى الأصل : رجلا . والكلمة صححت بقلم آخر ، وهى زائدة فى بن .

(٨) قرآن كريم : ٢ : ٢٤ .

[١٦٣: الف] فعدد - ولا خلاف في طلب الأربعة في شهادة الزنا، ويجوز للعدل الذي تقبل شهادته أن ينظر إلى عورق الرجل والمرأة في الزنا وإلى الصفة لشم الشهادة بشرط أن يكون معه ثلاثة غيره وكلهم عدول، لأن من لا تقبل شهادته فلا فائدة في نظره فيبقى نظره على وجه التحريم ولا ينظر العدول إلا إلى مغيب الحشفة^١. يكفوا عن النظر^٥ عما عداه لأنه القدر الذي تدعو الضرورة إليه.

قال أبو محمد^٢ بن أبي زيد القيرواني في كتاب الرسالة في الفقه: ومغيب الحشفة في الفرج يوجب الغسل ويوجب الحد ويوجب الصداق ويحصن الزوجين ويحل المطلقة ثلاثاً للذي طلقها ويفسد الحج ويفسد الصوم - فذكر سبعة، وذكر غيره من العلماء ستة عشر وجهاً^٣: يوجب الحد ويوجب الصداق^{١٠} ويوجب العدة ويحصن الزوجين ويحل المطلقة ثلاثاً للذي طلقها ويفسد الحج ويفسد الصوم ويوجب الغسل ويزيل العنة ويزيل الإيلاء ويفيت البيع الفاسد في الآمة ويوجب القيمة على الأب في جارية ولده ويسقط الحبار على السيد في أمة مكاته ويهت الاعتصار^٤ ويوجب القيمة

(١ - ١) ساقطة من بن.

(٢) في بن: الحشفة. وفيما بعد: الحشفة وفي هامش بر: الأحكام التي تجب بشيوبة الحشفة.

(٣) زيد في بن: عبد الله.

(٤) ساقطة من بن، وزيد بها: قال ومغيب الحشفة على سبعة عشر وجهاً يوجب الغسل ويوجب الحد - ابنه.

(٥) في بن: الاعتصار

في الجارية المحقة وغيث الرد بالعيب .^١ وقيل إن مغيب الحشفة في الفرج
يوجب تسعة وتسعين^٢ حكما ، ولو لا الإطالة لذكرتها هنا ، من أرادها
فليطالع شرح الرسالة للزناقي^٣ - انتهى .

نود - ولا تقبل شهادة الأولاد الأربعة^٤ على أبيهم المحسن ماله
ه زنى^٥ وكان له مال ، لأنه إذا رجم^٦ ورثوه فيتهموه^٧ أن يقصدوا إلى
^٨ استئصال ماله .^٨ فإذا لم يكن له مال أمنت هذه التهمة . وقيل^٩ لا تقبل
شهادتهم على أبيهم الفقير لأنهم " يذفون بذلك الفقة التي " تهب عليهم
بفقد ، فكذلك يتهمون على دفع المضرة " عن أمهم لما تقاسيه من
ألم ضررتها لها .

١٠ . واختلف العلماء في شهادة الزوج لزوجته والزوجة لزوجها ، فقال
مالك وأبو حنيفة: لا تقبل شهادة كل واحد منهما لصاحبه ، وقال الشافعي ،

(١) العبارة من هنا إلى « نود » ساقطة من بن .

(٢) في الأصل : وتسعون .

(٣) كذا في الأصلين ، ولعله : الزناقي - راجع الإكمال ٤ / ٢٣٥ .

(٤) في هامش بر : شهادة الأولاد على أبيهم بالزنا .

(٥) من بن ، وفي الأصل : زنا .

(٦) في بن : زنى .

(٧) في بن : فيتهموا .

(٨-٨) في بن : الاستئصال لماله .

(٩) في بن : وقد .

(١٠ - ١٠) مطبوعة بالترميم في آخر الصفحة .

(١١) في بن [١١١ : ب] : الضرر .

بل تقبل، وقال ابن أبي ليلى والنخعي: تقبل شهادة الزوج لزوجته ولا تقبل شهادتها له. فاعتبر مالك وأبو حنيفة التهمة التي تلتحق كل واحد منهما بشهادة الآخر التي أثارها المودة كما قال الله سبحانه: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها - ١] وجعل بينكم مودة". عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى [١٦٣: ب] منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". هذا في حق المؤمنين الأقارب والأجانب، فكيف بالزوجة لزوجها^٢ والزوج لزوجته^٣ لما هما عليه من المودة والرحمة والمحبة^٤، لكن رأى الشافعي أنها مودة عارضة نشأت عن عقد معاوضة. ورأى ابن أبي ليلى والنخعي^{١٠} "أن الزوج" لا كبير منفعة له بمال زوجته فالتهمة^٦ التي تلتحقه بسبب شهادته لها ضعيفة وعدالتها تنفيها. وأما الزوجة فتحققها في مال زوجها ثابت لوجوب النفقة عليها منه، فالتهمة التي تلتحقها قوية - انتهى.

نعود^٧ إلى ذكر شهود الزنا وكيف يقع لأربعة عدول رؤية الذكر

(١) من بن. قرآن كريم ٣٠: ٢١.

(٢) في بن: النعمن.

(٣-٣) ساقطة من بن.

(٤) ساقطة من بن.

(٥-٥) ساقطة من بر، وواردة في بن - ويكمل بها السياق.

(٦) في الأصلين: بالتهمة. وهو خطأ نقضى واضح، صحته بالغاء بدل الباء.

(٧) في الهامش: ليس للإمام أن يحكم عليه في الزنا.

في الفرج كالمرود في المكحلة في مكان واحد ووقت واحد وصفة واحدة ، وهذا مما يبعد وقوعه بل لا يكاد يقع أبدا . ومن العادة إخفاء هذا الفعل حتى من النهار والليل والصبي في المهد . ثم إن الإمام ليس له أن يحكم ببله في الزنا ، فإن حكم ببله فيه وجب عليه حد القذف وبطل حكمه ، كما روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمشى بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة ، فلما أصبح قال للناس : رأيتم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليها الحد ما كنتم فاعلين ؟ قالوا : إنما أنت إمام . فقال علي بن أبي طالب : ليس ذلك لك ، إذا قيم عليك الحد ،^٣ إن الله تعالى^٢ لم يأمن على هذا الأمر ١٠ أقل من أربعة شهداء . ثم قال لهم مرة أخرى ، فقالوا مثل مقالهم الأولى ، وهذا يشير إلى أن عمر كان مترددا في الوالي هل له أن يقضي ببله في حدود الله . فلذلك راجعهم في معرض^١ " الفتوى لا في معرض " الإخبار خيفة من أن يكون له ذلك فيكون قاذفا بأخباره وما رآه على أنه ليس له ذلك ، وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر ١٥ الفواحش ، فإن أغشها الزنا وقد نيط بأربعة من العدول الشاهدين

(١) في بن : فإن من .

(٢) كذا في بن ، وهي في بر : عليها .

(٣) في بن : لأن القول .

(٤) كذا في بن . وهي في بر : معرض - بالصاد .

(٥-٥) ماقطة من بن .

(٦) في بن : أحسها .

ذلك منه في ذلك كالمرود في المسكلة ، وهذا لا يتفق قط^١ وإن عليه
القاضي تحقيقاً لم يكن له أن يكشف عنه . فانظر إلى الحكمة في حسم
باب الفاحشة بإيجاب الرى الذى هو من أعظم القربات . قال الله تعالى :
”والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين
جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً وأولئك هم الفاسقون“^٢ .

حكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد سأل أبا^٣ يوسف القاضي
أحد أصحاب أبي حنيفة : ما تقول في إمام شاهد رجلاً يزنى بأمرأة هل
يحدّه ؟ قال : لا . فقال الرشيد : من أين قلت هذا ؟ قال : لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قال [١٦٤ : ألف] : « ادروا الحدود بالشبهات »
وهذه شبهة يسقط الحد معها . فقال له : وأى شبهة مع المعانة ؟ قال : ١٠
ليس يوجب المعانة لذلك أكثر من العلم بما جرى ، والحدود لا تكون
إلا^٤ بالعلم ، وليس لأحد أخذ حقه بعله . فانظر يا هذا إلى كشف^٥
ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه .
فارجو أن لا نحرّم هذا الكرم يوم تبلى السرائر ، ففي الحديث « إن الله
تعالى إذا ستر على عبده عورته في الدنيا فهو أكرم أن يكشفها ١٥
مرة أخرى . »

(١) من بن ، وفي بر : قط لا يضيق .

(٢) قرآن كريم : ٢٤ : ٤ .

(٣) كداف بن ، وهي في بر : أبو .

(٤) ساقطة من بن [١١٢ : ألف] .

(٥) ريد في بن : شاء .

واعلم أن الشفقة على خلق الله ' تعظيم ' لأمر الله ، ومن
ستر عباد الله ستره الله ، ومن تصدى لهلك سترهم يخاف عليه أن
يهتك ستره و^٣ لو يقول الزور^٣ ، كما هتك ستور^٢ شهود الزور الذين
رموا العفيف المحصن بالفجور ، فخدوا بزورهم ، وسلم المشهود عليه من
المجورم وشرورهم^٥ . وذلك أنه كان في زمن دانيال النبي عليه السلام^٥
ملك عنده حكيم عزيز^٦ فحسده من حوله^٧ ، وجاءوا^٨ إلى امرأة
مشهورة بالجمال في المدينة ، وكانت قد جلبت من الزنا ، فحملوها على^٩
أن الحمل^{١٠} من الحكيم ، ورتبوا أربعة من مشاهير البلد يشهدون بالزنا
وكلهم من حسدة الحكيم ، فلما رُفع الأمر إلى الملك عظم عليه و شقّ ،
١٠. وتخير في الأمر وطلب الحق ، واستعان بمن هو في الدولة ، فلم يكشف

(١) زيد في بن : تعالى .

(٢) في بن : تعظيما .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : صلى الله عليه وسلم . وبهامش بر : حكاية زور بالزنا وقعت في
زمن دانيال النبي عليه السلام وبراءة للتهوم منها .

(٦) زيد في بن : عليه .

(٧) في بن : يحوله .

(٨) في بن : وجاء .

(٩) زيد في بن : أن تقول .

(١٠) في بن : الحمل .

القصة ١ أحد منهم ، فحبس الحكيم و توقف في الأمر مدة واشتهر الأمر في المدينة . وكان دانيال عليه السلام ابن اثني عشرة^٢ سنة فقال لآبيه^٣ : إن حكمت في القضية لا أكشفن الأمر . فذكر أبوه ذلك للملك ، فأحضره وحكمه في القضية ، فأمر^٤ دانيال بإحضار الحكيم والمرأة والشهود وقال للحكيم : أنت فعلت ما يقولون ؟ قال : لا ، فأمر^٥ أن يفرق بين الشهود ويحصل كل واحد منهم في بيت . ثم أحضر أحدهم فقال له دانيال : كيف كان الأمر ؟ فقال : إنه زنى^٦ بالمرأة . فقال : أين كان ؟ وكيف كان ؟ وما لون الفراش الذي كانا عليه ؟ وكيف اجتمعتم أنتم على مشاهدة هذا التصيح ؟ فقال^٧ ما شاء الله . ثم رده وجاء بآخر وسأله^٨ عما سأل الأول ، فاختلف كلامهما في المكان والزمان والكيفية . ١٠ ثم أتى الثالث فقال له دانيال : الله أكبر ! قد أقر صاحبك بالحق وعنى عنهما ، فإن قلت كما قالوا وتبت كما تابا فقد فزت . فشهد بالزنا مع اختلاف عظيم ، فرد^٩ إلى مكانه ، وأمر دانيال الملك^{١٠} أن يظهر الغضب

(١) في بن : القضية .

(٢) في الأصلين : اثني عشر .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : وأمر .

(٥) من بن ، وفي الأصل : زنا .

(٦) زيد في بن : ومتى كان .

(٧) فقال « مكررة في » بر .

(٨) في بن : فسأله .

(٩) كذا في بن ، وهي في بر : الملك .

و يجرّد السيف . ثم أتى بالربع و قال : الله أكبر ١ إن أصحابك [١٦٤ : ب]
 اثنان منهم أصراً على الإنكار ، و الملك عزم على أن يعاقبهما ، و الثالث
 أقرّ بالحق فغنى عنه ، و أنت مخير بين الحق و الفلاح و بين الباطل
 و العذاب . تخاف الرجل و اعترف بالحق و ذكر كيفية الاجتماع و سبب
 الاعتراف ١ ، فرُذ إلى مكانه . و جرىء الثالث ٢ ، و حكى له كيفية ٣ اجتماعهم
 و سبب اقترافهم ٤ ، و كل ما قاله الرابع حُكى له فلم أنه اعترف عليهم
 فوافقه في الاعتراف ، ثم أتى بهما و حكى لهما ما قال صاحباهما . فأقرّ
 الكل ، و حدث المرأة و الشهود و سلم الحكيم . فانظر يا هذا إلى قذف
 أعراض الناس و ذكرهم لميوب ٥ لم تكن ٦ ، كيف حلّ بهم ما حلّ
 ١٠ من الشفاعة لذكرهم الفجور ، و شهادتهم الزور . قال ابن أبي زيد :
 يحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور - انتهى ٧ .

فلنذكر الآن خبر جريج . روى ٨ مسلم عن أبي هريرة ٩ عن النبي صلى الله

(١) في بن : الاتراق .

(٢) في بن : ثالث .

(٣) في الأصلين : كيف .

(٤) في بن : اقترافهم .

(٥) في الأصلين : قدنه و جائز أيضا أن تكون « و قدنهم » و في بن :
 الأعراض - فقط .

(٦-٧) في بن : الناس لما لم يكن لها أصل .

(٧) كذا في بن ، و الكلمة ساقطة من بر .

(٨-٩) ساقط من بر و وارد في بن . و يمامش بر : قصة جريج .

(٩) زيد في بن : رضي الله تعالى عنه .

عليه وسلم قال: كان جريج رجلا عابدا، فأتخذ صومعة، فكان فيها
 فاته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج! فقال: يارب أمي وصلاتي!
 فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت:
 يا جريج! فقال: يارب أمي وصلاتي! فأقبل على صلاته فانصرفت،
 فلما كان من الغد أتته فقالت: يا جريج! فقال: يارب أمي وصلاتي! فأقبل
 على صلاته فقالت: اللهم! لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات'.
 فتذاكر بنو إسرائيل جريحا وعبادته. وكانت امرأة بنى يثمل بحسبها
 فقالت: إن شئتم لا فتئننكم لكم. قال: فتمرضت له فلم يلتفت إليها.
 فأت راعيا كان يأوى إلى صومعته فأمكنه من نفسها، فوقع عليها،
 فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج. فأتوه فاستزلوه وهدموا ١٠
 صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زينت بهذه البنى
 فولدت منك. فقال: أين الصبي؟ فجأؤا به، فقال: دعوني حتى أصلي.
 فصلى ٢ فلما انصرف أتى الصبي وطعن في بطنه وقال: يا غلام! من
 أبوك؟ قال: فلان الراعي. فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به
 وقالوا: نبئ لك صومعتك من ذهب. قال: لا، أعيدوها من طين ١٥
 كما كانت. ففعلوا. انتهى ٣.

(١) من بن [١١٣: الف]، وفي بر: المومسات.

(٢) ساقطة من بن.

(٣) ساقطة من بر واردة في بن.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ينبغي لأهل
 العصمة ' المصنوع إليهم ' في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب بالمعصية
 و يكون الشكر هو الغالب عليهم و الحاجز عنهم ، فكيف بالعائب الذي
 طابه به و قد يذمه بذنب قد ارتكب^٢ مثله ، فإن لم يكن ركب^٣ ذلك
 ٥ الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه و فيما هو أعظم منه ، و أيم الله
 لئن لم يكن عصاه في الكبر و عصاه في الصغر لجرأته على عيب الناس
 [١٦٥ : الف] أكبر^٤ .

قال مالك بن أنس : كان بالمدينة أقوام لهم عيوب ، فسكتوا عن
 عيوب الناس ، فسكت الناس عن عيوبهم ، و كان بها أقوام لم يكن
 ١٠ لهم عيوب ، فتكلموا بعيوب الناس ، فاختلف الناس لهم عيوباً - انتهى .

(١-١) في بن : أنهم .

(٢) كذا في الأصلين ، ولله : والمعصية .

(٣) كذا في بن ، وهو في بر : ركب .

(٤) في بن : يجب .

(٥) زيد ما لي في بن : قال بعضهم :

عصيت الهوى طفلاً صغيراً فعند ما اتقى اليبالي بالمشيب والكبر

أطعت الهوى عكس القضية ابني (١) خلقت كبيراً ثم عدت إلى الصغر

فقال له ولده هنيئاً له إن لم يكن كاسه أطاع الهوى في الحالين و ما ازدحر .

و لم يكن في أن ماع نفسه ليعتقها من حر نار و من سقر .

(عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة)

نعود إلى قول ابن أبي حجلة في المصراع الثاني من البيت المتقدم

ذكره وهو :

« و قرع كؤوس الخرفى الثغر بالثغر »

- كان ينبغي له إبدال قرع برشف لأن القرع بالسن يخاف معه كسر
الزجاج و ثلم السن ، و الرشف قد يكون يرشعه الشارب بمصه له من
أوله إلى آخره من غير كسر ولا ثلم . قال الشاعر :

و قرعته فكسرتة فأسال ما فيه على ذراعتى و قبصى

و اعلم أن الكأس هو الذى ليس له عروة ٢ ، و الكوب الذى هو

- بعروة و جمه أكواب . و الثغر الأول هو ثغر الإسكندرية ٣ المجاور
لبحر الملح و جمه ثغور ٣ . و الثغر الثانى القم المحتوى على الرق ٤ .
و الظلم - بفتح الظاء المعجمة - ماء الأسنان و صماؤها . و اللعى سمة
الشفتين ٣ هو اللعى و الحوة . و الظما يمس فى الشفتين ٣ ، و العرب تستحب
ذلك . قال ذو الرمة :

لماء فى شفتيها حوة كصر وفى اللثا وفى أنيابها شنب ١٥

(١) فى بن : أن يدل .

(٢) زيد فى بن : و جمه كؤوس .

(٣-٢) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : الطريق .

(٥) ساقطة من بن .

و الشنب طيب الفم . قال الشاعر :

بأي أنت وفيك الأشنب ' كأنما دُرّ عليه الزرنب '

أم زنجيل ' بارد مطيب

٢ والزرنب ههنا نأت طيب الرائحة ٣ . ومن أسماء الخمر الزنجيل .

٥ والخمر لها أسماء كثيرة ، قيل إن لها مائة اسم ' أحدها الزنجيل ' . وسيأتي

ذكر بعض أسمائها فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . فنـ

شرب الخمر حُدَّ حُدَّ الشرب ، لأنها حرام لما في الصحيح أن عمر بن

الخطاب رضى الله عنه خطب لحمد الله ٦ وأتى عليه ثم قال : أما بعد ،

ألا ! أو إن الخمر نزل تحريمها من خمسة أشياء من الحنطة والشعير والتمر

١٠ والزبيب والعسل . والخمر ما غامر العقل . ونهى النبي صلى الله عليه وسلم

عن كل مسكر وقال : « كل مسكر حرام » ، ومن شرب الخمر في الدنيا فأت

وهو يدمنها ٨ لم يَب منها لم يشربها في الآخرة . وقال : « كل شراب

أسكر فهو حرام » . قال غير واحد من المتأخرين : لا يركى الوصى مال

(١-١) الشطر الثاني من البيت ساقط من بر ، وقلناه هنا عن بن .

(٢) كذا في بن ، وهي في بر : أزنجيل .

(٣-٣) وردت هذه الجملة في بن بعد « الزنجيل » من العبارة التي تليها .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) زيد في بن : فلذكر بعض ذلك هنا اعلم أنه .

(٦) زيد في بن : أنه .

(٧) زيد في بن : تعالى .

(٨) في بن [١١٣ : الف] : مدمنها .

الصبي الصغير حتى يُرفع إلى السلطان كما قال مالك : إذا وُجد في تركه ميت^١
نحر^٢ فلا يرقها الوصي إلا بعد مطالعة السلطان لثلا يكون مذهبه
جواز التحليل فيضمنه إن أراقها بغير إذنه ، فإن قيل : هل استحالة الخمر
إلى أن يصير خلا طاهرة أم لا ؟ قيل : لا يظهر شيء [١٦٥ : ب]
من النجاسات بالاستحالة إلا شيئان : الخمر^٣ ، وجلد الميتة^٤ ، فإنها إذا انقلبت
بنفسها خلا طهرت ، وإن خللت لم تطهر^٥ ، وجلد الميتة سوى جلد
الكلب والخنزير إذا دُبِغ يظهر ويحل يعض في أحد القولين من مذهب
الشافعي رحمه الله . ويحزى غسل سائر النجاسات كالخمر والبول
والمذي^٦ والودي^٧ والدم والقيح والقيء والتبذ والكلب
والخنزير وما تولد منها المكاثرة بالماء إلى أن يذهب . ١٠
وما لا يزول أثره بالغسل كالدم إذا غسل وبقى أثره لم يضره
ذلك - انتهى

(١) في بن : الميت .

(٢) كذا في بن ، وهي في بر : نحرا .

(٣-٤) ساقطة من الأصل (بر) ، وأخذناها عن بن ويكتمل بها السياق .

(٤) في هامش بر بقلم غير قلم الناسخ : مذهب مالك الطهارة على كل حال
لا فرق بين تغللها وتخليلها .

(٥) زيد في بن : تعالى .

(٦) من بن . وفي الأصل : والمذي .

(٧) في بن : الودي .

نعود - وقد يكون مذهب القاضي سقوط الزكاة عن الصغير. فان
أبا حنيفة خالف في المسألتين . وقال بعضهم : إنما يلزم الرفع في البلاد
التي فيها القاضي الحنفى ، وأما البلاد التي لا يكون فيها ولاية الحنفى
كأرض المغرب فلا معنى للرفع ، فان أبا حنيفة إنما يخالف في بعض
المحاجير وفي بعض الأموال وهو العين لا ما عدا ذلك - انتهى .

وسئل ٣ بعض المفتين في فارة تقع في البئر ويطلع في الدلو من
شعرها شيء ، فهل الماء طاهر وإن قل ؟ من قوله عليه السلام : "خلق
الماء طهوراً" فقال : أما إذا كان الماء كثيراً فوق القلتين ولم يتغير بالنجاسة
فانه طاهر عند جمهور الأئمة كمالك والشافعى وأحمد وغيرهم . فانه
١٠ قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له : أتتوضأ
من بئر بُضاعة - وهى بئر يلقى فيها الحيمض ولحوم الكلاب والنتن ؟
فقال : الماء طهور لا ينجسه شيء ، لكن إن تمخط من شعرها في
البئر ففيه قولان : أصحهما أن شعرها طاهر لا ينجس الماء ، وهذا
مذهب مالك وأحمد وأبي حنيفة في إحدى الروايتين ، وهذا أصح

(١) هـ بر : أبى ، وهى صحيحة فى بن .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) الواو ساقطة عن الكلمة فى بن .

(٤) فى الأصلين : العتين .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) ريد فى بن : فى المشهور وكذلك شعر كل ميتة وشعر الكلب ونحوه طاهر

عند أبى حنيفة ومالك وأحمد فى أحد الروايتين - الخ .

قول العلماء . و أما إذا كان الماء قليلا دون القلتين و لم يتغير فيه قولان هما روايتان عن أحمد : أحدهما بحس وهو مذهب الشافعي ، و الآخر أنه طاهر و هو المشهور من مذهب مالك و أهل المدينة . فان نع الماء حتى يبلغ قلتين طهر ؛ و إن لم يبلغ قلتين ففيه القولان و لم يبين انه بحس بل الاشبه أنه طاهر ما لم يتغير سواء كان قليلا أو كثيرا كذهب ٥ أهل المدينة ' . . هو مذهب طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم ، و قد رجحه طائفة من أصحاب الشافعي . و إذا كان الماء طاهرا فما أخذ منه في الدلو فهو طاهر و إن كان فيه من شعر الميت .

سئل ٢ : بعض فقهاء الشافعية عن فسقتين في كل واحدة منهما من الماء قلتان^١ ، فبال في الواحدة صبي ، و ولغ كلب في الأخرى ١٠٠ فهل يجوز الوضوء منهما أم لا ؟ قال : أما الذي ولغ [١٦٦ : الف] منها الكلب فلا يجوز منها الوضوء ، لأنها بإبلاغه فيها نقصت عن القلتين . و أما الأخرى فيجوز الوضوء منها لأن القلتين لم تنقص . و إذا بلغ الماء قلتين لم تؤثر فيه النجاسة - و الله أعلم .

(١) في بن : السمة .

(٢) في بن : و سئل .

(٣) في الأصلين : قلتين . و الكلمة مصححة في بر بقلم آخر .

(٤) ساقطة من بن .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(بطرس لوسنيان و الثغور الإسلامية)

وقد تشعب بنا القول وتسلسل إلى أن خرجنا^١ عن مرثية ابن
أبي حجلة فلننشد^٢ إلى ذكر ما قاله فيها^٣:

وحقك لو لا أن للثغر حافظا من الله كان الثغر في حوزة الكفر
٥ حفظ الله تعالى بيمته و دمه ثغر الإسكندرية من حوز أهل الكفر له ،
و أبقاء على ما كان عليه في حوز^٤ المسلمين ، وأخرج منه سرما ريرا^٥
بطرس الكافر^٦ اللعين الضال^٧ المارق ، اللص السارق . فليّله الحمد و الشكر ،
^٨ والله المنة^٩ و الفضل . و جرت عادة اللصوص أنهم إذا سرقوا سرقة
^{١٠} يهربون بها^{١١} سرقة كيلا يقبض عليهم^{١٢} ، فينكل^{١٣} بهم ، و تقطع أيديهم
و أرجلهم^{١٤} من خلاف^{١٥} . و القبرسي الملعون جمع من لصوص النصرانية

(١) ريد في بن : هما كناية عن مرثية - الخ .

(٢) في بن : فلترجع .

(٣) ساططة من بن .

(٤) في بن : أيدي .

(٥) في بن : زبير . انظر حاشية سابقة عن زبير بطرس .

(٦-٦) في بن سقطت هاتان الكلمتان .

(٧-٧) في بن [١٩٣ : ب] : والله .

(٨-٨) في بن : هربوا .

(٩) في بن : وينكل .

(١٠-١٠) ساططة من بن .

وأتى بهم إلى الإسكندرية ، سرقوا أثاثها على حين غفلة من حانها .
 فلما أقام الملعون بها حلّ به من جيوش الديار المصرية كل بلية ١ . لكن
 الأمر صار ٢ إلى غير أهله بولاية الأمير جنعرا وقلة جنده وجهله بتدبير
 الأمور وعدم معرفته بمواقع الخروب . فحصل التفريط بولاية ٣ ضعفاء
 الرجال كبار الأعمال . فلم اللص من أين يدخل يسرق ، فدخلها سرقها ٥
 وهرب عنها خوفا من كبسه جيش مصر عليه يهلكه لو أدركه بها ٥ .
 فلما كان ملكا قويا شهها جرثا أقام بها وناضل عنها كفعل الملوك حين
 ظفروهم بالمدن ، ولكنه خيس ضعيف القوى ، سرق وهرب ، خوفا من
 العطب . وقد قيل إن ملوك النصرانية لامته على هروبه من الإسكندرية
 وقالوا له : إن الذي فعلته فعل اللصوص لا فعل الملوك ، كنت لما ملكتها ١٠
 أقت بها وناضلت عنها كما فعلت الجنوبية بطرابلس الغرب ، ولكن
 دخلتها لصا وخرجت منها ٢ لصا ، وذلك لعدم قدرتك على مقابلة
 سلطان مصر ، قَبَلْتُ ٣ لصوصتك عند سائر ملوك العصر وسائر أجناس

(١) في بن : مصيبة وبلية .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : بولايته .

(٤) زيد في بن : بها . وأسقطت بعد « أدركه » .

(٥) زيد في بن : لقله جيشه وضعف بطشه .

(٦) في بن : جيش .

(٧) في بن : قُبِت .

الرومانية ، فأَسَقَطَتْ من ديوان الملوك عند القيسيين والرهبانية . فقال :
وكيف أَسَقَطْتُ وقد نصرتُ الملة المسيحية وملكت مدينة أنطاكياء
ببر التركية من أهل الملة الحمدية ورجالي^٢ الآن بها مقيمة ، وأحوالى
بظفرى بها مستقيمة . فقالوا له : إنك ما قدرت عليها^٣ إلا لقلّة رجالاتها ،
هـ وضعف حالها ، فما كان يكون لك همة عليّة ، إلا لو أقت بالإسكندرية^٤ ،
فكنت تكون بين الملوك أظهر^٥ ، لمدينة كانت^٦ للملوك حمير ، ثم [١٦٦ : ب]
دثرت فأشأها الإسكندري^٧ ، فهي أكبر غصة الملوك^٨ ، لو أقت بها
كنت كالواسطة بعقود الملوك^٩ ، فلما سمع القبرسي مقاتلهم ، عوّ عليه
ملاصتهم ، وكشف^{١٠} رأسه ، وخلق من رجله مداسه^{١١} ، وحلف بالمسيح

(١) في بن : انطاليا .

(٢) زيد في بن : الى .

(٣) في بن : على انطاليا .

(٤) زيد في بن : ورددتها الى حالها الأصلية من ان ملكتها للملة الحمدية .

(٥) في بن : الملك الأظهر للملك .

(٦) زيد في بن : أولاً .

(٧) زيد في بن : وصارت من يده تلك قيصرو الآن .

(٨) في بن : ملوك بنى الأصفر .

(٩-٩) ساقطة من بن .

(١٠) في بن : كشف . سقوط وار العطف .

(١١) في بن : نعله .

ابن مريم، والإنجيل المكوّم، وسكل صليب وراهب، اوقيس ليس هو عن كنيسته أصلاً بغائب^١، لا غطى^٢ رأسه ولا لبس^٣ مداسه حتى يملك بلداً ببر^٤ المسلمين، ولو أقام بالسنين، وينزو الغزو العنيف، إلى أن يزور بقائم سيفه كنيسة^٥ قامة التي هي بالقدس الشريف^٦. فجمع الشقي المشؤم^٧، من أقاليم الروم، كل كافر مذموم^٨، وقصد طرابلس الشام^٩ في أوائل سنة ثمان وستين وسبعماية، فأرسل الله^{١٠} عليه ريحاً عاصفاً كسر^{١١} من مراكبه بضعة عشر مركباً، ففرق^{١٢} من فيها وتفرقت بقية المراكب، فتها سالم وعاطب. ثم لما كان في أوائل سنة تسع وستين وسبعماية أتى أيضاً إلى طرابلس الشام، قتل^{١٣} المسلمون من رجاله كثيراً، فرجع الملعون إلى جزيرة قبرس غائباً^{١٤} مقهوراً. وسيأتي فيما يرد من ١٠

(١-١) في بن: وقيس للأناجيل والمزامير كاتب.

(٢) في الأصلين: غطا.

(٣) كلمة «لا» ساقطة من برو واردة في بن.

(٤) بياض في بن.

(٥-٥) في بن: القدس الشريف.

(٦) في بن: المذموم.

(٧) في بن مشؤوم.

(٨) زيد في بن: تعالى.

(٩) زيد في بن: صرصر.

(١٠) في بن: فكسر.

(١١) في بن: فصرق.

(١٢) في الأصلين: قتل.

(١٣) في بن: خايضا.

هذا الكتاب ذكر ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى .
فلنرجع إلى مريئة إن أرى حيلة :

و حقا إن لم تستف لقناهم جرى ما جرى منهم على التفرق مصر
يعنى أنه لم تيقظ و نتبه من الغفلة التى مضت ، و تسد الثغور بالجيش
، المانعة ، والأسلحة القاطعة ، تمنع عن غزى الإسكندرية و دمياط ميثى ٢ مصر ،
و إلا يجشى على مصر من اجتماع كلة الإفرنج و إتيانهم للتغرين المذكورين ٣
بمجموعهم ، و ما يعلم أى الأمر يكون منهم ، لأن الحرب بجمال ، يوما لك
و يوما عليك ، فافقه تعالى ينصر المسلمين على القوم الكافرين . و اعلم أن حفظ
الثغور يكون بالرجال الأبطال ، لا بالأسوار الطوال ، كما قال الشاعر :

١٠ عليك سور من رجال قاذى رأيت حصونا من حديد تهدمت
* و كما قال الآخر :

حسبت سياج الدار يحصى عداتها و ليس سياج الدار إلا رجالها ٤

[فى الرباط و المراقبة]

قال عمر بن الخطاب رضى الله ٥ عنه : سمعت رسول الله صلى الله

(١) ساقطة فى بن .

(٢) فى الأصلين : ميثا . و صححت فى بر بقلم آخر .

(٣) مكررة فى بن .

(٤) فى بن : الإفرنج .

(٥-٥) مطبوس فى بن بالترميم .

(٦) فى بن : الرجال .

(٧) ريد فى بن [١١٤ : الف] : تعالى .

عليه وسلم يقول « إذا فتح الله مصر فاتخذوا فيه جيشا كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض » . قال : لِمَ يا رسول الله ؟ قال : « لأنهم في رباط إلى يوم القيامة » .

وعن سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حرس ليلة في سبيل الله لم ير النار بعينه إلا تحلة » القسم ، هـ
 « فان الله تبارك وتعالى قال : ” وان منكم إلا واردها “ [١٦٧ : ألف]
 وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رباط ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقوم ليلها لا يفتر ويصوم نهارها لا يفطر » . وقال عليه السلام : « من رباط فواق ناقة ^١ حرمه الله على النار » . وفواق ناقة ^٢ هي قدر ما تحلب ، والرباط شعبة من الجهاد . وبقدر خوف ^٣ ١٠ أهل الثغر وتمرزهم من عدوهم يكون كثرة ثوابهم . وقال عمر :

(١) في بن : منها .

(٢) في الأصلين : يرسل .

(٣) في بن : القيمة .

(٤) كذا في بن ، وفي بر : حة - صححت بقلم آخر إلى : تحلة .

(٥-هـ) في بن : قال الله تعالى .

(٦) قرآن كريم ١٩ : ٧٠ .

(٧) في بن : التي .

(٨-٨) ساقطة من بن .

(٩) في بن : هو .

(١٠) ساقطة من بن .

فَرَضَ الجِهَادَ لِسَفْكَ^١ دِمَاءِ الْمُشْرِكِينَ ، وَ الرِّبَاطَ لِحَقْنِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ،
وَحَقْنِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلَ مِنْ سَفْكِ دِمَاءِ الْمُشْرِكِينَ . وَيَنْبَغِي لِكُلِّ
قَوْمٍ أَنْ يَرَابِطُوا فِي نَاحِيَتِهِمْ ، وَيَسْكُوا سَوَاحِلَهُمْ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَكَانًا
يَخَافُ مِنْهُ . وَسَلَّ مَالِكُ رَحِمَهُ اللَّهُ^٢ عَنْ سُكَّانِ الثَّغُورِ وَ السَّوَاحِلِ
هـ بِالْأَمَلِ وَ الْوَلَدِ قَالَ : لَيْسُوا بِمِرَابِطِينَ ، وَإِنَّمَا الرِّبَاطُ مِنْ خَرَجٍ مِنْ مِزَلِهِ
مَعْتَقِدًا لِلرِّبَاطِ فِي مَوْضِعِ الْخَوْفِ - ذَكَرَهُ ابْنُ يُونُسَ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
« إِنْ اللَّهُ^٣ جَمَلَ رِزْقِي فِي ظِلِّ رَعِي^٤ ، وَلَمْ يَبْغِ تَاجِرًا وَلَا زَارِعًا .
وَقَالَ صِرَرَضَى اللَّهُ^٥ عَنْهُ : مَنْ زَرَعَ فَاغَحَ مِنَ الدِّيَّانِ ، قَانَ هَذِهِ الْأُمَّةُ
جُمِعَتْ أَرْزَاقُهَا فِي أَسْتَةِ رِمَاحِهَا مَا لَمْ يَزْرِعُوا ، فَأَذَا زَرَعُوا كَانُوا مِنْ
النَّاسِ . وَسَيَأْتِي فِيمَا يَرِدُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ذِكْرُ الْمَزَارِعِينَ وَ الشُّفَقَةِ^٦
عَلَيْهِمْ^٧ وَ ذَكَرَ^٨ الْقَمَحَ وَ الشَّعِيرَ وَ فَضْلَهُمَا^٩ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى^{١٠} .

(١) فِي هَامِشٍ بِرِقْلَمٍ آخَرٍ : الْإِلَامُ لِمُعَابَةِ وَ الصِّيْرُورَةِ إِذَا الْعَلَّةُ فِي فَرْخِهِ هُوَ
إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللَّهِ .

(٢) زَيْدٌ فِي بَنٍ : تَعَالَى .

(٣) زَيْدٌ فِي بَنٍ : عَزَّ وَجَلَّ .

(٤) فِي بَنٍ : دَمِي .

(٥) زَيْدٌ فِي بَنٍ : تَعَالَى .

(٦) فِي بَنٍ : فِي الشُّفَقَةِ .

(٧) رَيْدٌ فِي بَنٍ : وَ الرَّقَى بِهِمْ .

(٨) زَيْدٌ فِي بَنٍ : مَا قِيلَ .

(٩) فِي بَنٍ : مِنْ الْفَضْلِ وَ اللَّدَحِ .

(١٠) وَ يَلَاظُ أَنْهُ لَمْ يَرِدْ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ ذِكْرُ فِي أَصُولِ الْكِتَابِ .

وقد جاء في الرباط بالإسكندرية^١ فضل كثير،^٢ وسأذكر لما من ذلك إن شاء الله تعالى^٣. عن أنى هريرة رضى الله عنه^٤ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «المقيم بالإسكندرية ثلاثة أيام مراطلا من غير رياء بمنزلة من عبد الله عز وجل سبعين سنة» ما بين الروم والعرب^٥. عن^٦ سعيد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الإسكندرية وعسقلان عروستان من عرائس الجنة، والإسكندرية أفضلهما، وإنها لتأتى يوم القيامة» تزفت بأهلها^٧ إلى بيت المقدس^٨. فمن راجع بالإسكندرية أربعين يوما كتب الله له عتقا من النار وأمن من العذاب^٩. وإن خيار أهلها أفضل من أشرف غيرها، وأشرافها خير^{١٠} وأفضل^{١١} من أشرف غيرها، وهى مدينة ١٠ ذى القرنين، يبعث الله تعالى منها سبعين ألف شهيد وجوهم أضوأ من القمر ليلة البدر، يعطى كل واحد منهم نورا على الصراط،

(١) فى هامش بر: فضائل إسكندرية وأهلها والرباط فيها.

(٢-٣) فى بن: فلنذكر الآن لما من ذلك.

(٣) زيد فى بن: تعالى.

(٤) فى بن: عاما.

(٥) فى بن: وعن.

(٦) فى بن: القيمة.

(٧) فى بن: أهلها - يسقوط الباء.

(٨) ساقطة من بن.

(٩) فى بن: أفضل!!.

و يشفع في سبعين ألفاً من أهل بيته وأقاربه وجيرانه وأصحابه وأحبابه ،
 فطوبى لمن يسكنها^١ ويرابط بها ويقصد فيها عبادة الله عز وجل ويأكل
 رزقا حلالا ويصلي صلاة خالصة^٢ وهي في الكتب يعرفها أهل العلم
 تسمى الخضراء ، واسمها في الزبور [١٦٧ : ب]^٣ البيضاء ، واسمها في
 التوراة^٤ المذقبة ، يبعث الله منها سبعين ألف شهيد وجوهمهم على صورة
 القمر ليلة البدر ، يعطى كل واحد منهم نورا على الصراط ، ويشفع
 كل واحد منهم لسبعين ألفاً^٥ ، فطوبى^٦ لمن رابط فيها^٧ !

عن سليمان^٨ الأعشى قال : حدثنا مولى عمر بن عبد العزيز ، قيل له
 يا أمير المؤمنين ! ألا أحدثك بحديث ؟ قال : بلى ، قال : حدثني أبي عن
 ١٠ جدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مدينتان من مدائن الجنة
 وهم مدائن المدور وأنها سيفتحان على أمتي : أحدهما من مدائن الروم
 يقال لها الإسكندرية ، والآخرى من مدائن الديلم يقال لها قزوين ،
 فمن رابط^٩ في إحداهما^{١٠} ليلة واحدة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، -

(١) في بن : يسلكها .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : الف .

(٤) في بن : وطوبى .

(٥) في بن : وعن سليمان .

(٦) في بن : قال .

(٧) في بن : رباط .

(٨) في بن : أحدهما .

قال : فاستوى عمر جالسا و كان مضطجعا^١ فقال له : الله ! لقد حدثك بهذا الحديث أبوك عن جدك^٢ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
 فقال الأنصاري : والله لقد حدثني أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^٣ كما حدثتك يا أمير المؤمنين ! ثم قال : اللهم اجعل قبري بالإسكندرية أو بقزوين ! فوالله لو لا شغل أنا فيه لانتخفت دارا^٤ أو منزلا باحداهما .

عن خالد بن حميد قال : كان الضحاك بن مزاحم و عطاء السلمي^٥ يقولان : الرباط بالإسكندرية والميت بها كان أحب إلينا من عتق رقبة من ولد إسماعيل^٦ . قال : فكان عطاء يقول : إن بي من الشوق إلى الإسكندرية شوقا ما أستطيع دفعه و وصفه .
 ١٠

عن كعب الأحبار أنه^٧ قال : في كتاب الله عز وجل المنزل الذي أنزل الله^٨ على موسى بن عمران أن بالإسكندرية شهداء يستشهدون يطحاتها ! هم خيار من معنى وهم الذين يباهى الله عز وجل بهم^٩ شهداء بدر . فيا لها من وقعة وقعة الإسكندرية ! عن سعيد بن جبير قال : إن الله

(١-١) في بن : قال الله . و باقى الجملة مطموس بالترميم لآخر الصفحة .

(٢-٢) ساقطة من بن [١١٤ : ب] .

(٣) في بن : للسلمي .

(٤) في بن : إسماعيل .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) في بن : أنزل .

تعالى يباهى بأهل هذه الثلاث أرضين ، أحدهما^١ قيسارية وأهل عسقلان
وأهل الإسكندرية ، كما يباهى هذه الثلاثة^٢ أرضين بالملائكة يوم الحج
الأكبر^٣ بأهل عرفة^٤ . عن صالح بن علي قال للربيع^٥ بن خيثم :
ما منعك أن تقاتل معي ؟ قال : ما كنت لأقاتلك ولا أقاتلك معك^٦ ،
هـ فدلّني على جهاد أو رباط . فقال : عليك بالإسكندرية أو قزوين ، فإني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «^٧ إن الله سيفتجهما^٨ على
أمتي ، وإنيها بابان من أبواب الجنة ، فمن رباط فيها أو في إحداهما^٩
ليلة واحدة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . عن عبد الله بن عباس
^{١٠} رضي الله عنهما^{١١} قال : لأن أبيت ليلة بالإسكندرية على فراش وطيّ وطعام
١٠ طيب لا تدخل^{١٢} في [١٦٨ : الف] رجلى شوك ولا ألقى عدوا حتى انصرف
من الغداة سالماً أحب^{١٣} إليّ من عبادة سبعين سنة صيامها وقيامها في كل

(١) ساقطة من بن ، وفي بر : أحدهما .

(٢) الجملة ساقطة من بن .

(٣-٤) في بن : وبأهل عرفة .

(٤) في بن : الربيع .

(٥) في بن : حيك (١١) .

(٦-٧) في بن : إنها سيفتجان .

(٧) ساقطة من بن .

(٨ - ٨) ساقطة من بن .

(٩) في الأصل (بر) : يدخل ، وصحتها في بن .

- عشر منها ليلة القدر بمقاديرها . عن نافع عن ابن عمر قال له رجل من أصحابه: أى المواضع أحب إليك رباط فيها؟ فقال: الإسكندرية ، وقال: لى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أحب الرباط إلى الله عز وجل رباط الإسكندرية لأنها تزف على الخلائق يوم القيامة
- في صورة مدينة نورها يتلأأ مكلفة بالندى والياقوت ، وذلك لفضل هـ شهدائها . عن عبد السلام بن عمر بن خالد عن أبيه قال : حدثنا أشياخنا عن أهل العلم وذكروه عن كعب الأحبار أنه قال : فتحت الإسكندرية ، قال: ليس ذلك يومها إذا جاءها مائة سفينة على أثرها مائة سفينة ولم تزل تأتي ٣ مائة بعد مائة حتى تم سبعمائة سفينة ياكلوا ألعا وأربعمائة سفينة يزلوا بساحل اسكندرية ، فلكل الوقعة العظمى والطامة الكبرى والى ١٠ تشيب لها الأطفال الصغار ويسقط لها النساء الحوامل فطوبى ثم طوبى لمن أدركها قال كعب الأحبار: والذى نفس كعب يده ليقطن فيها من الخلق حتى يملغ الدم عراقيب الخيل فعد ذلك الشهادة العظمى .
- عن سفيان الثورى يذكر أن كعب الأحبار قال: ما على الأرض عاد^١ أكرم على الله تعالى من عباد يشهدون^٢ بالإسكندرية ، فطوبى ١٥

(١) فى بن : القيمة .

(٢) كذا فى الأصلين ، ولعه : قبل .

(٣) وبالجملة بعض ارتباك لفظى وإن كان المقصود وانما وهى كذا فى

كل من بروين .

(٤) فى بر : الق . والكلمة مكررة فى بن .

(٥) فى الأصلين : عبادا .

(٦) فى بن : يشهدون .

لمن رابط بها واستشهد فيها ١ وطوبى لمن صلى فيها صلاة ١ الخمس التماس
فضلها ١ فطوبى لهم ثم طوبى لهم ١ عن أبي هريرة ٢ قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ١ طوبى لقوم يموتون على ساحل البحر
يخرجون من قبورهم حتى يردون العرش ١٢ فيقول الله عز وجل : لا حساب
عليكم اليوم ، انطلقوا مغفورا ١ لكم وعاتقوا الأبيكار » .

عن طاووس ١ الباقى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الم رابط في
سبيل الله عز وجل ١ على ساحل البحر له في كل يوم ٢ دعوة مستجابة » . عن
محمد بن عباس أنه قال قال ١ كعب الأحبار إني لأجد في كتاب الله عز وجل
المنزل على موسى بن عمران عليه السلام : من رابط بالإسكندرية ضحوة .
١٠ جعل الله له تاجا من ذهب فيه قلوة تضيء ما بين المشرق والمغرب ،
باطنه المسك والكافور ، والذي نفس كعب يده هذا مكتوب في

(١) كذا ، والظاهر : الصلوات .

(٢) زيد في بن : رضى الله عنه .

(٣) في بن : الفردوس .

(٤) في بن مغفور .

(٥) في بن : طاووس - والجملة السابقة مكررة هنا واستأنف الناسخ الكلام

في بن [١١٥ : الف] .

(٦ - ٦) ساقطة من بن .

(٧) زيد في بن : له .

(٨) من بن ، وفي بر « قال » الثانية ساقطة .

التوراة^١ عن^٢ ابن عمر^٣ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من كبر على^٤ شاطئ^٥ بحر الروم تكبيرة لا يريد بها إلا وجه الله تعالى والدار [١٦٨: ب] الآخرة جعل الله في ميزانه يوم القيامة^٦ حخرة أثقل من السموات السبع والأرضين السبع وما ينهن وما تحتهن . عن أبي هريرة^٧ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رابط اثني عشر يوما في سبيل الله آمن يوم القيامة^٨ من الفزع الأكبر ، ومن رابط أربعة وعشرين يوما أعطاه الله تعالى أجر الشهيد المشحط^٩ في دمه ، ومن رابط ثمانية وأربعين يوما جعل الله روحه في حواصل الطيور الخضر^{١٠} تسرح في الجنة حيث شاءت وتأوى إلى فتاديل تحت العرش . » عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تقلد سيفاً ليلة الجمعة^{١١} مرابطاً في سبيل الله عز وجل لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى ، ثم مات بعد ستين كتبه الله مرابطاً إلى يوم القيامة . عن كعب بن محمد قال :

(١) في بن : التوراة .

(٢) في بن : وعن .

(٣) زيد في بن : رضي الله عنها .

(٤) ساقطة من بن ، ومن الممكن قراءة الكلمة التالية : بشاطئ^٥ .

(٥) في بن : القيمة .

(٦) زيد في بن : رضي الله تعالى عنه .

(٧) في بن : المشحط .

(٨) الكلمة واردة في بن وساقطة من بر .

. إرم ذات الحماد الإسكندرية ، - انتهى ' .

(إشاعة الحملة على الإسكندرية سنة ٧٦٨)

نعود - ولما كان في أواخر سنة ثمان وستين وسبعائة أشاعت
 ٥ الناس بالإسكندرية أن القبرى جمع جمعا كبيرا من النصارى قاصدا
 الإسكندرية ، فارتقبه المسلمون وتهيأت له الترك المجردة بها ، وأبرروا
 أسلحتهم التي بها يقابلونه ، وهى من السيوف الهندية والرماح الخفية
 والدق الطلية^١ والدبابيس اللينة والاعطبار المسنونة^٢ والقراس المدهونة^٣
 والقسي الموتورة^٤ والأعلام المنتشورة^٥ مع ما هيؤه^٦ له من النفط
 ١٠ والمدافع وأكر الرصاص التي ترى عليه بالمقامح^٧ ، مع المجانيق الضخامة ،
 والحجارة الصوالة^٨ ، والخيول المضرة ، والفرسان المنمرة ، والعساكر

(١) ساقطة من بن .

(٢) فى هـ مش بن : سنة ٧٦٨ ، و كلمة « بالإسكندرية » ساقطة من بن .

(٣) فى بر : فارتقبته ، وفى بن : فارتقبت له .

(٤) كذا فى بر ، وهى فى بن : الطلية .

(٥) فى بن : الردية .

(٦-٦) ساقطة فى بن .

(٧) فى بن : المحنة .

(٨) فى بن : المشهورة .

(٩) فى بن : هبوا .

(١٠) فى بن : بالمقالع .

المسعوده ، التي ^١ تلهب على لقائه كلهب النار ^١ الموقودة . وقد صار على تلك العساكر الإسلامية المجردة بالإسكندرية ^٢ البهجة و السرور ، و الضياء و النور ، ما يتعرضونه ^٣ عن ظلة القبور ، و يمجدون ^٤ ثمرته في يوم الحشر و النشور ، ^٥ أظهروا ذلك ليرموا ^٥ قتال القرمي ^٥ إن حضر ، يذيقونه بها العذاب الأكبر . و قد قلت في عساكر المسلمين و حيوش ^٥ الموحدين أياتا وهي :

قد تجلّى على ^٦ العساكر نور ^٦ و ضياء و بهجة و سرور
عسكر قد حوى لكل سلاح ماله في السلاح أصلا ظهير
إن رأيت السلاح ^٧ خلت المنايا كائنات و حذها محرور
أو رأيت القسي شاهدت سهما غايات مثل السحاب تمور ^{١٠}
لم تزل في اصنائها راسطات ^٨ فلذا عولجت ^٨ فورد ^٨ نيمر
قوسها دائم على كل حال مستمر مهيأ موتسور

(١-١) في بن : صارت ^١ كالتار . وفي بر « تلهب » بدل « تلهب » .

(٢-٢) في بن : بهجة و سرورا و ضيا و نورا ما يتعرضونه .

(٣) في بن : و يمجدون .

(٤-٤) في بن : اطهروها يروموا .

(٥) مكررة في بن .

(٦-٦) في بن : عساكر الاسلام .

(٧) في بن : السيوف .

(٨-٨) ساقطة من بن .

[١٦٩: الف] بسهام مسقية إن تخطت عن قسيها ترى الشرار يطير
 معها من لواب' الجرخ ما لو قابلتها الأسوار دُكَّ السور
 كم بها من مصفع من حديد زردياتها لها تقدير
 ثم يضاتها الصقيلة في الشمس عيون الفرج منا تنور
 ٥ درقاها اللط' و الطوارق صا رت كرياض زهرها مشور
 ودبايسها مع الطبر الحد لها في جاجم تكسير
 'و بها من سناجق شبه سرور و عاليات أعلامهن حرير
 و خيول ما مثلها من خيول و رجال ضراغم و نسور
 و عجائيق قد رمت بحجار كبحال إلى الفرج تسير
 ١٠ قمرى الكافرين أمسوا حيارى و جناح لهم غدا مكسور
 'يا إله الورى دعوتك جهرا ان قلبى مما جرى مكسور'
 اشف قلبى بغزوة فى النصارى و انتصر للإسلام أنت' النصير
 فالتبرسى إن عاد مرة أخرى إلى الإسكندرية رأى فى نفسه كل

(١) فى بر: مهو، و فى بن: كواكب .

(٢-٢) مطموسة بالترميم فى بن .

(٣) فى بن [١١٥ : ب] : العا .

(٤-٤) الأبيات ساقطة من بن .

(٥-٥) ورد البيت فى بن و هو ساقط من بر .

(٦) فى بن: فانت .

مصيية و بليّة قاله تعالى يخذله ويهلكه ، ويحمل إلى النارا المجيم
مسلكه . فان عاد بجنوده نكس المسلمون^٢ لصلباه و بنوده^٣ . وقد
قلت أياتا متفائلا بها كما قيل الفأل^٤ موكل^٥ بالمنطق وهي :

- إننا للمسلمين بالظفر من أعادى الله عبّاد الصور
فهم الإفرنج لما أن طغوا وبغوا صاروا على الأرض عبر
بسيوف المسلمين فاشتق^٦ كل قلب منهم^٧ بمن كفر
جرحوا كأس المنون إذ غدوا^٨ جيشهم مفلا قد انكسر
ذبحوا ذبها فصاروا مثل ما يذبح بالسكين ثيران البقر
و غدا بعضهم في الاسر قد سُلسلت^٩ أعتاقهم فلا مفر^{١٠}
ما نجا منهم غلام بالذى قد جرى حتى يرُد بالخبر
أذكر الآن الذى جمعهم وهم للتغر إن جا وحضر
فهو كلب اجرب من قبرس في علوج طعم نيران سقر

(١-١) في بن : طوي .

(٢) في بن : نكست المسلمون ، وهي في بر : نكست للمسلمين .

(٣-٣) في بن : صلبان أعلامه و بنوده .

(٤) في الأصلين : متفاولا .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : موكل .

(٧) في بر : فاشتقا ، وفي بن : واشتق .

(٨) في بن : غدا .

(٩) في بن : صفر .

بحو ثمر المسلمين فاغندوا طرعا في الأرض من ضرب الطير
فالنويرى قال ذا تقاؤلا قبل أن يأتى وللقال أثر
أسأل الله بجماء المصطفى سيد العالم من نسل مضر
[١٦٩: ب] أن يحقق كل ما قلته في الذى للسليين قد عقر
ه اخرب الله أرض قبرس و اقل الله جمع من كفر
وانصر الإسلام نصرا دائما أنت أولى من به الدين انتصر
ثم بعد ذلك ورد الخبر إلى الإسكندرية بأن الملعون قصد طرابلس
الشام ، و فعل بها ما سأتى ذكره مفصلا إن شاء الله تعالى .

[مقتل بطرس لو سنيان سنة ٧٧٢]

١٠ ولما كان في شوال سنة اثنين^١ و سبعين و سبعمائة أتى الخبر إلى
الإسكندرية بأن البرز أخو رير بطرس^٢ صاحب قبرس^٣ قتله ، فقالت
أهل الجزيرة : لقد استرحنا من الفتن و أخذناه^٤ لأمواننا بالقهر و قهره

(١-١) في بن : ما قد .

(٢) ورد قبل هذا اليت : ولما كان في شوال . والجملة مشطوية و قد جاءت
فيما بعد .

(٣) في هامش بر : في شوال سنة ٧٧٢ .

(٤) في الأصليين : اثنين .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : ولاخذه .

للفرنسيين و فتكهم^١ في حريم النصارى بما لا ترضاه الأساقفة ولا^٢ القسيسون^٣ . فهلك^٤ وقضى ومضت روحه إلى نار لظى . وما قيل في أمثاله :

يا مالكا خذ من أتاك وغلّه و اقصص أنامله وشق المتحرا
واعلم بأنك ما ظفرت بمثله فيمن مضى أو من آتى متأخرا^٥
ما كان إلا طينة ملعونة بالرجس قد جُبلت ومنها صورا
وقيل إن الملعون لما ظفر بالإسكندرية أرسل لابن عمه بجنوه
خمسائة^٦ من أسراها وأسرى غيرها ، وكان الذى بجنوه يهاديه
أيضا ويساعده على مقاصده ، وإن القبرى بمخل على أمراة القبارسة^٧ ،
و كل شيء حصل له من الإسكندرية هادى^٨ بأكثره الملوك وأحرم^٩
أمرائه^{١٠} منه وقرب الفرنسيين ، ثم إله قال للقبارسة : أريد السفر بكم
إلى الشام أغازى أهله . فصحب ذلك عليهم ، لعدم احسانه إليهم ، وكانت
مقالته تلك^{١١} نجبرا بهم . فاتفقوا مع أخيه البرنز عليه ، وذلك بعد

(١) في بن ، و فتكه .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : القسيسين .

(٤) زيد في بن : الملعون .

(٥) في بن : قوة كثيرة .

(٦) زيد في بن : لعدم عطايهم .

(٧) كذا في بن ، وهى في بر : هادا .

(٨) في الأصلين : أمراؤه .

(٩) زيد في بن : لهم .

وقته^١ طرابلس و بلد ايامس ، وقالوا له : انظر ما يعمل با أخوك من
عدم إحسانه لنا و تعرضه^٢ بالحرب^٣ مع نهبه لأموالك و أموالنا ،
فان سمعت منا ما تقول لك من القول الذى فيه الصلاح كان لنا و لك
الحظ الاوفر^٤ . قال : و ما هو ؟ قالوا : قد أكثر أخوك الفتن كما علمت ،
'و نهب أموالك و أموالنا^٥ بما هو يفعل ، و قصدنا الإراحة منه ،
'و تنصب لك^٦ و نملكك رقابنا لتخمد الفتن ، و نصطليح مع صاحب
مصر لتصير بضائنا تباع بالإسكندرية ،^٧ لتربح فيها^٨ الفوائد القوية ،
كما كنا أولا و نجبر فيها أيضا بضائنا الكاسدة ، التى صارت بفعل
أخيك فاسدة ، فاقول فى ذلك ؟ قال : أخاف إن طاعتكم تغدرونى^٩
١ و تسلبونى و لا ترحمونى . لحلفوا له على الإجميل الجليل^٩ أنهم ينصرونه

(١) فى بن : وقت .

(٢) فى بن : بالحرب .

(٣) زيد فى بن : والسعد الأكبر - و يطوها كلمات مطموسة بالترميم .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن : الراحة .

(٦-٦) فى بن : و قوم معك .

(٧-٧) فى بن [١١٦ : الف :] لتحصل لنا .

(٨) فى بن : تغدروا بنى .

(٩) ساقطة من بن .

ولا [١٧٠ : الف] يخلوه ولا يسلموه ١ . قال لهم : إذا كان ذلك فهيؤا إلى جماعة أستمع بهم على قتله ٢ . فهيؤهم له ٣ ، فكتب كتابا وختمها ، وأتى بهم في الليل إلى دار أخيه الملك ربير فاستأذن عليه ، فأذن له فدخل ٤ . فقال له : إن ابن عمك أرسل لك رسلا معهم كتب ٥ وهم بالباب فدعى ٦ بهم . فلما وقفوا بين يديه مجبوا سرعة عليه قطعوه ٧ . قطعا يحتاجرهم ، وضموه في فراشه ، ووضعوه في خرستان ٨ وغلقوه ٩ عليه . فلما أصبح الصباح شاع الخبر بقتل الملك وجلس أخيه ١٠ البرز على كرسى الملك ، ١١ بعد أن نودي ١١ في البلد أن السلطان البرز يقول لكم : يعوا واشتروا وخذوا وأعطوا . فملت الناس أن ربير الظالم الفاسق قتل ، قرحوا لقتله لكثرة أذاه لرعيه وجوره وفيه ١٠

(١) زيد في بن : لأعدايه .

(٢) في بن : فلذا .

(٣-٢) في بن : فهيؤا له ذلك .

(٤) في بن : قصر .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) في الأصليين : كتبها .

(٧) في الأصليين : فدعى .

(٨) في بن : خزانة .

(٩) في بن : وغلقوا .

(١٠) الكلمة ساقطة من بن .

(١١-١١) في بن : ونودي .

لأموالهم ، وإفساده^١ لأحوالهم . فاستمر البرز سلطانا ، فسمع ابن عمه الذى بجنوه بقتل البرز لآخيه رير ، فشق ذلك^٢ عليه ، فمتر خمسة وعشرين غرابا ليأخذ بثأره منه . فلما بلغ البرز ذلك أعرض جيشه و تقى فى أربعة آلاف فارس و راجل ، ومدته الذين كانوا السبب ه فى قتل الرير^٣ بالأموال و هم متظرون قدومه^٤ إليهم و وروده^٥ عليهم بسبب الحروب^٦ و الطعن و الضرب^٧ ، و أهل الجزيرة بأجمعهم خائفون مرصوبون ، قد دفنوا أموالهم ، و تأهبوا للقتال ، و الحرب و التزال - و اقته أعلم بما سيكون بينهم من الحروب^٨ .

(الأشرف شعبان و حراسة الإسكندرية و دمياط)

١٠ فلما بلغ السلطان الملك الأشرف شعبان^٩ ذلك أرسل الأمراء من القاهرة إلى ثغرى الإسكندرية و دمياط لحراستها خشية أن تكون حيلة و مكيدة على بلاد^{١٠} المسلمين . فأتى إلى الإسكندرية من الأمراء

(١) فى بن : و لا فساد .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) فى بن : رير .

(٤) فى بن : حروبه و قدومه عليهم .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : القتال .

(٧-٧) فى بن : و خاف أهل الجزيرة بأجمعهم ، و دفنوا أموالهم و اتأهبوا ، و تأهبوا للحرب و التزال . و فى بن : خائفين مرصوبين .

(٨) الأشرف ناصر الدين شعبان و حكمه ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٢ - ١٣٧٦ م .

(٩) فى بن : سواحل .

أُسْتُبْنَا بن البوبكرى و قطلبغا المنصورى و الامير المعروف بسيدى
ابن عمة السلطان الملك الاشرف شعبان، و أنى أيضا لها^١ أوردس البشكى
و الامير ابن تفرؤمر و الامير شرف الدين بن الازكشى و الامير أخو
أتبغا جلب و الامير مبارك الطلازى بأجنادهم و عماليكهم، فكان دخولهم
الإسكندرية^٢ مستهل ذى القعدة سنة اثنتين^٣ و سبعين و سبعمائة غير من ه
هو بها مقيم مثل ملك الأمراء صلاح الدين خليل بن عرّام^٤ و تمرّاز
أمير حاجب و بكتمر الطلى^٥ أمير حاجب أيضا بما معهم من الأجناد
و الممالك إلى غير ذلك من قياد الصناعة و رماة^٦ القاعات المتطوعة و العربان
المركزة ظاهر^٧ الإسكندرية و يباطنها أيضا الألوف المؤلفة من أهلها و الغرياء^٨
التي صارت مقيمة بها و مهياة^٩ الحرب^{١٠} [١٧٠ : ب] فيها، و كلهم ١٠
طالبون^{١١} المجاهد فى سبيل الله، و ما النصر إلا من عند الله . فلم يأت

(١) فى بن : هم .

(٢-٣) فى بن : إليها أيضا .

(٣) فى هامش بر : مستهل ذى القعدة دخولهم سنة ٧٧٢ هـ .

(٤) فى الأصليين : اثنين .

(٥) فى بن : العرام .

(٦) فى بن : العلائى .

(٧) فى الأصليين : و رماة . بالناء للفرجة .

(٨) فى بن : بظاهر .

(٩) فى بن : و العربان .

(١٠) فى الأصليين : مهية .

(١١) كلمة « الحرب » مكررة بالصيغة التالية .

(١٢) فى الأصل : طالبين . والكلمة صححت بقلم غير قلم الناسخ .

أحد من النصارى للاسكندرية ولا دمياط، حين بلغهم كثرة الرباط .
ولما كان في سنة خمس وسبعين وسبعائة^١ تحركت الجنوية^٢ على قبرس،
أخذوها^٣ من القبارصة بعد أن قتلوا من أهلها خلقا^٤ كثيرا، وملكوها
منهم، وأخرجوا البرنز منها منقيا إلى بعض^٥ الجزائر .

(عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة)

نعود إلى قول ابن أبي حجلة في مرثيته :

وحقك عندي للفرنج مكائد فليت ولي الأمر يدري بما^١ أدرى
فرن^٢ لي بأسطول به أهل سبته بغيرانهم مثل النسر إذا تسرى
يعنى بولي الأمر إذ ذاك الأمير الاتابكي يلغا الخاسكي . قصد بقوله
١٠ ذاك تعرفه مكائد حرب البحر، وتلك المكائد تعرفها أهل سبته ومن
جاورهم من المسلمين . والفرنج التي بجزيرة الأندلس^٣ يخشونهم لخديهم^٤
ومعرفهم بقتالهم وغربانهم المرصدة لذلك . وقصده أيضا تحريض
الأمير يلغا على تكثيره بالإسكندرية^٥ قياد المغاربة لأنهم فرسان البحر

(١) في هامش بر: سنة ٧٧٥ .

(٢-٣) في بن: أخذت الجزيرة .

(٤) ساطعة من بن .

(٤) في بن: غيرها من .

(٥) في بن: ما .

(٦-٦) في بن [١١٦ ب] : شرهم ما ردهم (١١) .

(٧) في بن: بغير الإسكندرية .

لا عبيادهم لذلك . وقيل إن عدة أبواب^١ سبته أحد^٢ وثلاثين بابا ،
واحد^٣ للبر و^٤ البقية لدار^٥ صناعتها للبحر ، وداخل كل باب منها غراب
راكب على حماره الخشب المعتدل^٦ . فإذا جرت حركة مع القرنج أو أتتهم
بأفروطة^٧ ، أخرجت القياد تلك الغريبان بحرم حرها ، فترى تلك الغريبان
البحر دفعة واحدة ، وشجت^٨ برماتها وقيادها وأسلحتها وأزوادها ، وقد ه
صاروا على الكفار ، كاشتعال النار . فإذا كان بالإسكندرية^٩ مثلهم ينفق
عليهم كل شهر نفقتهم الكافية لهم ، حفظت بحفظ الله^{١٠} دارها ، واتقى^{١١}
عنها عارها و شئها^{١٢} .

(مدينة سبته و خليجها)

و مدينة سبته^{١٣} محاذية لجزيرة الأندلس ، بينها تعدية الخليج المعروف ١٠

- (١) زيد في بن : مدينة .
- (٢) في الأصلين : أحى .
- (٣) في بن : واحدا .
- (٤ - ٤) في بن : والباقي من دار .
- (٥) في الأصلين : المعتدلة .
- (٦) في بن : أفروطة - بسقوط باء البحر .
- (٧) في بن : قد شجت .
- (٨) في بن : بصناعة الاسكندرية .
- (٩) زيد في بن : تعالى .
- (١٠) كذا في بن ، وهي في بر : واظنا .
- (١١) كلمة « وشئها » ساقطة من بن ، وزيد بعدها : لكن كان ذلك الكتاب
مسطورا وكان أمر الله قدرا مقدورا .
- (١٢) في الهامش : ومدينة سبته .

بزقاق سبعة ، وبه القنطرة التي بناها بعد خضه له الإسكندر ، فعلا
القنطرة الماء لقوة دفعه من البحر المحيط ، فصارت القنطرة تُجرى من أسفل
الخليج لصفاء الماء . وذلك أن الإسكندر فتح هذا الخليج كما قيل يُفرق
به بلاد الكفار ، فر الماء على بلادهم وأرضهم ، ففرق منها الأراضي
المنخفضة ، وصارت الأراضي المرتفعة جزرا بجزيرة قمرس و جزيرة
رودس ' و جزيرة سردانية ' و جزيرة صقلية و جزيرة رواد و حريرة
اغروه و غيرها من الجزائر العديدة . وسيأتي ذكر هذه الجزر وما قيل
فيها إن شاء الله تعالى .

وقيل إنما خسر الإسكندر هذا الخليج من البحر المحيط سوى
١٠ لسفر القراقير بضائعا إلى سائر الثغور [١٧١: الف] لسر نقلها من بلاد
الروم إليها في البر ، لأن القرقورة الواحدة تحمل من البضائع ما تحمله
المئين من الإبل ، وسير القراقير بالريح العاصف لأنها تسير به في الأمد
اليسير ما لا تسير به الإبل في الأمد الطويل . وقيل إن الإسكندر
لما قصد خسر هذا الخليج المعروف بزقاق سبعة لم تعمل المعاول في

(١) قد بن : وأراضهم .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) قد بن : الجزر .

(٤-٥) قد بن : ما لا تحمله الإبل الكثيره (كذا) .

(٥-٦) قلاع عن بن ، والجملة ساقطة من بر ويكتمل بها الكلام .

(٦-٧) قلاع عن بن ، والجملة ساقطة من بر ويكتمل بها الكلام .

أرضه لتجيره^١ و صلابته ، فسأل الحكماء في^٢ ذلك فقالوا له: تأمر بجمع
الحطب الكثير فتضعه^٣ على أرضه و تطلق فيه النار ، فإذا صار حجرا
أطفي^٤ ذلك الحجر بالخل فيسهل حفره . فعمل ذلك فارتقى حجره
و نهياً حفره . ثم بنى قطرة يمشى عليها من برسبة إلى بر الاندلس . فلما
جرى الماء في ذلك^٥ الخليج ركب الماء^٦ القنطرة لقوة جريانه و كثرت^٧ ه
فلا عليها ففرق^٨ المتخضض من الأرض ، و صار المرتفع منها جزرا
فيها عيون فيها^٩ مياهها العذبة الجارية بها ، تجري على حالها .

(البحر الأعظم و كروية الأرض)

قال صاحب كتاب عجائب البلدان: زعم كثير من الفلاسفة و أهل
العلم بالهندسة^{١٠} أن البحر الأعظم يحيط بالأرض من جميع جهاتها ١٠

(١) في بن: لتجيره .

(٢) في بن: عن .

(٣) في بن: وتضعه .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر: طفي .

(٥) في بر: فارتقى - وفي بن: فارتقى - بسقوط الراء .

(٦) زيد في بن: من البحر المحيط .

(٧) ساقطة من بن .

(٨) في بن: ففرض .

(٩-٩) في بن: علم الهندسة .

لاسرار ذكروها، وذلك أن الشكل الذي ينسب إلى العنصر المائي السيل الجوهري^١ وهو شكل ذو ثمان قواعد مثلثات متساوية الاضلاع قائمة الزوايا ويسمى كعبا وهو شكل الأرض على رأى أفلاطون و كثير من القدماء وذلك صحيح فجرم الماء ومقداره أعظم من جرم الأرض ٥ وأكثر كمية على ما تينوه . وقد نقل عن بعض المؤرخين أن أحد ملوك الأرض أراد أن يعلم صحة ذلك فأنشأ سفنا ضخمة حصينة وشحنها بالرجال و الأزواد و الماء العذب و المال و أرسلها نحو المشرق و المغرب و الشمال و الجنوب ، فأصابوا جميع أجزاء الأرض ، يتصل بعضها ببعض ، و وجنوها كلها تتشعب من البحر المحيط .

١٠ و أعلم أن الأرض كرية الشكل^٢ ، و الحكمة في ذلك أنها لو كانت مسطوحة كلها لا غورها و لا تنز يحرقها لم يكن نبات و كانت مياه البحر سائلة على وجهها فلم يكن للزرع موضع و لم يكن لها غديران^٣ يعضى مياه السيول إليها و لا كانت لها عيون تنبع بالماء أبدا لأن مياه العيون لو كانت فيها تخرج دائما لفنت و لصار الماء أبدا غالبا على الأرض فكان ١٥ يهلك الحيوان و لا يكون زرع و لا نبات ، فجعل عز و جل منها أنجادا و منها أغوارا و منها أنشازا و منها مستوية . أما أنشازها فنها الجبال

(١) في بن : الجوهري .

(٢) في هامش بر : الأرض كرية الشكل و حكمة ذلك .

(٣) في بن [١١٧ : الف] : غديرات .

الشائعة و منافها الظاهرة^١ في قوة تحدر السيول منها فتنتهي^٢ إلى الأرض البعيدة بقوة جريانها [١٧١ : ب] ولتقبل الثلوج فتحفظها إلى أن تنقطع مياه الأمطار و تذيبها الشمس^٣ فيقوم ما يتطلب منها مقام الأمطار ، و لتكون الآكام و الجبال جواهر للياه لتجري^٤ من تحتها و من شعوبها و أوديتها فتكون منها العيون الغزيرة ليمتصم بها الحيوان و تسخذها^٥ مأوى و سكنى ، و لتكون مقاطع و معازل و حواجز بين الأرضين من غلبة مياه الأمطار عليها - فسيحان المدبر الحكيم !

[الجواهر الأربعة والأغذية]

و اعلم أن الأرض من أربعة جواهر* : من الرمل و الطين و السبخ و الأملاح ، و جوفها أطباق يتعزق فيه الهواء و يحول فيها ، ١٠ لأن الماء جسم سيال حول الأرض ، و الهواء جسم لطيف سريع الحركة في الجهات ، فإتسكن فيها الهواء كان عذبا شروبا ، و ما امتنع الهواء من التمكن فيه و غلبت عليه أملاح الأرض و سبخها^١ صار ملحا أجاجا .

(١) في بن : ظاهرة .

(٢) في الأصل : فينتهي .

(٣) في بن : الشمس .

(٤) في بن : ولتجري .

(٥) في الهامش : الأرض من أربعة جواهر .

(٦) في بن : و سبخها .

فالجزر ارتفعت عن الأرض ، ومياه العيون في الأرضين كالعروق في
البدن تنفجر فيها . والهواء عنصر لأبداننا وأرواحنا ومحيط بنا فهو
شديد التأثير فبنا ، فيجب تعديله في حره وبرده ، ويحتس من استنشاق
ما يتخلطه من شوائب رديئة كالدهان والغبار وآسن الماء و قن الجيف
و أبخرة المباقل الرديئة ، والأشجار الحثيثة وشر تغيرات الهواء والوباء ،
وهو تعفن جوهر الهواء ، فتعفن الأرواح التي في القلب ، ثم الإخلاط
بتوسطها ، و تدبيره أن يستفرغ البدن إن أحس بامتلاء بحسب ذلك
الامتلاء ، ثم يعدل المزاج بماء الرمان الممزوج بالسكر أو شراب السكنجين
الساذج أو الحامض أو الرمانين ، ويهجر الجماع ، ويفرش مسكنه بالأس
ويرش بالخل ، ويوقد فيها خشب الطرفاء ، وينخر بالصندل والكافور
والعود واللبان والورد والميعة ، ويقتصر على الأغذية اللطيفة المعتدلة
المزاج كالفراريج زيرباجه أو بماء الرمان المزمز أو بماء الليمون
أو الحمض أو الحصرم ، ويهجر الفواكه خلا السفرجل ، ويطرح في
المشروب الطين الأرمي ، أو يمزج بيسيرخل ، ويقلل الشرب ما أمكن ،

(١) في الهامش : مطلب يصلح بأيام الوباء والطاعون و يطلب من الاستعمال .

(٢) في بن : الاستنشاق .

(٣) في الأصلين : رديئة .

(٤) في الأصلين : الرديئة .

(٥) في هامش بر : الوباء .

(٦) في بن : جواهر .

(٧) في هامش بر : مطلب ما يستعمل في زمن الوباء والطاعون على رأي الحكماء .

و يتناول في بعض الأوقات هذا الدواء وصفته : صر سقطرى جزءان ، وزعفران جزء ، مر صافى جزء ، يؤخذ من جلته نصف مثقال بماء ورد .
 وينبئ^١ الاقتصار على الاغذية المعتدلة أو ما قاربها مثل خبز الحنطة المحكم الصنعة ولحوم الحولى من الضأن والدجاج والاوز^٢ والحجل والدراج : فراخ الحمام النواضص وصفرة البيض نيمرشت والزبد الطرى^٣ والسنن الحلوى والفواكه في أوقاتها ، ولا يتعرض للأغذية التى هى^٤ [بن ١١٧ : ١] بالأدوية أشبه إلا لضرورة وذلك مثل الحردل والشراب والقديد والسباق ، [بن ١١٧ : ب] ويحذر ما استعد للعفوة كالصبر والصحناء وما يحرق الدم عكره كالتمر إلا في بلاده والشواء المغموم

(١) في هامش الأصل (بر) : أضياء تحفظ من المآكل .

(٢) في بن : و الأرز .

(٣) تقع هنا ملحوظة كبيرة في بروهى واردة في بن من ١١٧ : الف إلى ١٢٤ : الف . وربما كان إسقاطها معنيا من ناسخ بر نظرا لما يضلها من الصعوبات وما يتورط أحيانا من الخلل في اللفظ والمعنى . ولكننا آثرنا إدماجها في النص للنشور على علاقتها لكثرة ما بها من معلومات مضرة لا تغفل من الفائدة . ويلوح من الأخطاء القوية وغيرها أن ناسخ بن لم يكن من العلم بمكانة مرموقة ، وقد حاولنا بقدر الاستطاعة أن نجعل نصه مفهوما مستساغا بدون مس ما فيه من أخلاط . ومن المؤسف أن هذا القسم من النص غير وارد في مخطوطات أخرى كان من الممكن أن تساعد في تحقيق ما جاء به من اللابسات عن طريق المقارنة .

(٤) كذا في الأصل ، والكلمة غير منقوطة ، وأغلب الظن أنها « الصحة » ويقصد بها « السردين » على ما جاء في معجم Hans wehr و قاموس سركيس .

والإلطف على الأغظ^١ فيقدم القول المسلوقة على البيض والبيض على اللحم من الطير والطير على لحم ذوات الأربع، ولا يدخل طعاما على طعام، ولا يأكل بغير شهوة، ولا يدافع الشهوة الصادقة، ولا يتحرك بعد الغذاء إلا بسيرا قدر ما يحذوه لا ما ينفذه [كذا]،
 ٥ وتكثر الألوان محير للطبيعة، والذائد أحد لولا الإكثار منها^٢، وملازمته النفد يسقط القوة ويكسل، والحامض يخفف ويسرع الهرم ويضر العصب، والحلو يرضى المعدة ويحمى الأبدان، والنغد والرسم المالح أو الحريف بالصد، وملازمة الحية ينهك القوة بل هي في الصحة كالتهبط في المرض، وينبغي أن تنوع الأطعمة بحسب الفصول فيؤكل
 ١٠ في الربيع الاسفيداجات^٣ والمعرقات والفائرية والفقاعية ونحوهما، ويؤخذ في الصيف الليفية والمضيرة والملوخية والبامية والتفاحية والمشمشية والسفرجلية والسباكية والحصرمية والتوتية والحماضية والليمونية، وتقدم الفاكهة الملوثة على الطعام كالغلب والتين والبرقوق والكمثرى والسفرجل إلا لمن به زلق معدة، وأما البطيخ فلا يؤخذ
 ١٥ مع غذاء آخر فيفسده، ويؤكل الجوادب الدسمة وشوربا القمح والاوز

(١) في الأصل بدون قط « الأغظ » .

(٢) في الأصل : منه .

(٣) في حالة ورود ألفاظ غريبة مثل « الاسفيداجات » و « الفائرية » وغيرها مالا نعرفه ولا ذكر له في المعاجم السائرة آتينا نسخ اللفظ كما جاء في النص بالحرف الواحد آمليين أن يتمكن العلماء والدارسون من فك رموزها أو تصحيحها فيما بعد .

بحليب البقرة والزبد بالسكر، ويؤكل في الشتاء الهرايس والرشتا الحثير والأرز
 المقلقل والقلقاس والجرز واللفت والقلايا المبزوة والمطيب بالمزى
 المغربى والشواء والكبب ولحوم الطير والوحش حارة بالفعل، ويتناول
 اليسير من اللحوم المعتدلة، ويتنقل بالزبيب والفسق واللوز والبندق
 وسحوها. وأما المياه فأفضلها مياه الأنهار العذبة الشديدة الجرية على ٥
 الأرض الجرد مستقبلة الشرق أو الشمال، وإنما ينبغي أن يشرب
 عند العطش الصادق قدر الرى من غير زيادة عليه من الخالص البارد،
 فإن الفاتر قليل الرى منى شرخ المعدة، ولا يشرب عقيب الطعام بل
 يترص بعده المحرور نصف ساعة ساعتين وما دام الطعام
 في المعدة فلا يشرب غير الماء، وأما في حظه فردى جدا إلا من اعتاده، ١٠
 ويكره الشرب في الحمام وعقبه وعقيب الجماع والحركة ومن عطش
 بعد نومه ثلثا يكشف قدميه ويعرضها للنسيم البارد، ويرخص في
 الشرب على الصوم المحرور والمحروم فقط، والماء الصادق البرد يقوى
 المعدة ويجمعها على الطعام ويجزى القليل منه في تسكين العطش اليسير
 ويمنع من تعفن الدم وأن تصعد البخارات إلى الرأس، ويحفظ بالجملة ١٥
 الصحة غير أنه لا يصح لمن به ' نزلة يحتاج ' إلى فضج ولا لمن به زكام
 يكثر ولا لمن به ورم يحتاج إلى أن ينضج، والماء الحار ٢٠
 الحضم ٣٠ الطعام في أعلى المعدة ويطهى تسكين العطش ويؤدى

(١) هنا جملة مطموسة في الأصل .

(٢-٣) مطموسة جزئيا في النص ولكن يمكن قراءتها على هذا النحو .

(٣) مطموسة بالأصل .

إلى الاستسقاء وهو ردىء في حفظ الصحة ، والماء المالح يسهل البطن
ويقله من بعد ويولد الحكة والجرب ويفسد الدم والمزاج ، والمياه
الردية تذبل الأجسام . والنوم راحة الأعضاء والقوى كلها ويعين
على الهضم ، ونوم الليل يكون بأى ساعات ونوم النهار يخرق الهضم
هـ ويفسد اللون ويولد الدخن ، [بن ١١٨ : الف] والسهر يسهل الهضم
ويحلل الأرواح ويضعف القوة لا سيما لمن اعتاده .

[جزر بحر الروم]

فلنذكر الآن بعض جزر البحر الرومى : جزيرة قبرس وهى تسمى
بلغة الروم شيبرا^١ والبحر يحيط بها مائتا ميل والميل أربعة آلاف ذراع
١٠ والذراع أربعة وعشرون أصبعا والأصبع ست شعيرات مضموم بعضها
إلى بعض ، والفرسخ بهذا الميل ثلاثة أميال . وجزيرة قبرس من الإقليم
الرابع من جملة الأقاليم السبعة . وسلطانها يقال له باللغة الرومية
٣ ارادا شيبرا^٢ قصر ارادا سلطان وشيبرا^٣ الجزيرة ، وقبرس مدينة
الجزيرة المذكورة ، وقيل إن قبرس تسمى المافوصة^٤ وعليها سور

(١) فى الأصل : باني .

(٢) بالفرنسية Chypre .

(٣-٢) الغالب أن المقصود هنا Rey de Chypre .

(٤) فى الأصل : شيبرا .

(٥) هى Famagusta إحدى موانئ جزيرة قبرس على الساحل الجنوبي
الشرقى للواجهة للساحل المصرى .

يحيط بها ويمتد سلسلة تحفظ مراكبها . وقيل إن جزيرة قبرس مسيرتها سبعة أيام ، وجزيرة قبرس من ١٠٠٠٠ منها رأس الباف ، ورأس المنجل ورأس الأبيض اللسون ٣ والانيك ٤ والملاحه واكرمينية ٥ . وجزيرة قبرس بها جبال شاهقة ٦٠٠٠ وأعين ماء جارية . وجزيرة قبرس مدينة يقال لها الأقسية ٧ داخل سورها بساتين ، وصاحب قبرس نازل بها في قلته ، و بالجزيرة أيضا قلعة يقال لها الشرفية وهي بمن للفرنج . و بالجزيرة أيضا دير يقال له اللسون ٨ في جبل وعرة ، وقيل إن جزيرة قبرس اثنا عشر ألف ضيعة كبار وصغار ، وبمدنها وقراها من الكنائس والديورة والقلال والصوامع كثير ، وبها المعادن والبساتين المشتملة على الفواكه المختلفة الطعوم والرياحين العطرة ٩ كالخزام والقيصوم والبحار والثمار والورد والياسمين والشوسان والترس والزرجس والريحان والأقحوان وزهور شقائق النعمان الكثير . و جزيرة قبرس غربي بلاد الشام في البحر مغلصة وحدها ولها ذنب مستطيل نحو الساحل مما يلي دمشق وغربها أعرضها ، وبمدنها الأسواق

(١) يماض بالأصل .

(٢) على مقربة من مدينة Paphos الواقعة على الساحل الغربي للجزيرة .

(٣) ميناء Limassol أو Lemesos وعرفت قديما باسم Neapolis .

(٤) ولها مدينة Aiki المعروفة باسم Larnaka على الساحل الجنوبي الشرقي للجزيرة .

(٥) ولها Kyrenia مدينة على الساحل الشمالي للجزيرة .

(٦) يماض الأصل .

(٧) عاصمة الجزيرة Nicosia وتعرف أيضا في اليونانية باسم Lefkosia .

والحنائت والحرائت والحنائت والحدور العالمة والحمامات تدخلها العلوج والدامات .

[الحمام: منافعها ومضارها]

وقد تقدم في هذا الكتاب الوعد بذكر الحمام^١ : منافعها ومضارها . فلنذكر الآن ما تيسر ذكره منها . إعلم أن خير الحمامات ما قدم بناؤه واتسع هواؤه وعذب مأواه ، قالبت الأول مبرّد مرطب ، والثاني مستنّ جفّف ، ونعم البيت الحمام ينعم البدن ويذكر الآخرة ، وبئس البيت الحمام يقلّ الحيا ويبدى العورة . قال ابن أبي زيد ولا يقرا في الحمامات الا بالآثاات البسيرة ، وقال القاضي عبد الوهاب لأن الحمام لا يُدخل الا للضرورة ، وقد قيل انها من بيوت الشياطين والقراءة قربة (كذا) وفعل خير من افضل الطاعات فيجب أن تكون القراءة في أشرف المواضع ، وما قاله ابن أبي زيد هو خير ، ولا يدخل الحمام إلا بمئزر لأنه يعترض عليه ستر عورته عن (التا) ص ٢ ، ومضى دخل ذلك محتارا كان فاسقا لم تقل شهادته ، وأما دخول الحمام مستترا مع من لا يستتر فلا يجوز ولا يحل فان ستر العورة فرض ، والنساء في هذا بمنزلة الرجال ، ولا تدخله المرأة إلا عن علة ، وان المرأة ليست كالرجل لأن جميع بدنها عورة لا يجوز لها إظهاره لا للرجال ولا للنساء . قال سمنون : لا تدخل المرأة الحمام حتى تستر جميع بدنها . واعلم أن الحمام لها منافع

(١) واضح أن الكلمة مأخوذة عن اللفظة الفرنجية (Dames) .

(٢) مطموسة جزئيا .

ومضار، أما منافها فتوسع المسام وتستفز العضلات وتحلل الرياح ١٠٠٠
 بت [بن ١١٨: ب] سهولته عن هيضه وتظلف الوسخ والعرق وتذهب
 الحكمة والجرب والإعياء والتمب وترطب البدن وتنضج النزلات
 وتخرج من الداء ما لا يبلغه الدواء، ومن منافها أيضا تلين اللحم
 وأعداد البدن للاغتذاء وبسط الأعضاء المشحونة ونش الرياح وانضاج
 الزكام وتسهيل البول العسر وجبر الطليعة المتعطية . وقيل إن كل داء له
 دواء إلا الحماة لا دواء لها . قال الشاعر:

لكل داء دواء يستطب به إلا الحماة أعيت من يداورها

والحق قلة التنبه لطريق الحق، والجنون غم ٢ عارض بعم العقل، والواقعة
 هو أن يرتكب الباطل ويراه في صورة الحق ويدب عنه فيورثه ذلك
 قسادة القلب كما قال تعالى: "ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
 أو أشد قسوة ٣" . والرقيع الذي يلصق بقلبه كل محال كان، والأرعن
 الذي يأتي بما يخرج عن الصواب - انتهى .

نمود، قال بعض الأطباء: بولة في الحمام من قائم على قدميه أضع
 من شرب دواء . وقال الشاعر في معناه:

حمامكم هذه نزاعة للهوى البول فيها قائما أضع من الدواء

(١) الجملة مطموسة بالترميم ولا يظهر منها غير الحرفين الأخيرين .

(٢) اثنين في الأصل غير منقوطة .

(٣) قرآن كريم: ٢: ٧٤ .

وقال بعض الأطباء: عليك بدخول الحمام في كل يوم فانه يخرج من الأطباق ما لا تصل إليه الأدوية. ونهى عن الصلاة في الحمام حيث لا نوقن منه بطهارة وذلك للنهي الوارد منه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في الحمام لأنها تحل غسل النجاسات ولأنها مأوى الشياطين لما تكشف فيها من العورات أو لأنه ليس من الآبنة المختصة بالصلاة، وإنما الغرض به إزالة النجاسات والأوساخ فكرهت الصلاة فيه. وقد ورد عنه عليه السلام أنه قال: الأرض كلها مسجد إلا الحمام والمقبرة، فإن أمن النجاسة جازت الصلاة فيه. ويكره مع يقن الطهارة الخبر والتعليل فانه مأوى الشياطين، وتكره الصلاة في المزیلة ومقابر المشركين وكنائسهم، ١٠ فأما المزیلة مخشية النجاسة، وأما المقبرة فإن كانت للمشركين كرهت الصلاة فيها لتعذيبهم فيها ونزول السخط عليهم في قبورهم فكرهه المقام فيها أصلاً فضلاً عن الصلاة، وأما مقابر المسلمين فإن كانت لا تنبش جازت الصلاة، وإن تحقق النبش لم تجز الصلاة لأن ذلك التراب محتلط بنظام الميت وصديده إلا أن تجعل بينه وبينها حائل من حصير ونحوه فالصلاة ١٥ اذن جائزة، وأما الصلاة في الكنائس فكروحة لعل منها النجاسة لتعذيبهم بشرب الخمر (وأكل الخنزير) فلا يؤمن ذلك في كنائسهم، ومنها التماثيل والتصاوير، فأما في حال الضرورة فالجواز انتهى.

[ذكر الاغذية]

نعود إلى ذكر ما قيل في الأكل وغيره، إياك أن تأكل طعاماً

(١) مطموسة جزئياً.

و في معدتك طعام ، و إياك أن تأكل ما تعجز أستاذك عن مضغه فتعجز
معدتك عن هضمه ، و عليك في كل أسبوع بقية . قال ابن سينا : و في
كل أسبوع عليك بقية قريبا أمان من شرور البلاغم ، و إذا تغذى أحدكم
ظنم على آثر غذاه ، و إذا تعش فليمش أربعين خطوة ، و كل ما اكل
كثيرا تفسد معدته و يلحقه الريح و يصفر وجهه ، و كل من جامع ه
كثيرا ضعف كلامه و تشفت معدته و أظلم بصره ، و من تعود العشاء
..... سترحب^١ و الدار فلفل و الدار صيني و الزنجبيل . و بما
يفسد العقل ٢ البصل و الباقلا و الزيتون و الباذنجان و الجماع الكثير
و الوحدة و الفكر و الشكر و الضحك الكثير و بقل الطين (كذا)
و الأكل على البطنية (كذا) و الشرب على الخوا . و من ذلك جسمه ١٠
بقشور الزمان في الحمام أمن الحكمة و الجرب . و أما مضار الحمام
فانها ترخي الجسد و تضعف و أعظم مضارها صب ماء الحار على ٣٠٠٠٠٠
(الض) ميفة ؟ و قد تستعمل الحمام على قرب عهد بالشبع فتسمن البدن
إلا أنها تحدث سدا^١ ، [بن ١١٩ : الف] و أجود ما استعملت الحمام
على قرب عهد بالشبع بعد المضم فانه يرطب البدن و يحسن اللون . ١٥
و من مضار الحمام تسهيل صب الفضول الى الاعضاء الضعيفة و هو
من أعظم مضاره ، و إرخاء الجسد و اضعاف الحرارة الفريزية
و الاعضاء العسية بتحليل الروح النفساني عنها و إرخاء جميعا (كذا)

(١) بقية الكلمة مطموس . و بهامشه : مطلب فيما يفسد العقل .

(٢) في الهامش : مطلب فيما يفسد العقل .

(٣) مطموسة بالترميم و لعلها « الأعضاء » .

(٤) جائز قراءة الكلمة « ومددا » و فيها نحووض على كل حال .

وإسقاط شهوة الطعام وإضفاف المياه والنوم، والسواك في الحمام مضر، والسواك في غيره يذهب الحفرة ويحلو البصر ويشد اللثة ويطلب الفم ويتقوى البلغم ويفرح الملائكة ويرضى الرب ويوافق السنة ويزيد في حسنات الصلاة ويصحّ الجسم ويزيد في الحفظ وينبت الشعر ه ويصفي اللون . وينبغي أن يستاك بالآراك وأن يكون السواك متوسطا بين اللين والخشونة ويستاك عرضا فان الشيطان يستاك طولا إلا في اللسان فالسواك فيه طولا . وينبغي أن يبدأ من الجانب الأيمن من الفم وتعمل المختصر من يمينك أسفل السواك والبصر والوسطى والسبابة فرة ، ولا يقبض القبضة على السواك فان ذلك يوفر البواسير . ١٠ والبع من ريقك شيئا ~~لم يلبسك~~ فانه ينفع من الجذام والبرص ومن كل داء ولا تلبس بعد ذلك شيئا فان ذلك يورث المعى ، ولا ينفع السواك إذا وضعه عرضا وأضيقه نصيا ، فانه يروى عن سعيد بن جبير أنه قال : من وضع سواكه الأرض لجن من ذلك فلا يلومن إلا نفسه - انتهى .

[عود إلى الحمام]

١٥

نعود الى ما قيل في الحمام . اعلم أنه ليس في أحوال الدنيا ما يدل على الآخرة بل على الله تعالى وعلى قدر الإنسان مثل الحمام . يقول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما دخل الحمام بالشام : نِعَمَ الْبَيْتِ الحمام يُنعمُ البدن ويُزيل الدرن ويُذكر الآخرة . ومن هذا آثاره ٢٠ في العيد لا يكون له استعماله فانه نعم الصاحب وبه سمي لأن الحمام

من الحميم والحميم صاحب الشفوق . قال الله تعالى " فإنا من شاعبي
ولا صديق حميم^١ " أى مشفق ، وسمى حميما لحرارته ، واستعمل فيه
الماء لما فيه من الرطوبة ، فالحمام حار وطب طبع الحياة وبه ينعم
البدن ، وبالماء يزول الدرن ، ويطيب عيش الانسان . قال الشاعر :

إن عيش الحمام أطيب عيش غير أن المقام فيه قليل

جنة تكره الإقامة فيها وجميم يلد فيها المقيبل

59866

ولبعضهم فيها :

أن حمامنا الذى نحن فيها بنيت من عقائد الافكار

٢ عاليات قبائها طالعات مجومها بالتهار

فصبنا منها ونحن جلوس فوق نار من تحتها الماء جارى

٣

ولبعضهم فيها :

أرى الحمام موعظة وذكرى لكل فتى أريب^٣ ففى ذكاه^٢

تذكرنا عذاب ذوى المعاصى وأحيانا نعيم الاتقياء

شقا حجر يشوب نعيم وصل وبرد الماء فى حر الهواء

إذا ارضه التهب بنار تبادر سمكه مطلا بماء ١٥

كصدر الصب جاش بما يلاقى فلج الطرف منه بالبكاء

(١) قرآن كريم ٢٦ : ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) آخر البيت السابق وأول هذا البيت مطموس .

(٣) فى الأصل : ذو ذكار . وهو خطأ لفظى واضح من السياق والثاقفة .

و لبعضهم في الجلوس في الحمام :

و يجلس اخوان اذا ما تجمعوا تشابهه وغده و رئيسه
يفرج كرب أن تراه بكربه و يؤنسني إن قل فيه أنيسه
ومهما أعرت الجوط في تبادرت الى به أقاربه و شموسه
ه و جاء بعضهم حماما حارا فقال :

و حمام دخلناها لآمر حكمت سقرا و فيها المجرمونا
فيصطرخوا يقولون أخرجونا فان عدنا فانا ظالمونا
و حجا بعضهم بلانا كثيفا فقال :

أشكو الى الله بلانا بليت به مست أنامله ظهري فأدمانى
١٥ فلا يدلك تدليكا بمعرفة ولا يسرح تسريحا بإحسان

و عما قيل على لسان حال المشط : [بن ١١٩ : ب]

أنا للشعر صيقل وبي الرأس يحمل
عرف الناس قيمى فلي الرأس أحمل

و قيل إن صب الماء البارد على الرجلين بعد الخروج من الحمام يستخرج
١٥ الداء من الجسد . و قيل إن فعل ذلك مضر ، والله تعالى أعلم . و ما
وقع للإمام مالك رحمه الله تعالى من تفضيل الماء البارد على المسخن
لكونه يشد الأعضاء وينشط النفس انما هو في البلاد الحارة وإقليم
الحجاز وكذلك الشمس انما يكرهه بعضهم لما يخشى من البرص والبهق
لا من جهة الشرع . و تجرد الرجل للحمام من لباسه وبقائه عريانا
(١) هذا الأصل : أقار .

لا شيء في بدنه من جميع ما يملكه ويذكر الآخرة والموت وقيام
الناس من قبورهم عراة حفاة لا يملكون شيئا . فدخل الحمام أدل على
الآخرة من الموت ، فان الميت لا يتقلب من قبره حتى يكتسى ، ودخل
الحمام لا يدخل حتى يتعرا و التجريد أدل . ثم من دعاء النبي صلى الله
عليه وسلم : اللهم تقى من الخطايا كما تقى الثوب الأبيض من الدنس .
قال بعضهم في تنزيه الشيب عن الفواحش :

نزه مشيك عن عيب تدنسه ان الياض قليل الحمل للدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجرى على اليابس
وقال أبو المتاهية :

و كن مستعدا لرب الزمان فان الذي هو آت قريب ١٠
وقبك داوى المريض الطيب ففاش المريض ومات الطيب
يخاف على نفسه من يموت فكيف ترى حال من لا يموت
وتتقى البدن من الدون والوسخ من أخص صفات الحمام ولاجله
عمل واعتبار الحمام بأحوال الآخرة لحاله يوجب عظيم الفائدة وما
يعقلها الا العلماء بالله تعالى . و حكم الغسل يحفظ القوى بما يتال الجسم ١٥
من الضرر لسد المسام وانعكاس الانجزة لها المؤثرة فيها وان الطهارة
والنظافة للشارع ، ونهى عن الصلاة في الحمام لما فيها من شدة الحرارة
التي ربما زادت على حر الهاجرة ، و أما الحمامى وحارس الحمام فقال ابن
رشد فيها تفضيل وذلك إذا استأجر مكثرى الحمام الحارس لحفظ
التياب للداخلين بأجرة في ذمته فلا اختلاف في عدم ضمان الحمامى ٢٠

لأنه مكترى الحمام لاحرام الثياب الا أن يفرط الحامى وأما ان كان الحارس يحرس الثياب بجمل يأخذه من كل أحد من الداخلين فقال مالك لا صها ١ مى . قال مضمون فيمن أودع ودبة فصرها في كده مع ثقته ثم دخل الحمام فضاعت ثيابه بما فيها أنه ضامن ه لرب الودبة ما أودعه . قال بعض الشيوخ: إنما ضمنه لدخوله بها الحمام - انتهى .

[عود إلى جزر بحر الروم]

نعود إلى ذكر الجزر . جزيرة رودس هى مقابلة الإسكندرية وهى أول بلاد إفريقية وفيها خلق من الروم وكان فيها تقدم قبل السبعائة وبعد ١ الثلاثمائة تطرف مراكبهم بلاد الإسكندرية وغيرها من بلاد مصر فغير هى وتأسر وتسمى . واسم جزيرة رودس بلغة الفرنج روضو ١ عمل افريقية جبل معروف بجبل النار وفيه بركان يرمى بنار كبرى مثل الذى على (مدينة) صقلية وسيأتى ذكره فى أخبار صقلية إن شاء الله تعالى . وبين جبل النار ومدينة بايل ٢ (١) اثني عشر ميلا وفيها مرسى لطيفة ومنها إلى دير يعرف بدير المستطير ٤ (١) ومنه إلى مدينة تسمى المقلوب وليس بها إلا باب واحد ، ومنها إلى جزيرة الطواويس ومنها إلى جزيرة شكل فيها مزارع الروم ومراعى لمواشيهم ومنها إلى وادى

(١) مطموس فى الأصل .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا ولكنها قائمة فى السياق .

(٣) كذا فى الأصل ، ولم نستطع العثور عليها بكتب الجفرانية والأطالس .

(٤) كذا فى الأصل ، ولعل الكلمة « المنسطير » اشتقاقا من Monastere .

قوة ومنه الى مدينة عظيمة على قرطيل يدور بها البحر لها باب واحد
 ومنها إلى [بن ١٢٠ : الف] جبل يقال له جرجينه وكانت تحته مدينة هلكت
 وبقى أثرها وبجذاه هذا الجبل جزيرتان يقال لاحدهما يونسه و الأخرى
 مونسه لها مين مراسى تحمل الاسطول بأسره وبين هذين الجزيرتين
 وبين جبلين جزيرة جرجينه ، ومنها إلى جزيرة اشطوره إلى ملجا ٥
 اللواحات ١ وهى مرسى مكن^٢ فى الصيف ومنها بجر^٣ رومة .

[وصف مدينة رومة]

و رومة مدينة كبيرة دور سورها اربعة وعشرون ميلا وهو كله
 مبنى بالآجر الفرهى وبين كل برج من أبراجها التى بسورها رمية حجر،
 والنهر يشق وسط المدينة وفيها قناطر مبنية فى طرف منها كنيسة ١٠
 تسمى سنبله^٤ وهى عظيمة البناء بينها وبين المدينة ميل ونصف ميل
 وهى من الجانب الشرقى من النهر ، وفى الجانب الغربى من الوادى كنيسة
 كبيرة أيضا يقال لها سنبلاره^٥ ، وسنت اسم الكنيسة وبآره اسم صاحبها

(١) أسماء الجوارى والأماكن والمدن فى هذه العبارة يحيطها التاموس وتحتاج
 الى بحوث طائفة لتحقيقها لعدم ورودها كذلك فى غالب الكتب للمروقة ، وقد
 اكتفينا بذكرها كما هى فى النص الأصيل حتى تكون تحت تصرف العلماء
 والجغرافيين فى بحوث أخرى مستقلة . على كل حال المذكور منها فى جغرافية
 الإدريسي (طبعة هونزباخ) اشطوره (ج ٢ ص ١١٩) .

(٢) كذا فى الأصيل ، وأغلب الظن فى قراءتها : « مكن » .

(٣) فى الأصيل : بهر . وهو خطأ لفظى واضح .

(٤) أى كنيسة القديس بولس Saint Paul .

(٥) أى كنيسة القديس بطرس Saint Peter .

الذى عمرها ، و بوله اسم صاحب الكنيسة الشرقية ، وبآثره هو الذى بنيت
 الكنيسة الغربية على اسمه و هو من أكبر حوارى عيسى عليه السلام ،
 و هى فى طرف سباط طوله ثلاثة أميال و فى عرضه يمشى اثنا عشر
 فارسا فى عنان واحد و هو سباط مسقف الأعلى بالخشب الحسن القوى
 ٥ الطويل نظير الموائد التى تأتى من جبل النار بل أخفى منها ، و فى الجانبين
 من هذا السباط حوانيت فيها الباعة متصل إلى آخره ، ثم تدخل منه إلى
 سباط الكنيسة و هو سباط مكشوف طوله أربعمئة ذراع و عشرون
 ذراعا فإذا مشى المائى إلى الكنيسة قابلته ادراج الكنيسة و هى اثنا ٢
 عشرة درجة مفروشة بالرغام بعرض السباط فإذا وقعت على آخرها
 ١٥ درجة استقبلت سطحها مفروشا بالرغام فى عرض السباط و فى عرض
 سطحها أربعون ذراعا تقابله أبواب الكنيسة و هى أربعة أبواب مقسومة
 فى عرض الكنيسة مسقفة بمحملونات بالأخشاب المدهونة المفروشة ألواح
 الرصاص المانعة عنها الأمطار ، و أرض الكنيسة مفروشة بالرغام و فيها
 أعمدة كثيرة عظيمة ، و عن يمين الداخل من آخر باب من أبواب الديور
 ١٥ حوض رخام عظيم يعد فيه الأطفال الذين يغطسونهم فى ماء المعمودية ،
 و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب صفة المعمود (٢٤) إن شاء الله تعالى .
 و فى ذلك الحوض الرغام ماء جار ٤ أبدا و ربما قاض ففصل الكنيسة

(١) فى الأصل : اتى .

(٢) فى الأصل : اتى .

(٣) مطبوعة فى الأصل . (٤) فى الأصل : جارى .

- لأنها عارية من الفرش ، وإنما فرشها رخام وعليه جلوس الروم ، ويكون طول هذه الكنيسة سبعة ذراع في مثلها ، وفي آخرها كرسي من ذهب مرصع بالجواهر يجلس عليه أعيان الفرنج ، وتحت الكرسي باب مصفح فيفتح هذا الباب فيدخل منه إلى أبواب أربعة واحد بعد واحد إلى أن يفضى إلى سرداب مضى فيه دوامس وفيه الخواري الذي يسمى بآره مدفون ، والخواري الثاني بولس مدفون في الكنيسة الأخرى الشرقية ، وبجذاه بآره حوض رخام كبير فيه الفرش الرفيعة الثمن التي تـ ٢٠٠٠ . الكنيسة بأيام عديم عارج عنها عمود رخام مثل المسلة التي بكنيسة الروم على أربعة قراطيل من نحاس معلقة على الأرض مقدار ما يحوز الإنسان من تحتها على يديه ورجليه وهي مربعة من كل وجه ١٠ وجوها اثنا عشر ذراعا في كل وجه منها لثلاثة أذرع وكل ما صنعت المسلة في الهواء ، دقت وانسلت ولا يطيق أحد الصعود [بن ١٢٠ : ب] إليها ملاستها ، وعلى رأسها عمود نحاس منزل في رأسها وعلى هذا العمود النحاس مثل بطيخة مدورة مذهبة في دورها قدر قاتنين وفي علوها قدر قامة لها بريق لكثرة ذهبها ، وإذا قصدوا إلى ١٥ الكنيسة ظهرت لهم تلك البطيخة الذهب من مسيرة اثني عشر ميلا . وهذه الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية قفرشان في أعياد النصراني

(١) أي القديس بطرس Saint Peter .

(٢) مطموسة بالأصل .

(٣) في الأصل : اثني .

(٤) في الأصل : اثنا .

(٥) في الأصل : قفرشا . (٦) في الأصل : الاعياد ، ولا يستقيم بها السياق .

بفرش الحرير الدياج الملون يمشى عليه الرجال و النسوان في تلك الأعياد .

[مدينة قرقشونة]

و بالأندلس مدينة تسمى قرقشونة^١ بها كنيسة معظمة عند
ه النصارى تسمى سنتمريه^٢ فيها سبع سوارى من فضة و أحدها سارية
ولها يوم في العام رده النصارى من كل الآفاق الرجال و النساء .

[قصة خرقة^٣ بنت النعمان]

وكذلك كانت خرقة بنت النعمان بن المنذر ملك العرب بالحيرة
من أرض العراق تزور كنيستها و كانت إذا خرجت لزيارتها خرج
١٠ معها مائة جارية يفرشنها الدياج تمشى عليها إليها و يسترنها بمطارف الخمر
و غيره من الحرير . و قال ابن الجوزى : كانت خرقة إذا خرجت إلى
يعتها يخرج معها ألف وصيفة و وصيف و ينزلها في طريقها ألف قطيفة
دياج تمشى عليها فلم تزل كذلك في عز أيها إلى أن انقضت مملكته
باتقاض الممالك بعته رسول الله صلى الله عليه و سلم . و سيأتى فيما يرد
١٥ من هذا الكتاب ذكر الممالك المنتفضة بعته صلى الله عليه و سلم ، فصارت
خرقة المذكورة بعد العز الكبير إلى العيش الحقيق ، و صارت بعد المشى
على شقاق الحرير ، ماشية على الثرى بنحل من حلد البعير ، قد ترهبت

(١) مكانها اليوم في جنوب غرب فرنسا و هي Carcassonne .

(٢) أى كنيسة القديسة مريم Santa Maria .

(٣) و هي معروفة باسم خرقة في كتب الأدب . (انظر حاشية رقم ٤ ص ١١٥) .

(٤) الكلمة مكررة بالأصل .

ولبت المسوح السود وتوشحت بهلبان الخشب بعد توشحها بهلبان
الجوهر في المراسل والعقود .

[الحرير وأسماؤه وأنواعه]

واذ قد ذكر الحرير فلنذكر ما قيل فيه وفي أسماؤه وأنواعه
فمن الحرير الخبز والابرسم والدياج والسقلاطون والعتابي والمصط^٥ ،
فالخز يستدل على جودته بقوة سدهاء ولبسه على صفاء نسجه وقل
وزنه وإرادة الضعيف السدا والخفيف الوزن الرخو النسيج الكمد
اللون الرديء الحرير . وقد اختلف في لباس الخبز فاجيز وكره ووجه
الكراهة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يكون في أمي قوم يستحلون
لباس الخبز والحرير . ووجه الكراهة الخبز لنفسه لأن فيه^{١٠}
الحرير ووجه الجواز أن عائشة رضي الله تعالى عنها كست عبد الله
ابن الزبير وهو ابن اختها أسما بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى
عنهم . والخبز ما سدهاء حرير وقيامه كتان ، وأما العلم في الثوب
فلا بأس به لأنه يسير لا حكم له ، اختلف في مقداره قيل قدر الأصبع
والأصبعين وقيل الأربعة أصابع ، والابرسم أجوده التقى الحسن^{١٥}
اللون السالم من الاحلاف والاوزاخ الملتبسة لبعض خيوطه فان تكن
(١) في الأصل : وللنمط . وهو خطأ قلبي لكلمة «المصط» أي «المصمت»
وهو ذو اللون الواحد .
(٢) مطموسة بالأصل .

خيوطه^١ شكلا واحدا^١ ليس فيها بعض غليظ وبعض دقيق ولا مُعَدَّده
وتعرف جودته^٢ سل وزنه ٢٠٠٠٠٠ رأيت^٣ اللحمة اذا رزتها
ثقيلة فهو أفضل^٣ . والديساج أجناس فته ما يحتاج إليه (لنا) س^٤
للتعليق والفرش وأفضله ما حسن صبغه وانتظمت نقوشه ودق
حريره و صفق نسجه : أشراق لونه وقيل وزنه وسلم من النار في
خبرته : ويعمل من اكحل الديساج كسوة للكعبة المشرفة بدار الطراز
بالقاهرة في كل سنة ، والسفلاطون والعتابي والمصطأ أفضلها وأحسنها
ما عمل [بن ١٢١ : الف] بالجف ولم يعمل بالمشط وكان في جودة
الحرير والاصباغ ، وأغراض الناس تختلف في الطرز والرقوم وهم
يجمعون على ما كان أدق مسلكا وأصفق نسجا وأنقى يابسا وأحسن
صبغا وأحر ذبا ، والحرير الشعر منه الملهي* والطبي والخوازمي
والخطاي والنسا والجيلي والحموي والصيني والداخلي والكنجي
والسكي والكحافي ، وينسج من الحرير بالإسكندرية أقشة مختلفة
تحمل إلى العراق وإلى غيره من البلاد - انتهى .

١٥ [تكلمة قصة خرقه بنت النعمان]

نعود الى ذكر بقية خبر خرقه بنت النعمان بن المنذر ، وذلك أنه

(١-١) في الأصل : شكل واحد .

(٢) مطموسة بالأصل .

(٣) كذا في الأصل ، والجملة غامضة .

(٤) مطموسة جزئيا في الأصل .

(٥) كذا في الأصل ، ويموز قراءة الكلمة « الهجي » وكلاهما غامض .

لما انتقضت الممالك الآتي ذكرها يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 اقتضت مملكة الحيرة بعد موت النعمان بن المنذر ابن ماء السماء ، فأتت
 خرقه إلى سعد بن أبي وقاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بعد فتحه لمداين كسرى وعليها المسوح ومقطعات السود وقد ترهبت ،
 فاستأذنت على سعد فأذن لها فدخلت متضائلة مكسورة في نفسها ، ه
 فقال لها سعد : أنت خرقه بنت النعمان ، قالت : نعم ، وكرر عليها القول
 فقالت : وما يجبك من امرى يا سعد ! ان لم يكن أهل بيت تخبره إلا
 والدهم يعقبهم غيره حتى يأتي امر الله فيصيروا لمن بعدهم عبرة يا سعد !
 كنا ملوك هذا المصر يجي إلينا خراجه وطينتنا أهله أيام المدة والدولة
 فلما حل القدر فأدبر الـا وصاح بنا صاحـج الدهر ففرق شملنا وصدع ١٠
 عصانا وسلبنا ملكتنا فلو رتمنا في إيماننا لارعدت فرائصك فرقا منا
 وكذلك الدهر ٢٠٠٠٠ قوما يجوه إلا اعقبهم عبرة ، ثم أنشأت تقول :
 'فينا نسوس الناس والأمر أمرنا اذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف
 فأف لدنيا لا يسدوم نعيمها تـقلب تارات بنا و تصرف

(١) في الأصل : ما للسا .

(٢) في الأصل : وسلبنا .

(٣) في هذه الفجوة كلمة ينقصها بعض النقط « امات » ويسعـب استقامة المعنى بها والغالب أن في العبارة سقوطا في الأصل .

(٤) أخذتا البيتين هنا من ترجمة خرقه بنت النعمان في « كتاب الدر المنثور في طبقات ربات الخدود » مؤلفته السيدة زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله ٠٠٠٠ بن يوسف فواز العامل السورية (طبعة بولاق م ١٣١٢ ص ١٨٣) .
 وباليهين في الأصل خبل لفظي واضح لا يستقيم معه الوزن أو المعنى .

ولكن اذا ثابت العاقل فائبة لها حيلة فلا يعجز ، فان لم يكن لها حيلة
فلا تجزع . قال الشاعر :

أما أجزع مما اتقى فاذا حل فالى والمجزع

وكانت خرقه بنت النعمان قد صارت عجوزة كبيرة نحيفة البدن .
هـ و كان المغيرة بن شعبه يجلس سعد جالسا فقال : يا خرقه انى أريد
أتزوجك . فقالت : لا والله لا أفضل ذلك . قال : ولم ؟ قالت : أنت
أمير كبير ولست أضحك ١ بدنى وأنت ما تصعد بتزويجى
إلا الفخر لتقف فى أندية العرب أهل الشرف والحسب وتقول : تزوجت
بنت النعمان بن المنذر ١ فقال لها سعد : صدقت والله يا خرقه فيما
١٠ ذكرت . ثم أن سدا أكرمها وأجزل لها العطاء وصرها ، فلما أرادت
الانصراف قالت : يا سعد لا ازال عزك ٢ ولا جعل لك الى اليوم ٣
حاجة ولا نزع عن عبد صالح نعمة الا وجعلك سيرا لردّها عليه . وقال
أبو هاشم بن طغر فى كتابه سلوان المطاع إن خرقه بنت أبى قابوس
النعمان بن المنذر استأذنت بالقادسية على سعد بن أبى وقاص فاذن لها
١٥ ١ حواريا عليهن ٢ المسوح ٣ ومقطعات الثياب ٤ السود

(١) مطموسة بالأصل .

(٢) فى الأصل : بما .

(٣) فى الأصل : عنك - وتصحيحها بالهامش .

(٤) فى الأصل : ليم .

(٥) مطموسة جزئيا بالأصل .

(٦-٦) فى الأصل : مقطعا السلب - وهو خطأ ظنى واضح .

فأرى منظرا شنيعا ولم تميز له خرقة من جواربها لمشاركتها إياهم^١
 في الزى وكن رواجا فسلمت عليه فقال: أبتكن الخرقة . قالت :
 ها أنا ذه . فقال : أنت الخرقة . قالت : نعم ! فا تكرارك استغماي أيا
 الأمير ؟ إن الدنيا دار قلعة وزوال فا تدوم على حال ، يتقل أهلها
 انتقالا ، وتعقبهم حالا لحالا ، وإنما كنا ملوك هذا المصر نجيب^٢ إلينا
 خراجهم ، وتطينا أهلهم مدة المدة وزمان الدولة ، فلما أدبر الأمر
 صاح ٣٠٠٠٠ فصدع حصانا [بن ١٢١ : ب] وشتت ملائنا ، وكذلك
 الدهر يا سعد انه ليس من قوم^٣ فهم ببرة ، ولا أسعهم
 بفرحة ، الا أعقبهم بترحة . ثم أنشدت الآيات المتقدم ذكرها . وبينما
 الخرقة تخاطب سعدا اذ دخل معدى كرب الزيدى على سعد فنظر ١٠
 الى خرقة فقال لها : أنت خرقة التى كانت تفرش لك الأرض من قصرك
 الى بيتك بالدياج المبطن بالوشى . قالت : نعم ! قال : فما الذى دهاك^٤
 وأذهب محمودات شملك^٥ وغير يتايح نعمك ، وقطع سطوات نعمك ؟
 فقالت : يا عمرو ان الدهر عثرات تلحق^٦ السيد من الملوك بالبعد

(١) مطموسة جزئيا بالأصل .

(٢) فى الأصل : يجبا .

(٣) الجملة مطموسة بالترميم .

(٤) الجملة فى هذه النسخة بالأصل غير واضحة فى سياقها وبها نقص فى النقط

. الحروف يزيد من غموضها .

(٥) فى الأصل : دهاك .

(٦) فى الأصل : شملك .

(٧) فى الأصل : يلحق .

المملوك وتخفض^١ ذا الرضة وتذل ذا المنعة ، هذا ما كنا نتظره فلما حل لم تذكره . ثم ان سعدا سألها عما قصده له فاستوصلته فأجزل صلتها وقضى حوائجها . ولما فصلت عنه سئلت ماذا لقيت منه ؟ فأنشدت :

صان لي همي وأكرم وجهي انما يكرم الكريم الكريم
 هـ وسأني صفة دبرها الذي عمره لها أوها النعمان في حال حياته عند ذكر
 ديارات النصارى إن شاء الله تعالى . فانظر يا هذا إلى بنت ملك كانت
 في القصور في النعمة والحبور ، فصارت في دير فقيرة بصلبان ، وصار^٢ أبوها
 في قبر بين القبور ، فالعاقل من اقتنع بالقوت وصار منزله كبيت
 المنكبوت ، زاوية البيت فسيق الحريص اليها وهو الذباب^٣ فصار
 ١٠ قوتا لها . انظر إلى عساكر الاموات مجتمعين في عرصات الاجداث
 قبورهم والله كخيام مضروبة ، وقباب منصوبة ، تحتها ملوك وأمرأه ،
 وأغنياء وقراء ، والكل ينتظرون خروج المسكر فاذا ضرب بوق
 الرحيل ، ودقت كوسات التحويل ، وقفخ في الصور لإسرافيل ، لحيتند
 يخرجون إلى العرض والنشور ، فأهل السعادة الى النعيم المقيم ، وأهل
 ١٥ الشقاوة في سعي الجحيم ، أعاذنا الله من النار ، وأسكتنا بمنه وكرمه
 دار القرار ، انه رحمان رحيم غفور وكريم .

[ذكر بعض مدن الفرنج]

نعود الى ما كنا فيه آنفا من ذكر مدن^٤ الفرنج فها مدينة فسقاروا

(١) في الأصل : ويخفض (٢) في الأصل : صار .

(٣) في الأصل : الزباب .

(٤) لم نحاول تحقيق عامة أسماء مدن الفرنج كما وردت هنا لاعتقادنا أن هذا =

ومدينة ركونه ومدينة صقالص ومدينة قيصره ومدينة صقطلوا ومدينة
قطروفي^١ ومدينة مُنيل ومدينة سمطرسله ومدينة برنديير ومدينة كوادين
ومدينة دصيص ومدينة قوله ومدينة اتصلة ومدينة بزرروت وهي ١٠٠٠
قديمة وحذاء سورها نهر جارى يصاد فيه السمك وفيه غريبة وذلك أن
في البرية بحيرة حلوة وهذا النهر مالح فتفرغ البحيرة الحلوة في هذا النهر ٥
الملح ستة أشهر فلا يخلو^٢ ويفرغ هذا النهر الملح في البحيرة الحلوة ستة
أشهر فلا تملح ، وفيه أيضا غريبة أخرى أنه يصاد في هذا النهر السمك
فيخرج في كل شهر من السنة نوع من السمك لا يخالطه غيره ، ويصيدون
أهل هذه المدينة السمك بالخالاب^٣ وذلك أنهم يأخذون الاتنى من
السمك التي هي نوعه في ذلك الشهر فتجعل في فيها ستارة مثل الحلقة ١٠
وفيها خيط ١٠٠٠٠ يطلتها في النهر فيجتمع حولها الذكور من السمك

= يحتاج الى دراسات وبحوث طويلة في الجغرافية التاريخية من الزاوية العربية ،
ولكننا أثبتنا في النص ما جاء في مخطوطة بانكي مور بلا تحريف أملا منا في
أن نكون بذلك قد وضعنا هذه المادة تحت تصرف العلماء والجغرافيين لمواصلة
دراسها وتحقيقها من الناحية العلمية . وواضح من النص أن المدن المذكورة
مبعثرة ما بين دول أوروبا المماثلة لحوض البحر الأبيض المتوسط بما فيها إيطاليا
وسلطنة الأتراك . وأغلب هذه المدن لم يرد في كتب العرب ، ومع ذلك أثبتنا
القليل الذي عثرنا على ذكره بصفة خاصة في حنرافية الإدريسي بهذه الحوائش .

(١) ورد بالإدريسي [طبعة هو نرباخ ج ٢ ص ٢٦٨] قاطرو أو قاذرو
وهي إحدى مدن دالاسيا بالقرب من رجوزه Ragusa .

(٢) مملومة بالأصل .

(٣) الكلمة تافضة النقط في الأصل « يخلو » .

(٤) كذا بالأصل ، وأغلب الظن أن المقصود « الخلاب » أي الخفاف .

فيقرها إلى الر فيتبعها السمك فيطرح^١ عليهم الطراخ فيصيدهم الصياد
ويترك الاتى على حالها ليأتى إليها السمك فكلما كثر عندها طرح
شبكة فيأخذهم . قال بمشاد الدينورى : كنت بالصرة فرأيت صيادا
يصطاد السمك على السواحل و الى جانبه ابنة له صغيرة كلها
ه اصطاد سمكة وتركها في قفّته ردت الصغيرة السمكة الى الماء فالتفت
الرجل فلم ير في القفة شيئا . فقال لابنته : أى شيء عملت بالسمك ؟
قالت : يا أبت^٢ أليس سمعتك تروى [بن ١٢٢ : الف] عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تقع سمكة في شبكة إلا غفلة عن ذكر الله .
فبكا الصياد وترك الصيد .

[جزيرة صقلية]

١٠

جزيرة صقلية مثله الشكل وهى كثيرة الزرع والضرع والفواكه
و كانت للسليين ملكتها مدة سنين ثم ظلمهم عليها الفرنج وهى الآن
سنة سبع وسبعين وسبعائة بأيديهم . وقيل إنها من أحسن الجزر
وأكثرها خيرا وصقلية من أحسن البلاد وأكثرها خيرا . قال الشاعر
١٥ الصقل من قصيدة له يتشوق إليها بعد أن ملكتها الفرنج وأخرجت
المسلمين منها :

ذكرت صقلية والاسى محمد للقلب تذكّارها
فان كنت أخرجت من جنة فانى أحدث أنهارها
ولولا ملوحة ماء البكا حسبت دموعى أنهارها

(١) مطموسة جزئيا بالأصل (٢) مطموسة بالأصل .

(٣) فى الأصل : يا أبة .

ولبعضهم تشوق إلى وطنه :

يانسمة حملت غير المنسل وشذا القرقل في صديق الصندل
وجزيرة صقلية سميت باسم صيقلوا أخ^١ اطلال و اطلال هو الذي
بنى مدينة اناطالية ببر التركية وكانت للتراكين المسلمين قعدى عليها
ريبر بطرس صاحب قبرس فلحقها منهم في ستة ائتين وستين وسبعائة، ٥
ولما ظفرا بها طمع بعدها في الإسكندرية وصح له طمعه وظفرها في
العشر الاخير من المحرم سنة سبع وسبعين وسبعائة . واسم اناطالية بلغة
الفرنج سقليا وهى الآن في سنة تسع وسبعين وسبعائة في أيدي
المسلمين ردت إليهم لأمور يطول شرحها . وبصقلية معدن الكبريت
وبها البركان العظيم الذى لا يعلم فى العالم اشنع منه منظرا ولا أغرب ١٠
خبرا وهو شما (ل) هذه الجزيرة وإذا هبت الريح الجنوبية يسمع لها
دوى هائل كالرعد، وكان فرفوريس^٢ الفيلسوف قد شخص مدينة صور إلى
صقلية لينظر البركان ويعاين فعل الطبيعة هنالك ويخبر عنه بقول واضح
فات وبها قره، ولم تزل صقلية على قديم الزمان كثيرة الفتن والحروب.

١٥ [قسطنطين بن هرقل]

وفى السنة التى بويغ فيها على بن أبى طالب بالخلافة وهى سنة
خمس وثلاثين^٣ من الهجرة صار قسطنطين بن هرقل^٤ فى النى مركب

(١) فى الأصل : أخا .

(٢) ريد فى الأصل : المطرز . ولا معنى لها فى النص فأسقطناها منه .

(٣) لعل مرادف الاسم Porphyrios .

(٤) خلافة على بن أبى طالب ٣٥ - ٤٠ هـ / ٦٥٦ - ٦٦١ م .

(٥) حكم هرقل ٦١٠ - ٦٤١ م وحكم قسطنطين الثانى ٦٤١ - ٦٦٨ م .

يريد بلاد الشام يخلصها من أيدي المسلمين الذين أخذوها من يد أبيه
 هرقل، فأرسل الله تعالى عليهم عاصفا من الريح فرقهم ونجا نفسه
 قسطنطين على لوح ألغاه بساحل صقلية فصنعت له أهل صقلية حماما
 فأدخلوه فقتلوه فيه . وقيل مشى الروم إلى قسطنطين بن هرقل في
 ٥ سنة خمس و ثلاثين من الهجرة فقالوا يترك الاسـ ٢٠٠٠٠٠ في أيدي
 العرب وهي مدينتنا الكبرى ، قال : ما أصنع بكم ما تقدرون تمالكوا
 ساعة إذا لقيتم العرب . قالوا : فأخرج على انا نموت قبايعوا على ذلك
 فخرج في ألف مركب يريد الإسكندرية فساروا في أيام عالية من الريح
 فبعث الله تعالى عليهم ريحا عاصفة فرقهم إلا قسطنطين فاته نجا بمركبه
 ١٠ فآلحقت الريح بصقلية فسأله أهلها عن أمره فأخبرهم فقالوا : شمت النصرانية
 وأقنيت رجالها لو دخل العرب علينا لم نجد من يردم . فقال : خرجنا
 مبايعين على الموت فأصابنا هذا فصنعوا له حماما ودخلوا عليه فيها فقال:
 ويلكم قد ذهب رجالكم و تقتلون ملككم ؟ قالوا : كأنه غرق معهم ثم
 هجموا عليه فقتلوه وتركوا من كان معه في المركب . فانظر يا هذا إلى
 ١٥ فل الله تعالى بالكافرين حين قصدوا إهلاك ٢٠٠٠٠ بزعهم كيف ٢٠٠٠
 لهم الله تعالى من حيث لم يحتسبوا . قال الله تعالى ” ومكروا ومكرنا
 مكرا وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرم انا دمرنهم وقومهم
 أجمعين . ٣٠ .

(١) في الأصل : القاح .

(٢) مطموسة في الأصل .

(٣) قرآن كريم ٢٧ : ٥٠ - ٥١ .

عبد العزيز بن موسى بن نصير و ابنة لذريق

فانظر أيضا كيف أهلك الله الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير
لما أطاع زوجته النصرانية بقولها له : أترك أصحابك يسجدون لك كما كان
أصحاب الملك لذريق يسجدون له . و كان عبد العزيز محبا لها و سامعا
لأمرها لحسنها و جمالها و كثرة أموالها ، و كان قولها له ذلك حيلة منها
عليه بثأر أبيها المقتول منه لعلها بأن المسلمين لا يسجدون لغير رب
العالمين ، فإذا قال لهم [بن ١٢٢ : ب] ذلك قتلوه ، و لتخلص من عصيته
و تتزوج بابن ملك نصراني على دينها ، فلما فعل عبد العزيز ذلك قتل و بلغت
النصرانية مرادها فيه و ذلك أن عبد العزيز المذكور كان مقدما على
عساكر المسلمين حين فتحوا جزيرة الأندلس في دولة بني أمية . تزوج ١٠
عبد العزيز بنت لذريق ملك النصارى بعد قتله ١ و كان الذي قتله طارق
ابن زياد فقامت تلك النصرانية لعبد العزيز من الدنيا بشيء كثير لا يوصف
ولا يحسد ، فلما صارت عنده قالت : ما لي أرى أهل مملكتك لا يسجدون
لك كما كانت أهل مملكتك يسجدون له و يعظمونه بالسجود ؟ فقال في
نفسه كيف ينبغي لي أن أترك المسلمين يسجدون لي من دون الله تعالى ١٥
أم كيف يرضون ؟ هذا لا يجوز و لا يكون أبدا ، ثم انكر في نفسه و قال :
مطاطأة رؤسهم إلى أهون من سجود . فأمر يباب ثقب من جهة قصره
مقابلا مكان جلوسه و جعله قصيرا غير مرتفع ، فكان يأذن للناس
فيدخلون عليه منه منكبين رؤسهم لقصر ذلك الباب ، و زوجته النصرانية

(١) في الأصل : كانت . (٢) في الأصل : قتل .

تنظر إلى المسلمين من شايك بنظرتها المقابلة لذلك الباب القصير . فلما رأت الملعونة فعلهم ذلك قالت : الآن قوى ملكك وعظم أمرك حين طأطأت لك حشدك رؤسها . فتخيل ذلك بياله وفرح به قصص^١ المسلمون^٢ عن فعله ذلك ومنه الدخول عليه من الباب المرتفع ، فبلغهم ٥ أنه ما قرب ذلك الباب إلا لهذا المعنى ، فارتجعت القلوب لذلك قار عليه حبيب بن عبيد القهري^٣ وزياد بن النابتة التيمي وأصحابها من قبائل العرب ، واجتمعوا على قتل عبد العزيز فأتوا إلى مؤذنه وقالوا له : أذن بليل لكي يخرج عبد العزيز إلى الصلاة . فأذن المؤذن فخرج عبد العزيز فتقدم للصلاة^٤ قرأ الواقعة إلى قوله تعالى « رافعه » فوضع حبيب السيف ١٠ على رأس عبد العزيز فأنصرف عبد العزيز هاربا حتى دخل بيته ، فدخل بستانا بداره واختفى^٥ فيه تحت شجرة وهرب حبيب وأصحابه واتبعه زياد بن النابتة فدخل على أثره فوجده تحت الشجرة ، فقال له عبد العزيز : يا ابن النابتة استبقني ولك ما سألت . فقال : لا تذوق الحياة بعدها تأمرنا أن نسجد لك من الباب القصير لتسرب به^٦ زوجتك النصرانية^٧ ١٥ التي امثلت أمرها فيما أمرتك به وأحدثت في الإسلام حدثا لم يكن .

(١) في الأصل : ضحكت .

(٢) كذا في الأصل ، وربما أمكن قراءتها « القهري » .

(٣) في الأصل : للصلاة .

(٤) في الأصل : واختفا .

(٥) في الأصل : يا ابن .

(٦-٧) مطموسة حزنها .

وأجهز عليه واحتز رأسه، وبلغ ذلك حيدا وأصحابه فرجعوا ثم خرجوا برأس عبد العزيز و ساروا من الأندلس إلى أن قدموا على أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك^١ بدمشق فوضعوا الرأس بين يديه بعد أن أخبروه خبره . و حضر موسى بن نصير أبو عبد العزيز المقتول فقال له سليمان: تعرف هذا؟ قال: أعله صواما قواما . فقال سليمان: هذا الذى أراد ه أن يسجد له كما يُسجد للدريق^٢ ملك النصارى فكان جزاؤه ماترى . فأخذ موسى رأس ولده ومضى به فى تكاية وخزية وقال: هذا جزاء من يتزوج بنصرانية، لقد غزت المملونة فيه كما غزى ٣٠٠٠٠ فى أبيها [عبد^٣] العزيز بحسرة ماله وأمله وأمره ونهيه وذلك لتعلقه بالدنيا وزهرتها، فمن قل تعلقه بالدنيا لم يتحرر عند فراقها - انتهى . ١٠

[مدن بحر الروم و جزره]

نعود إلى ذكر جزيرة صقلية - وصقلية مدن كثيرة ونهران يطردان من عين واحدة وبها جزيرتان . صغيرة وكبيرة وفى هاتين الجزيرتين تنفذ النار أذا قرى لمب النار ليلا ودغاته نهارا . ومن المدن المشهورة صقلية مالطه فى القبلى منها بينهما ٦٠٠٠٠ واحدا وأشجارها ١٥

(١) حلاته ٩٦ - ٩٩ هـ / ٧١٥ - ٧١٧ م .

(٢) فى الأصل: لذريق .

(٣) مطموسة فى الأصل .

(٤) مطموسة حزنيا بالأصل .

(٥) فى الأصل: حزيرتين .

(٦) مطموسة بالترميم .

الصنوبر وجزيرة صقلية مدينة قوصرة . وسيأتى فيما يرد من هذا الكتاب [ن ١٢٣ : الف] خروجه الفرنج لأموال المسلمين بها بالحيلة و المكيدة إن شاء الله تعالى .

و من بحر افريقية . صقلية يخرج المرجان ، و الجواهر بتلك النواحي
 ٥ كثيرة ، فأما مجدونية ' فهى قاعدة الروم إلى الأعرافيين ' و منها
 أرسططاليس فيلسوف الروم ، و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب لمع ٣ من
 أخباره إن شاء الله تعالى . و أما مدراقة ' فحدها من المشرق إلى القسطنطينية
 من ناحية الجنوب تمتد إلى ناحية الأسبان و تصل من بلاد طشالة .
 و زعموا أن أهلها أول من عمل اللجم و ابتدعوا رياضة الخيل و البيطرة .
 ١٠ و قيل إن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام أول من ركب الخيل
 و كانت وحوشا فأوحى الله إليه آية الخيل مدعى بها ' هاهاه ' فأمكن من
 نواصيها فركبها هو و ولده بعد ، فعناق الخيل ينسب إليهما فيقال الخيل
 العربية . و أهزل المراكب للانسان و أعجب للنفس و أطرب لها الخيل ،
 ١٥ فان لها فضلا و شرفا باذخا على سائر الدواب ، و ذلك لما جاء فى الخبر

(١) و صحتها « مقدونية » أى Macedonia .

(٢) و صحتها « الأعرافيين » أى The Greeks .

(٣) فى الأصل : لها .

(٤) و صحتها « تراقية » أى Thrace .

(٥) أى Thessalia .

(٦) فى الأصل : قدعا .

عن وهب بن منبه أنه قال: لما أراد الله خلق القوس قال للريح الجنوب أني خالق منك خلقا أجمله عزا لأوليائي ومذلة لأعدائي وجمالا لأهل طاعتي، فقبض من الريح قبضة فخلق منها فرسا فقال: سميتك فرسا وحملت الخير معقودا بناصيتك والفنائم بحوزة على ظهرك والغنى معك حيث كنت أركاك، يعنى بسعة الرزق على غيرك من الدواب وجملتك سرمدًا ٥ تطير بالاجنح فأنت للطلب وأنت للهرب، وسأحمل عليك رجالا يسبحون فتسبحني ٢ إذا سبحوا ويهللون فتهللي ٣ إذا هللوا ويكبرون فتكبرين ٤ إذا كبروا. وسيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر الخيل وشيئانها وإكرامها وما قيل فيها إن شاء الله تعالى.

جزيرة اقريطش ٥ سميت باسم رجل مجوسى يقال له اقريطشئش يحمل ١٠ منها العسل النحل والجن الكثير لمصر والشام وتسمى بلغة الفرنج كندياه. جزيره ابريته ٦ بين رودس و اقريطش يحمل منها إلى مين مصر العسل النحل والزيت.

جزيرة مردانية ٧ يحيط بها البحر ثلاثمائة ميل وكان صاحب برشلونه ١٥

(١) فى الأصل: و الفنا. (٢) فى الأصل: تسبحى.

(٣) فى الأصل: تهليلين. (٤) فى الأصل: فتكبرين.

(٥) جزيرة Crete وقاعدتها Candia.

(٦) لم نستطع تحقيقها وتحديدتها، وأغلب الظن أنها إحدى مجموعة الجزر المعروفة باسم Dodecaneso.

(٧) ذكر مردانية Sardinia ولم يذكر قوسقة Corsica وهما صنوان لا يفرقان فى ذكر جزائر غرب بحر الروم.

أرسل إلى صاحب سردانية^١ هدية فيها جارية جميلة فلما أراد الاجتماع بها أخبرته أنها حامل من صاحب برشلونه فأنزل عنها إلى أن وضعت ولدا سماه جرد شيربوريا فلما كبر الولد عرفته أمه بأبيه وبال ٢٠٠٠٠ الأندلس فقال: إذا لم تكن هذه البلاد بلادى وأبى صاحب برشلونه ٥ فاحملوه إليه فحملوه إليه وعرفوه أنه ولده من الجارية المهداة^٢ بحملة الهدية، فغضب صاحب برشلونه وقال: لم لا عرفني به وهو حمل^٣ في بطن أمه؟ وسردانية بها معادن الفضة الخالصة. فأتى البرشلوني في مراكبه بجيوشه إلى سردانية معه ولده الذي من الجارية المذكورة، فأثامه صاحب سردانية سلم عليه فلم يرد السلام عليه وقال: كيف يكون لي عندك ولد ١٠ ولم تملني به من أول وهلة حتى ولد وكنت ذكرت^٤ أمه لك ذلك من قبل فلولا أنه طلب الحضور إلى عندي ما كنت أحضرته؟ فقال: كان عندي في أجل مكان إلى أن يميز صرقاته فطلب السفر إلى حضرة الملك فأرسلته له. فلما سمع البرشلوني ذلك منه كرم له [كومين^٥] كبيرين الواحد دنانير و الآخر تراب^٦ وقال لصاحب سردانية. اختر كوما منهما. فأشار إلى الذهب فقال: خذه و اخرج عن هذه الجزيرة و إلا قاتلتك بهذا الجيش الضخم ١٥ وانتزعت جميع أموالك وجعلتك جالسا على مثل هذا الكوم التراب

(١) في الأصل: سروانية .

(٢) مقطوعة جزئيا .

(٣) في الأصل: الهدية .

(٤) في الأصل: حملا .

(٥) في الأصل: و ذكرت . و الواو زائدة .

(٦) الكلمة مكررة في الأصل .

(٧) غير موجودة بالأصل، و أضفناها لتام الجملة و انسجام السياق .

(٨) في الأصل: ربا .

الذى تراه لا تملك غيره . لجمع صاحب سردانية حيثذ ماله ورجاله وأهله [بن ١٢٣ : ب] وعياله وترك ' للبرشلونى جزيرة مسردانية وخرج منها لعدم طاقته به ، فحيثذ ولى البرشلونى ولده جرد شبر بوريا جزيرة مسردانية ، وأقام لها جيشا ضخما من جيوشه ، فصاله معادن الفضة كما لها يحمل جرد شبر بوريا لآليه فى كل سنة حملا ٢ منها مع حل خراجها ٥ خارجا عن كفاية جيشها . ولما توجه المسلمون فى خلافة بنى أمية إلى جزيرة مسردانية أصاب الناس فيها ضائم فملوا منها غنائم كثيرة . والغلول الحياة فى الغنائم ، فحملوا تلك المغام وما غلوه أيضا ٢ منها فى المراكب وركبوا فيها ، فلما توسطوا البحر سمعوا مناديا ينادى و يقول : اللهم فرق بهم ا فدعوا الله و تقللوا المصاحف فإ لبثوا أن جاءتهم ريح عاصفة ١٠ وضربت المراكب بعضها بعضا حتى تكسرت وغرقوا . وقيل إن أهل مسردانية لما توجه إليهم المسلمون عمدوا إلى جهة فى البحر وضعوا أوانيهم الذهب والفضة فيها و عمدوا إلى كنيسة لهم لجمعوا لها سقفا من دون سقفا وجعلوا ما كان لهم من مال بين السقفين ، فنزل رجل من المسلمين يتنسل فى ذلك الموضع الذى جعلوا فيه أوانيهم الذهب والفضة ١٥ فوقعت رجله على شيء فأخذه فاذا هو صحيفة من فضة ثم غاص أيضا فأخرج شيئا آخر . فلما علم المسلمون بذلك حبسوا الماء وأخذوا جميع تلك الآنية . ودخل رجل معه قوس بندق الى تلك الكنيسة التى رفعوا

(١) فى الأصل : وتر .

(٢) فى الأصل : جملا .

(٣) تكررت الكلمة بالأصل بعد « منها » .

بين سقفيها ما لهم! فنظر إلى حمام فرماه بينسده فأخطأه فأصاب خشبة من السقف فكسرها فأتاهال عليهم المال فقتلهم المسلمون يومئذ غلولا كثيرا فكان الرجل يأخذ الحر فيذبحه ثم يحشوه بما غل من المال ثم يخييط عليه ويرمى به إلى الطريق ليتوهم من يراه أنه قط ميت فإذا خرج أخذه،
 ٥. وكان الرجل يذرع نصل سيفه فيطرحه ويملا غلافه غلولا ويطرح قبضة السيف على الغلاف، فلما ركبوا السفن وتوجهوا سمعوا مناديا ينادى: اللهم غرق بهم فتقلدوا المصاحف فغرقوا جميعا وذلك بسبب غلولهم. قال الله تعالى "و من يغلل يأت ٢ بما غل يوم القيمة ٣". وقال النبی صلی الله علیه وسلم: لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول. وقد جاء في الآثار ان الذين يغلون يعي يخونون من الغنائم فيأتون بغلولهم ثم يلقى في بحر جهنم ثم يقال لهم خوصوا حتى تخرجوا غلولكم ليتهموا إلى قمره - لا يعلم قمره إلا الذي خلقه - فيغوصون ما شاء الله تعالى ثم يخرجون رؤسهم يتنفسون فيبتدر إلى كل إنسان منهم سبعون ألف ملك مع كل ملك مقمع من حديد فيهوى به إلى رأسه فذلك ١٥ عذابهم أبدا.

[قصة يوشع بن نون]

و يرى أن يوشع بن نون لما أمره الله تعالى بقتال الجبارين سار

(١) في الأصل: ما لم.

(٢) في الأصل: يأتي.

(٣) قرآن كريم: ٣: ١٦١.

بنى إسرائيل إلى بلاد الشام وقد غلب عليها العماليق فسار إلى السميدع ملك^١ بجنوده فقاتلهم يوم الجمعة قتالا شديدا حتى غربت الشمس فدعى^٢ الله أن يرد عليه الشمس فردها عليه و زاد في النهار يومئذ، فهِمَّ الجارون واتحموا عليهم يقتلونهم، فكانت الجماعة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها فلا يقطعونها، فأمرهم يوشع أن يقرئوا^٥ غنائمهم تلك إلى الله تعالى فلم تزل النار تأكلها، وجاء رجل إلى يوشع فصالحه فالتصقت يده بيده فقال سلم ما عندك فأناه بر ٣٠٠٠٠ ثور من ذهب مكللا بالياقوت والجواهر، وكان قد غنَّه فجعله في القربان وجعل الرجل معه فأكلتها النـا (ر) . والغلول^٦ فهو محرم بالإجماع فقد قال الله تعالى: " ومن ينزل^٧ يأت بما غل^٨ يوم القيامة " . قال أبو هريرة: قام ١٠ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره وقال: أليس أحدكم يحمي^٩ يوم القيامة على رقبته بغير له رغاء يقول: يا رسول الله أعنني! فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتكَ . ثم إن مذهب مالك يؤدب ولا يحرق رحله ولا يمنع سهمه من الغنيمة، أما أدبه فظاهر لتعديه، وأطلق أهل مذهب مالك القول [بن ١٢٤ : ألف] بأدبه، وشرط الشافعي ١٥

(١) بياض بالأصل .

(٢) في الأصل: فدعا .

(٣) بقية الكلمة مطموس ، وربما كانت الكلمة: برأس .

(٤) مطموس بالأصل .

(٥) قرآن كريم ٣ : ١٦١ .

(٦ - -) في الأصل: يأت بما غل . وهو ما لا يتفق والآية .

في أدبه أن يكون عالما بالتهى وهو ظاهر ، وإنما لا يحرق رحله فهو
 مذهب الشافعي وأبي حنيفة ، وقال الأوزاعي يحرق رحله بالأسلحة
 والياب ولا يزرع منه فرسه ولا يحرق الشيء الذي غلّ ، وقال الحسن :
 يحرق جميع متاعه إلا أن يكون حيوانا أو مصحفا ، والفلول إما مطلقا
 ٥ وإما في الغنيمة ، وإذا بعث الإمام بسرية من بلد الإسلام بتقدمة ليديها
 فنظمت قبل خروجه فقال أشهب : الغنيمة للسرية والجيش ومن حضر
 القتال ثم مات قبل القسمة لحقه في الغنيمة ثابت يأخذه ورثته - انتهى .
 نود ، قيل إن يوشع بن نون فتح الله له مائة و ثلاثين مدينة
 من أرض الشام والجزيرة وقتل مقاتلتهم ، وسبأ ذراريهم وأموالهم .
 ١٠ قال كعب الأجار : وما أحلت الغنائم قبل محمد صلى الله عليه وسلم
 إلا لبوشع بن نون وأحلت أيضا لتينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكانت
 الأنبياء عليهم السلام يزلون الخمر فتجىء النار فتأكله ، وأمر النبي
 صلى الله عليه وسلم بأن تقسم الغنائم في قراء أمته وذلك من خصائصه
 صلى الله عليه وسلم . وكانت الصحابة رضوان الله عليهم لا يلتبسون من
 ١٥ الغنائم شيئا حتى يقسم عليهم هو بنفسه صلى الله عليه وسلم ، بل كان كل
 من أصاب منهم شيئا أن به طرحه في الغنائم ، فبركة فعلهم ذلك وإخلاصهم
 واعترافهم بنعمة الله تعالى عليهم ٢ [١٧٢ : الف] وملازمتهم فعل الحق

(١) في الأصل : مطلقا .

(٢) جاز قرأة الكلمة « ليتبها » نظرا لسقوط النقط من الأصل .

(٣) هنا ينتهي القسم السابق من حيث يستأنف الكلام في كلا المخطوطين

بعد ذلك . وخاتمة الكلام في بن ١٢٤ : الف سطر ١١ .

والصدق والعدل وتواضعهم لله تعالى فتحت لهم البلاد، وأطاعهم أهل العناد. وبنفس القول منهم والكلام اطاعتهم السباع والحوام، وكما روى أن عقبة بن نافع الانصارى لما فتح أرض مزاته انصرف إلى جزيرة إفريقية فأتى وادى القيروان، وكان واديا كثير الشجر كثير القطف تأدى إليه الوحوش والسباع والحوام، فتأدى بأعلى ٢ صوته: ه يا أهل الوادى ارتحلوا رحمكم الله فائنا نازلون. فلم يبق من السباع شيء ولا الوحوش ولا الحوام إلا خرج. وحدث الليث بن سعد أن عقبة ابن نافع لما أتى وادى القيروان وقف على رأس الوادى وقال: اظعنوا فائنا نازلون. قال ذلك ثلاث مرات فجلت الحيات تنساب والمقارب وخيرها مما لا يعرف من الدواب تخرج ذاهبة وهم قيام ينظرون من حين ١٠ أصبحوا حتى أوجعتهم الشمس وحتى لم يروا منها شيئا، فزلوا الوادى عند ذلك. قال الليث: لحدثني زياد بن الجلان أن أهل إفريقية أقاموا بسد ذلك أربعين سنة ٣ ولو التمس ٣ حية أو عقرب بألف دينار ما وجدت.

[قصص عن زيد بن أسلم وأبي بكر الصديق] ١٥

قال زيد بن أسلم: خرج من المدينة رجل غازيا فاقبته امرأة إلى

(١) في بن [١٢٤: ٩]: أطاعهم.

(٢) في الأصل: بأعلا. وهي كذلك في بن.

(٣-٢) في بن: و التمس.

(٤) الجملة ساقطة من بن ابتداء من «قال زيد» لغاية «الصبي يصعد بذلك».

باب دارها وهي حامل، فلما ودعته أشار يده إلى بطنها وقال: استودع الله ما في بطنك، فقضى أنها ماتت بعد سفره بأيام قلائل، فدفنت وجنيتها في بطنها، فرؤى^١ على قبرها نور ساطع، فشاع ذلك في الناس، فكان يرى ذلك النور في كل ليلة حتى قدم زوجها من^٢ الغزاة، فأخبر بخبرها، فخرج إلى القبر ليلاً، فانصدع قبرها، فاذا المرأة قاعدة في أكفانها والصبي في حجرها، قالت له: دونك يا فلان ما استودعت الله تعالى نخذه، ولو استودعتنا لوجدتنا. فأخذ الصبي معها حياً وانطبق القبر عليها. قال زيد بن أسلم: رأيت الصبي بعد ذلك يمشي مع الصبيان في أزقة المدينة. قال هشام بن سعد: ولقد سمعت أن^٣ الصبي يتحدث بذلك. و^٤ من ذلك ١٠. ما جعله الله في أمة التي عليه السلام بعد وفاته وفي صحابته من الكرامات من إجابة الدعوات والخبر عن الغائبات، منها أن الحارث^٥ المحاسبي أحد المشايخ^٦ الصالحين المذكورين^٧ في رسالة القشيري كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على إصبعه عرق فيمتنع من أكله، فان قيل

(١) في الأصل: فرى.

(٢) لعل الكلمة «مع» بدلا من «من».

(٣) استؤف الكلام في بن من هنا [١٢٤ : الف] .

(٤) زيد في بن: تعالى .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) عن بن، وفي بر: مشايخ .

(٧) عن بن، والكلمة في بر: المذكور .

فأبو بكر الصديق رضى الله عنه^١ أولى بكل مزية من سائر الامة، وقد وزن بالامة فرجح . وقد روى أنه قدم له ابن فأكل منه فوجد كدوته في قلبه ، فقال : من أين لكم هذا اللبن ؟ فقال غلام [ب : ١٧٢] له : كنت أنكهن لقوم في الجاهلية فأعطوني ثمن كهانتى فاشتريت منه ذلك اللبن . فتفأه أبو بكر ثم قال : والله لو لم يخرج إلا بمصارىي لأخرجتها^٢ ، فكيف شرب اللبن الذى فيه شبهة ولم تظهر له شبهة^٣ ؟ قيل إن من حسن^٤ اختيار الله^٥ لأبى بكر أن تناول من ذلك اللبن حتى يتكلف طرحه بعد شربه فيثبه الله^٦ على ذلك ، وأيضاً ليحصله قدوة للعباد فيقتدى به من أكل طعاماً فيه شبهة ، وأيضاً من حسن^٧ اختيار الله^٨ لآدم أكله^٩ من الشجرة بعد أن نهى عنها حتى يتوب^{١٠} من العمل فيكون قدوة للتائبين^{١١} وحتى يتعرف إلى الله^{١٢} بحله فيعرف^{١٣} أنه أكرم الأكرمين ، ويوقفه على وجود ستره ولطفه فيعلمه^{١٤} أنه اللطيف بعباده المؤمنين .

(١) زيد في بن : تعالى .

(٢) في بن : فأخرجته .

(٣) في بن : شبهته .

(٤) في الأصلين : أحسن .

(٥) كذا في بن وهو الصحيح ، وفي بر : أحسن .

(٦) في الأصلين : وأكله . - والواو زائدة .

(٧) كذا في بن ، والكلمة في بر : يقرب .

(٨) في بن : للتائبين .

(٩) في بن : فيعلم .

و ليكون أكل الشجرة سببا في النزول ، والنزول سببا في الخلافة ، فأكرم بها ١ معصية أورثته الخلافة . قال تعالى : " إني جاعل في الأرض خليفة ٢ " فهو أول خليفة ونبي ٣ . و النبيون جمع نبي ، و النبي فعيل من النبأ الذي هو الخبر ، و النبوة هي الارتفاع ، و كلا المعنيين صحيح أن ٤ يشق منه اسم النبي ، لأن الأنبياء عليهم السلام أرفع الناس منزلة ، فلهم النبوة على جميع الخلائق أى الارتفاع ، وهم ٥ أيضا على نبأ الله أى خبره ، إذ هم معادن الوحي الذي هو خبر الله تعالى . و قد حتمت الأنبياء ٦ بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم المكنى بأبي القاسم ٧

(١) زيد في بن : من .

(٢) قرآن كريم ٢ : ٣٠ .

(٣) زيد في بن [١٢٤ : ب] ولما داق آدم لذة الجنة و طيب المتأخرة في المبوط حوت الأنهار من دموعه فلا يوزن بكائه بكاء أحد ولا يثقله بثقل مخلوق ما كان سكون آدم إلا أنه قال : يارب إني تبت و أصلمت أراجي أنت إلى الجنة ؟ فقيل : نعم ! (يياض بالأصل) .

إذا ما ادعينا سلوة عن هواكم حرى الدمع فكذب دعوانا
طبت الوشاة حين بثت حديثنا إليها دموع العين رقت لبواثا - اهـ
فلندكر الآن ما قيل في البيهقي : النبيون جمع نبي - الخ .

(٤) في بن : إذ .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) زيد في بن : عليهم السلام .

(٧) في بن : القسم .

المتصل نسب إلى معد بن عدنان المقرون ذكره مع ذكر الله في الأذان
 صلى الله عليه^٢ وعلى جميع الأنبياء ما هطل الغمام، وغرد الحمام، صلاة
 دائمة على عمر الساعات والأيام، والشهور والأعوام. فحمد صلى الله
 عليه وسلم^٣ حجة الله^٤ المؤيدة براهيم^٥ أنواره، وفائدة الكون ونكتة
 أدواره^٦، وصفوة نوع البشر ومتهى أطواره^٧، المجتبى المختار موجود^٨
 الوجود^٩، واسطة العقود^{١٠}، المصطفى وديعة النور، المتقل في الجباه^{١١}
 الكريمة والفرر^{١٢}، ودرة الأنبياء، التي لها الفضل على الدرر^{١٣}، وغمام
 الرحمة الهامية الذرر، مختار الله الخصوص باجتماعه، وحبيبه الذي له
 المزيد^{١٤} على أحبابه، من ذرية أنبياء الله آباءه، الذي شرح صدره

(١) زيد في بن: تعالى .

(٢) زيد في في بن: وسلم .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن: براهيم .

(٥) في بن: أنواره .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) في بن: العقد .

(٨) في بن: الحياة .

(٩) في بن: والنور .

(١٠) في بن: الدور .

(١١) في بن: اللزقة .

و غسله ، ثم بعثه واسطة بينه وبين العباد وأرسله ، وأتم عليه إنعامه
و أجزله ، وأنزل عليه من الهدى والنور ما أنزله ، إلى بشرى المسيح
والذبيح ، المخصوص بالنسب الصريح ، الذى جعله فى المحول^٢ غماما ،
و للأنبياء^٣ إماما ، و شق صدره لتلقى^٤ روح أمره غلاما ، " وأعلم به
٥ فى التوراة والانجيل إعلاما " ، وعلم المؤمنين صلاة عليه وسلاما ،
الشفيع الذى لا تُرد فى المُصاة شفاعته ، [١٧٣ : الف] والوجه الذى
قُرن بطاعة الله طاعته ، والرؤف^٦ الرحيم الذى خلصت إلى الله فى أهل
الحرم ضراعه ، صاحب الآيات التى لا يسع ردها ، والمعجزات التى
أوبا على الآلاف عدها ، من قر شق ، وحذع يحى^٧ وحق^٨ ، وبنان ،
١٠ يتنجر بالماء فيقوم رى الظماء^٩ ، وطعام يشبع الجمع الكثير يسيره ،
وغمام يظل به مقامه ومسيره ، خطيب المقام المحمود إذا كان المرض ،
و أول من تنشق عنه الأرض ، وسيلة الله التى لولاها ما فرض^٩ المرض ،

(١) فى بن : بواسطة .

(٢) فى بن : المحول .

(٣) فى بن : والانباء .

(٤) فى بن : ليلقى .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : الرؤف .

(٧) فى بن : حن .

(٨) كذا فى الأصولين ، ولعل الكلمة « بحق » .

(٩) عن بن ، وفى بر : أفرض .

ولا عرف النفل والفرض، محمد بن عبد الله المحمود الخلال، من ذى
الجلال، الشاهدة بصدقه صحف الأنبياء وكتب الإرسال، وآياته التى
أثلجت^١ القلوب يبرد اليقين السلسال، صلى الله عليه ما ذرّ شارق،
وأومض بارق، وفرّق بين اليوم الشامس والليل الدامس فارق، صلاة
تأرجع عن شذا الزهر، وتبليج^٢ عن سنا الكواكب الزهر، وتردد^٣
بين السر والجهر، وتستغرق^٤ ساعات الأيام والشهر، وتدوم بدوام
الدهر، وعلى آله وأصحابه هجوم الهدى، ومصايح الدجى^٥، وسلم
تسليما كثيرا - فحمد^٦ صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء^٧ زمانا، وإن كان
أولهم منزلة وكالا، كما قال عليه السلام «كنت نبيّا وآدم بين الماء
والطين». وقال أيضا «أنا سيد ولد آدم ولا غر وأنا غاتم النبيين»،
ومعنى غاتم كما يقال طابع وطابع ختام^٨ الكتاب طبعه. قال الله ١٠
تعالى: «وَوَحَّيْنَاهُ مَسْكُ»^٩ وسمى نبينا محمد عليه السلام غاتم النبيين
لما كان آخرهم. قال ابن العارض:

(١) فى بن: تجلّت. و بهامشها: انحلت.

(٢) فى بن وردت هذه الأفعال بياض المضارعة بدلا من قائمها فى بر كما فى النص.

(٣) فى الأصول: الدجاء.

(٤) فى بن: عهد.

(٥) ريد فى بن: خاتمهم هو خير الأئمة.

(٦) ساقطة من بن.

(٧) فى بن: حاتم.

(٨) قرآن كريم ٨٣: ٢٦.

وجاء بأسرار الجميع مفيضها علينا له ختما على حين فترة
وما منهم إلا وقد كان داعيا به قومه للحق عن تبعية
أمر الله عز وجل كل نبي بأتباعه . وقال ابن الفارض أيضا:
فما لنا منهم نبي ومن دعا إلى الحق منا قام بالرسالة
٥ قال الغيف التلساني: أي من جملة الأنبياء المذكور فهو نبي ومنه قوله
عليه السلام « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل » . وقال ابن الفارض:
ومن كان منهم معجزا صار بعده كرامة صديق له أو خليفة
تقديره أو خليفة له .

بعزته استغنت عن الرسل الوري وأصحابه و التابعين الأئمة
١٠ كرامتهم من بعد ما خصهم به بما خصهم من إرث كل فضيلة
[١٧٣: ب] فمن نصره الدين الحنفي بعده قتال أبي بكر لآل حنيفة
وسارية الجبل النداء من عمر والدار غير قرية
ولم يشتغل عثمان عن ورده وقد أدار عليه القوم كأس المنية

(١) في بن: بالرسالة .

(٢) ساقطة من بن [١٢٥: الق] .

(٣) في بن: والأئمة .

(٤) في بن: لأبي .

(٥-٥) في بن: بطارية الجبل .

(٦) في بن: يشعل .

و أوضح بالتأويل ما كان مشكلا على سلم ناله بالوصية
و سائرهم مثل النجوم من اقتدى بأهم منه اهتدى بالنصيحة
و للآولياء المؤمنين به ولم يروه اجتبا قرب لقرب الآخرة
مبنى على قوله عليه السلام : « و اشوقاه إلى إخواني » .

- و قريبهم معنى له كاشتقاقه لهم صورة فاعجب بحضرة غيبة^٥
فهم بمعنى إليه و لهم و المعنى أنهم بالمعنى قريبهم إليه و بالصورة^٣ شوقه
إليهم فهم حاضرون بالمعنى غائبون بالصورة - انتهى^٢

[لمع من أخبار أبي بكر وعمر و عثمان]

و سأذكر^١ لما من أخبار أبي بكر^٢ و عمر و عثمان و على رضى الله
عنهم . أما أبو بكر فاسمه عبدالله بن أبي قحافة ، أمه أم الخير بنت
عمر بن عامر ، لبث في خلافته سنتين و أربعة أشهر إلا عشر ليال ،
و توفى بالمدينة ليلة الثلاثاء ثمان^٦ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث

- (١) عن بن ، و الكلمة في بر : و أشوقاه .
(٢) كذا في بن ، و هي في بر : غيبية ... و هو خطأ قلبي .
(٣-٤) الجملة واردة في بن و ساقطة من الأصل بر .
(٤) في بن : فلنذكر الآن .
(٥) في الهامش : مناقب الإمام أبي بكر الصديق .
(٦) زيد في بن : تعالى .
(٧) في الهامش : مطلب ، مناقب أبي بكر الصديق و باقي الصحابة .

عشرة من الهجرة . وكان أزهد الناس وأكثرهم تواضعا في أخلاقه
و لباسه ومطعمه ، وكان لباسه في خلافته الشملة والعباءة . وقدم إليه
زعمااء العرب وأشرافها وملوك اليمن وعليهم الخلل وبرود الوشي
المثقل بالذهب والتيجان والخبر ، فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد
و النسك والتواضع ، وما هو عليه من الوقار والهيبة ، ذهبوا معه
ونزعوا ما كان عليهم . فكان من وفد عليه ٢ من ملوك اليمن ٢ ذوالكلاع
ملك حمير ومعه ألف عبد دون ما كان معه من عشيرته وعليه التاج
وما وصف آفا ، فقلع ما كان عليه وتزينا بزى أبي بكر ، ورتى ٣
أبو بكر يوما في سوق من أسواق المدينة على كتفه جلد شاة ، ففرغت
١٠ عشيرته^١ لذلك وقالوا^٢ : لقد فضحتنا بين المهاجرين والآصار والعرب .
فقال لهم : أفأردتم أن أكون جبارا في الجاهلية جبارا في الإسلام ؟
لا ! ها الله لا يكون طاعة الرب إلا بالتواضع^٣ لله والزهد في هذه الدنيا
الفانية . وتواضعت الملوك ومن وفد عليه من الوفود بعد التكبر ،
وتذلوا بعد التجبر . ولم يتقلد أحد الخلافة وأبوه باقى غير أبى بكر

(١) كذا فى بن ، وهى فى بر : عليه .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) فى الأصل بر : ورمى . وفى بن : روى .

(٤-٥) فى بن : كذا وكالت .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) عن بن ، وفى بر : التواضع .

رضي الله عنه . وكان له من الولد عبد الله وعبد الرحمن ومحمد . فأما
عبد الله فإنه شهد يوم الطائف مع النبي صلى الله عليه وسلم [١٧٤ : الف]
فلحقته جراحة ، وبقى إلى خلافة أبيه ، ومات في خلافته ، وخلف
سبعة دنانير فاستكثرها أبوه . ولا عقب لعبد الله . وأما عبد الرحمن
٢ ابن أبي بكر فإنه شهد يوم بدر مع مشركي مكة ، ثم أسلم لحسن إسلامه .
و لعبد الرحمن عقب كثير بدو و حضر ناحية الحجاز مما يلي الجادة عن
طريق العراق . ومحمد بن أبي بكر أمه أسماء بنت عيسى الخثعمية ، ومنها
عقب جعفر بن أبي طالب ، وتزوجها أبو بكر بعد مقتل جعفر ، فخلف
عليها محمد ٣ ، ثم تزوجها بعد موت أبي بكر علي بن أبي طالب فأولدها
أولادا . وكان محمد بن أبي بكر يدعى عابد قريش لنفسه وزهده . ١٠
ومات أبو قحافة جده في خلافة عمر بن الخطاب سنة أربع عشر
للهجرة .

[عمر بن الخطاب ومناقبه]

ثم خلف من بعد أبي بكر عمر بن الخطاب بن قيل ، طيب في
خلافته ٥ عشر سنين وثلاثة أشهر . ثم طعن يوم الأربعاء ١٥

(١) زيد في بن : تعالى .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : محمد .

(٤) في الأصلين : يدعا .

(٥) زيد في بن : رضي الله تعالى عنه .

(٦) في بن : الخلافة .

لسبع بقين من ذى الحجة سنة أربع وعشرين من الهجرة ، فلبث في طعته ثلاثة أيام يصلى في ثيابه التي طعن فيها وتوفى . وكان يلقب بالفاروق لأن الشيطان كان يفرق منه أى يهرب عنه . وسيأتى فيما يرد من هذا الكتاب سبب قتله ومن قتله إن شاء الله تعالى . و كان متواضعا خشناً للملبس ه شديداً في ذات الله ، وكان يلبس الجبة الصوف المرقمة بالألوان وغيره ، ويشتمل بالعبادة ، ويحمل القرية على كتفه مع هبة قد رزقها . وكان أكثر ركابه الإبل ورحله مشدود بالليف ، وكذلك عماله مع ما فتح الله عليه من البلاد وأوسمهم من الأموال . وحج عمر فأفقق في ذهابه ومجيئه سنة عشر ديناراً . فقال لولده عبد الله : لقد أسرفنا في نفقتنا ١٠ . وأجفنا بيت مال المسلمين . وعمر رضى الله عنه له مناقب كثيرة . فمنها قوله : يا سارية الجبل ، وهذا عمر صاح بسارية ، وسارية بأرض العراق مصاف للعدو ، وعمر بالمدينة على المنبر يخطب يوم الجمعة فقال سارية : هذا صوت عمر يأمرنى بالجبل ، فابتدروا الجبل ، فهزم العدو وأصابوا غنيمة عظيمة . قال ابن الفارض :

(١) في بن [١٢٥ : ب] زيد تعالى .

(٢) في بن : بالعبادة .

(٣) الكلمة في الأصلين : فق .

(٤) زيد في بن : تعالى .

(٥) في بن : منها .

وسارية ألقاه للجبل الدا من عمر و الدار غير قرية
ومن مناقب عمر قصته مع النيل - كتب عمر إلى نيل مصر: إذا كنت تجرى
بحولك وقوتك فلا حاجة لنا بك، وإن كنت تجرى بحول الله ومته فاجر ٢ .
يجرى حتى اليوم ١ . ومن مناقب عمر قصته مع جرة بن شهاب، وذلك أنه
[١٧٤: ب] قال لرجل: ما اسمك؟ فقال: جرة. فقال: ابن من؟ فقال: ٥
ابن شهاب . فقال: من؟ فقال: من الحرقه . فقال: أين مسكنك؟

(١) زيد في بن: وذلك لما صنعت مصر في خلافته أي أهله (كذا) عمرو بن
العاص حين دخل بؤنه من أشهر القبط قالوا له أن لنيلنا سنة لا يجرى إلّا بها ،
فقال وما ذلك؟ قالوا: إذا كان ثقتي عشرة خلت من شهر بؤنة همدنا إلى
جارية بحيلة تكون بين أبيها وجعل عليها من اللباس والحل أفضل ما يكون
ثم نلقها في هذا النيل . فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام . وإنما
شهر بؤنه وأبيب ومسرى والنيل لا يجرى قليلا ولا كثيرا حتى هو بالخلا .
فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بذلك . فكتب إليه أنك أصبحت في
الذي فعلت وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابك فأنلقها في النيل . فلما قدم
كتاباه أخذ عمرو البطاقة فاذا فيها « من عبد الله عمر إلى نيل مصر إن كنت
تجري - الخ » .

(٢-٣) في بن: ومته ففسل الله أن يجريك فالتقى عمرو البطاقة في النيل يوم
الجمعة فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة،
وتقطع الله تعالى تلك السنة عن أهل مصر إلى يومنا .

(٣) في الأصل: فاجر .

(٤-٥) في بن: قال مسكنك .

فقال : بحرة النار . قال : بأياها ؟ قال : بذات لظى . قال : أدرك أهلك
فقد احترقوا . ففنى الرجل إلى أهله فوجدهم قد احترقوا بالنار . ومن
مناقب عمر ' قصته مع النار ' الخارجة من الجبل ، وذلك أن نارا خرجت
من كهف جبل ، وكانت تخرج فتحرق ما أصابت ' . فقيل لعمر ذلك
فأمر أبا ٣ موسى الأشعري أن يدخلها الكهف ، فجعل أبو موسى يجتسها
برداءه حتى أدخلها الجبل ، فلم تخرج بعد ذلك .

[خلافة عثمان بن عفان]

ثم ولي الخلافة بعده عثمان * بن عفان رضى الله عنه ، وكان
في نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل في القريب والبعيد .

(١-١) عن بن ، وهى فى بر : قصة النار .

(٢) فى بن : أصابه .

(٣) عن بن ، وهى فى بر : ابو .

(٤-٤) فى بن : يجسها .

(٥) فى بن : عثمن .

(٦) زيد فى بن : تعالى .

(٧) زيد فى بن [١٢٥ : ب] : وبني داره بالمدينة وشيخها بالحجر و... بس
وحمل أبوابها من الساج والعمر وافتنى أموالا وجنانا وهونا
بالمدينة ، وذكر عبيد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال
خمسون ومائة ألف دينار وخلف خيلا وإهلا كثيرة ، وفى خلافة عثمان
افتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور منهم الزبير بن العوام بنى داره =
فكانت

مكثت خلافته اثني عشرة سنة كتملاً ، وكمل يوم الجمعة لثمان عشرة
 خلت من المحرم سنة سبع و ثلاثين من الهجرة ٢٠ . وكانت رومة ركية
 ٢ ليهود بالمدينة تباع مائة٢١ من المسلمين . فقال النبي صلى الله عليه
 = بالبصرة و ابني [١٢٦ : ألف] دوره بالكوفة ومصر والإسكندرية وترك
 بعد وفاته خمسين ألف دينار ، وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري كان على
 مربطه ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة من الغنم و بلغ بعد وفاته
 الربع من ماله أربعا وثمانين ألفا ، ولما مات زيد بن ثابت خلف من الذهب
 و الفضة ما كان يكسر بالفوس غير ما خلف من الضياع و الأموال بقيمة
 مائة ألف دينار ، و مات بعل بن منبه وخلف خمسمائة ألف دينار و ديونا
 على الناس و عقارات وغير ذلك مما قيمته ثلاثمائة ألف دينار و هذا باب كبير
 وصفه فيما تملك و اتقى في أيام عثمان بن عفان ، و لم يكن قبل ذلك في عصر عمر
 ابن الخطاب شيء مما ذكر بل كانت جادة واضحة و طريقة بيّنة ، و كانت
 خلافة عثمان بن عفان اثني عشرة سنة - الخ .

و قد وردت هذه الفقرة فيما بعد في بر و لكننا آثرنا تركها ها من بر
 لوجود بعض الاختلاف و السقط بينها .

(١) في الأصلين : اثني .

(٢) زيد بن : و قتل و هو ابن اثنتين و ثمانين سنة و قيل لثمان بن عفان
 و هو عصور بداره أنه يصلي للناس امام فتة و أنت امام العامة ، فقال إن الصلاة
 من أحسن ما يفعل الإنسان فإذا أحسن الإنسان فأحسن و إن أساء فاجتنب (١)
 إساءتهم .

(٢-٢) في بن : ليهودي يُباع ماؤها .

وسلم : « من يشتري رومة ويحملها للسليين ، يضرب بدلوه في دلائهم ،
وله بها مشرب في الجنة » . فأبى عثمان بن عفان لليهودي فساومه بها ،
فأبى أن يبيعها كلها ، فاشتري نصفها بأثنى عشرة ألف درهم ، وجعلها
للسليين . وكان اتفق مع اليهودي أن تكون لكل واحد منها يومه في
الإسقاء^٢ ، فكان إذا كان يوم عثمان^٣ استقى^٤ المسلمون ماء يكفيهم
ليومين . فلما رأى ذلك اليهودي قال : أصدت عليّ رَكِيتي . ثم باع
النصف الثاني بثمانية آلاف درهم . فصار المسلمون يستقون^٥ منها بغير
ثمّن^٦ . وكان^٧ عثمان له^٨ من الولد عبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر ،
أمهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبان وعالدة وسعيد
١٠. والوليد والمغيرة وعبد الملك ، وأم أبان وأم سعيد وأم عمر^٩
^٨ وأم عائشة^{١٠} . وكان عبد الله الأكبر يلقب بالمطرف^{١١} لجماله وحسنه ،

(١) في الأصلين : عشر .

(٢) في بن : الاستسقاء .

(٣) في بن : عثمان .

(٤) في بن : استقا .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) زيد في بن : وإنما كانت للمسلمون قبل ذلك يستقون منها بالشرى
من اليهودي .

(٧-٨) في بن : لثمن .

(٨) في بن : همرو .

(٩-١٠) في بن : وعائشة .

(١٠) في بن : المطرق .

وكان كثير التزويج^١ كثير الطلاق . وكان أبان أبرص أحول قد حمل عنه أصحاب الحدث عدة من السن ، وولى لبني مروان مكة وغيرها . وكان الوليد صاحب شراب وقوة وجون . وقتل أبوه عثمان وهو مخلق الوجه سكران عليه مصبغات واسعة . وبلغ عد الله الأصغر ستة^٢ وسبعين يوما فقره ديك على عينه ، فكان ذلك^٣ سبب موته . وبني عثمان داره بالمدينة وشيدها بالحجر والكلس ، وجعل أبوابها من الساج والعمر ، واقتنى أموالا وجنانا وعبودا بالمدينة . وذكر عبيد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار . وخلف جيلا وإيلا كثيرة . وفي خلافة [١٧٥ : ألف] عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور . ومنهم الزبير ابن العوام بنى^٤ داره بالبصرة ، واقتنى^٥ دوره بالكوفة ومصر والإسكندرية ، وترك بعد وفاته خمسين ألف دينار وألف فرس وألف عدو وأمة . وكذلك طلحة بن عبيد الله التيمي كانت غلته من العراق

(١) في بن : التزوج .

(٢) في بن : أباه .

(٣) في الأصلين : ستا .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في الأصل : و بنا - ويلاحظ أن العبارة القادمة برمتها فيما يتعلق شراء الصحابة في عهد عثمان وردت قبله في بن كما هو واضح من حاشية سابقة .

(٦) في الأصل : بنا .

(٧) في الأصل : ابقنا .

في كل يوم ألف دينار . وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري كان على مربطه ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة من الغنم ، وبلغ بعد وفاته الربع من ماله أربعا وثمانين ألفا . ولما مات زيد بن ثابت خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفوس غير ما خلف ه من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار . ومات يعلى بن منبه وخلف خمسمائة ألف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك مما قيمته ثلاثمائة ألف دينار . وهذا باب يكثر وصفه فيما تملك واقضى في أيام عثمان بن عفان . ولم يكن قبل ذلك في عصر عمر بن الخطاب شيء مما ذكر ، بل كانت جادة واضحة وطريقة بيّنة .

- ١٠ وكانت قصة عمر رضي الله عنه في استساقته بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهم إنا كنا نستسقي بفيك صلى الله عليه وسلم إذ كان بين أظهرنا ، وهذا عمه فاستقنا . فسقام الله حتى فاض الماء وطلق الناس يمسحون بالعباس أركانه ، ويقولون هيتا لك ساق الحرمين ، وبنو العباس يفتخرون بذلك . وقيل خرج عمر يستسقي بالمدينة ومعه
- ١٥ العباس . وقد أقصطوا وخرج الناس معها ، قال : فأقبل عمر على الناس بوجهه فقال : أيها الناس استغفروا ربكم إنه كان خفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهارا . ثم قال : اللهم إنا كنا نستسقي بفيك محمد صلى الله عليه وسلم ،
- (١) القصة من هنا إلى خلافة علي بن أبي طالب ساقطة من بن ويستألف الكلام بالعبارة « وولى الخلافة بعد قتل عثمان - الخ » مع بعض الاختلاف النقطي .

وقد قبضته إليك ، وإذا توحه إليك بعم نيك ونستقيك به فاسقنا .
 قال بعضهم ، فنظرت إلى العباس وكان وجهه ورقة مصحف ، وعيناه
 تهملان ، وسبائناه تهملان ، وهو يقول : إنك لم تهمل الرعية ، ولم تدع
 الكبير بدار مضية ، وقد ضرع الصغير ، ورق الكبير ، فدارك
 عبادك قبل أن يمتطوا فيهلكوا ، فانه لم يقط من رحمتك إلا القوم
 الخاسرون . قال قشأت طرة من غيم كالية الحروف ، ثم تفرقت في
 السماء وهدرت ، فاعتلقوا الحدا (كدا) وقلصوا المأزر والملا ، وأهمت
 القوم أنفسهم من شدة المطر ، [١٧٥ : ب] وطفقوا تمسحا بالعباس
 ويقولون : هيتا لك ساقى الحرمين وفي ذلك يقول الفضل بن العباس :

١٠ أبى استقى^١ عمر فأنزل الله المطر

قال بعضهم : سمعت أعرابيا يقول : باكرنا وسمى^٢ وخله ولى^٣ ، فصارت
 الأرض كأنها دياجة رقشاء قد أحكم نسجها ، فبينما نحن كذلك إذ أقبلت
 رجُل من الجراد ، فأخربت البلاد ، وأهلك العباد ، سبحانه الذى يهلك
 القوى الآكول بالضعيف المأكول . قال الشاعر :

١٥ أنزل الجراد على زرعى فقلت له أنزل بخير ولا تنزل بافساد

فجاءتني إحداهن قاتلة إنا على سفر لا بد من زاد
 فالجراد إذا بات فى زرع يانع ، لم يصح به بلغة لجائع ، بل يحصد

(١) فى الأصل : استقا . وقد صحح مجاهد الكلمة بقلم آخر .

(٢) الوسمى أول مطر الربيع .

(٣) الولى المطر الذى يلى الوسمى .

حصداً ، ويصير أرضه سوداً ، فالجراد جائحة من الجوائح ، يقال للذكر
والأنثى جرادة ، والجرادة تكى أم عوف ، قال الشاعر :

وما صفراء تكى أم عوف كأن رجليتها منجلان

حكى أن الجراد وقع على زرع كان لرابعة العدوية ، فلما جاءها الخبر
ه خرجت فرات الجراد قد ارتكبه ، فرمقت بطرفها نحو السماء وقالت :
إلهى رزقى قد تكفلت به ، فإن شئت فأطعم رزقى أعداءك ، وإن
شئت فأطعمه أوليائك ، فطار الجراد جميعه عنه .

وحكى أن موسى عليه السلام انتهى ذات يوم بأغنامه إلى واد
كثير الذئاب ، وكان قد بلغ من التعب والجهد ، فبقى متغيراً ، إن
اشتغل يحفظ الأغنام عجز عن ذلك لغلبة النوم عليه والتعب ، وإن
هو طلب الراحة والسكون عاثت الذئاب فى الأغنام ، فرمق طرفه إلى
السماء وقال : إلهى أحاط عليك ، وقذت مشيتك . ثم وضع رأسه
و نام ، فلما استيقظ وجد ذئبا واضعا عصاه على عنقه وهو يرمى الأغنام ،
فغضب من ذلك ، فأوحى الله إليه : يا موسى كن لى كما أريد أكن لك
١٥ كما تريد - انتهى .

(١) فى الأصل : أعداك .

(٢) فى الأصل : أوليائك .

(٣) كذا فى الأصل ، ولعل الكلمة : منه .

(٤) كذا فى الأصل ، ولعل الكلمة : متغيراً .

(٥) فى الأصل : هدت .

[خلافة علي بن أبي طالب]

١. ولى الخلافة بعد قتل عثمان علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
 فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وستة عشر يوما . و قتل يوم
 الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة .
 و دفن ليلا ، و أعمر قبره ٢ فنهزم من قال إنه حمل إلى المدينة و دفن ه
 عند قبر فاطمة . و منهم من قال إنه حمل على جبل في تابوت ٣ ، و ان
 الجبل تاه به و وقع [١٧٦ : الف] إلى بلاد طى . و كان مولد علي ٤ في
 الكعبة ، و أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ٥ بن عبد مناف ، و كان إسلامه
 و هو ابن خمسة عشر سنة . و قال له ٦ النبي ٧ صلى الله عليه و سلم :
 « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، و عاد من عاداه » . ١٠
 و قال النبي صلى الله عليه و سلم : « أما ترتضى ٨ أن تكون مني بمثلة
 هارون من موسى ؟ غير أنه لا ينى بعدى » . ٩ و بهذا الحديث سمى ٩

- (١-١) في بن : تم يبيع لعل ابن أبي طالب بالخلافة بعد قتل عثمان رضي الله عنهما .
 (٢) زيد في بن : و قد تنوزع في قبره فمنهم من قال إنه دفن في مسجد الكوفة ،
 و منهم من قال - الخ .
 (٣) في بن : تابوته .
 (٤) زيد في بن : رضي الله تعالى عنه .
 (٥) في بن : هشام .
 (٦) ساقطة من بن .
 (٧) في هامش ر بقلم غير قلم النسخ « به نظر بل دون ذلك كما في السير » .
 (٨) في بن [١٢٦ : ب] رضي .
 (٩-٩) في بن : الحديث سمى .

الشيعية على بن أبي طالب « الوصي » ، وقالوا فيه إنه استخلفه على أمته ،
إذ جعله بمنزلة هارون^١ من موسى ، لأن هارون^٢ كان خليفة موسى
على قومه إذا غاب عنهم . وقال السيد الحيرى :

إني أدين بما دان الوصي به وشاركت كفه كفى بصفتنا

هـ و صفتين موضع حرب أهل العراق . و جمع الثنى صلى الله عليه وسلم
عليهما^٣ وفاطمة والحسن والحسين فألقى عليهم كساءه و ضمهم إلى نفسه ،
ثم تلى^٤ هذه الآية : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا^٥ » وقال : « هؤلاء أهل بيتي » . و لقوله « إني تارك
فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله و عترتي » ، فتأولت الشيعة
١٠ الرجس هاهنا الخوض في غمرات الدنيا و لذاتها . و قال النبي صلى الله
عليه وسلم يوم خيبر : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله
لا يبتغي حتى يفتح الله له ، مدعى^٦ عليا و كان أرمدا فقل في عينه
و قال : اللهم مه أذى الحر و البرد » فكان يلبس كسوة الشتاء في الصيف
و كسوة الصيف في الشتاء و لا يضره . و قال على بن أبي طالب : أنا أخو
١٥ رسول الله^٧ و ابن عمه لا يقولها بعدى إلا كذاب . و قال الشعبي : مثل
على بن أبي طالب في هذه الأمة مثل المسيح بن مريم في بني إسرائيل ،

(١) في بن : هرون .

(٢) في هامش بر « مطلب ، أخبار سيدنا على و إسلامه و أخبار الكساء » .

(٣) في بن : تلا .

(٤) قرآن كريم ٣٣ : ٣٣ . (٥) من بن ، و في بر « و عترتي » .

(٦) في بن : قد دعا .

(٧) زيد في بن : صلى الله عليه وسلم .

أحبه قوم فكفروا في حبه ، و أبغضه قوم فكفروا في بغضه . و قال
النبي عليه السلام : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما
خير منهما ٢ . و قال أبو الحسن : كان علي بن أبي طالب يقسم بيت المال
في كل جمعة حتى لا يبقى منه شيء ، ثم يرش له و يقبل فيه ، و يتمثل
بهذا البيت :

هذا جناسي و خياره فيه إذ كل جان يده إلى يه
قال : و كان علي إذا دخل بيت المال و نظر إلى ما فيه من الذهب
و الفضة فيقول : ايغني و اصغري و غري غري ، إني من الله بكل خير .
قال القاضي أبو حازم : إجماع الخلفاء الأربعة حجة لقوله عليه السلام :
عليكم بسني و سنة الخلفاء الراشدين من بعدي . و قيل إجماع الشيخين ١٠
لقوله ٣ : اقتدوا بالذين من بعدي [١٧٦ : ب] أبو بكر و عمر . و قال

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) زيد هنا في بن : و كان عهد بن علي بن أبي طالب و هو ابن الحنفية و أمهما
خولة بنت جعفر من سبي اليمامة ولد في صدر خلافة عمر و رأى عمر و روى عنه وعن
أبيه علي و من عمن و عن أبي هريرة و غيرهم و روى له الجماعة و سمته الشيعة
المهدي و هم يزعمون أنه لم يميت و أنه مقيم بجبل رضوى عنده غسل و ماء ، و كان
عهد بن الحنفية من الفرسان و أولى القوة . حكى المبرد في الكامل أن أباه عليا
استطال درعا كان له من و رد فقال له تقصص منها كذا و كذا خلة فقبض عهد
إحدى يديه على ذيلها و الأخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي قدره
أبوه . و كان عبد الله بن الزبير إذا حدث بهذا الحديث غضب و اعتراه رعدة
لأنه كان يفضله على قوته . و كان عهد بن الحنفية يلبس الخنز و يتعمم بعمامة
سوداء .

(٣) زيد في بن : عليه السلام .

بعضهم يمدح الخلفاء الأربعة 'رضوان الله عليهم':

قوم هم الخلفاء الراشدون ومن أقام ربهم للدين أركاناً
 'قوم إذا ذكرت عندي فضائلهم شمتت من جنة الفردوس ريحاناً'
 منهم أبو بكر الصديق أولهم مقدم القوم أبطالا وفرسانا
 ٥ وبعده عمر الفاروق صاحبه ٢ ذاك الذي لم يزل للدين معوانا
 ثم ابن عفان لا تفسى فضائله أعنى بذاك شهيد الدار عثمان
 وفي الإمام أبو السبطين حيدرة فضل خدا في كتاب الفضل عنوانا
 فأهل بيت رسول الله حبهم ' أرجو* به عند رب العرش غفرانا

[قصص وأخبار من عهد معاوية ويزيد]

١٠ وأما أبو قرظابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
 يغزو سنة ، وابنه عياض يغزو سنة . ثم أسر عياض في أرض الروم ،
 فكان أبو قرظابة يقوم في مواقيت الصلاة فيقول : يا عياض ، الصلاة

(١-١) ساقطة من بن .

(٢-٢) هذا البيت ساقط من بر ووارد في بن ، وجمعت لفظة « ريحانه » فيه
 « ريحنا » .

(٣) في بن : صاحب .

(٤) ساقطة من بن [١٢٧ : الف] .

(٥) في بن : أرجوا .

(٦) زيد هنا في بن : وأما العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر بن
 الخطاب في استيفائه بالعباس رضى الله تعالى عنها : اللهم إنا نستقي بتيك
 صلى الله عليه وسلم إذا كان بين أظهرنا وهذا همه [الكلمة مطموسة] =

== فسقام الله حتى فاض الماء وطفق الناس يتمسحون بالعباس أركانه ويقولون هناك ساق الحرمين ، وبنو العباس يفتخرون بذلك . وقيل خرج عمر رضي الله تعالى عنه في خلافة يستقي بالمدينة ومع العباس وقد أقصعوا وخرج الناس معها ، قال فأقبل عمر على الناس بوجهه فقال : استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل الساء عليكم مدرارا ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا . ثم قال : اللهم إنا كنا نستسقي بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم وقد لبضته إليك وإنا نتوجه إليك بعم نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ونستسقي به فاستقنا . قال بعضهم فنظرت إلى العباس وكأنه ورقة مصحف وعينه تهللان وسبابه تجولان وهو يقول : إنا لم تمهل الرعة ولم تدع لكسيرا بدار مضية وقد ضرع الصغير ورق الكبر تتدارك عبادك قبل أن يخطروا فيهلكوا فانه لن يقنط من رحمتك إلا القوم الخاسرون . قال : فنشأت طرة من غيم كالهيئة الحروف ثم قررت في الساء وهدرت فاعتقوا الخلا وقلصوا المآزر والملا واهمت القوم أنفسهم من شدة المطر وطفقوا تسط بالعباس يقولون هنيئا لك ساق الحرمين . وفي ذلك يقول الفضل بن العباس :

بأبي استسقي عمر فأقول الله المطر

قال بعضهم سمعت أعرابيا يقول : باكرنا ويسمى وخلفه ولي ، فصارت الأرض كأنها ديساجة رنشاء قد أحكم نسجها . فينبأ نحن كذلك إذ أقبلت رجل من الجراد فأخربت البلاد وأهلكت العباد فسبحان الذي يهلك القوى الأكول بالضعيف المأكول . قال الشاعر :

نزل الجراد على زرعى فقلت له أول بخير ولا تنزل بأفاد
لجأوتني إحدا من قائلة إنا على سفر لا بد من زاد

فالجراد إذا بات في زرع يانع لم يصبح به بلقة بلطاع بل يحصد حصيدا ويصير أرضه بعد الخضرة سودا فالجراد جائحة من الجوائح والجوائح الريح تسقط الثمر والمطر والبرد ، والجراد والجديد والطير التالِب واقطاع الماء فهو جائحة في القليل والكثير بإجماع ، وأما ما كان اكتسابه من الحبوب والكافين ==

الصلاة . فيجيبه عياض وهو بأرض الروم . وأما ' أبو أيوب ' خالد
 = ولا يمكن الاحتراس منه كالجيش والسارق فاختلف فيه ، قال ابن القسم
 هو جماعة وقال نافع الجيش ليس بجماعة دون السارق . انتهى
 نعود ونقول للذكر والأنثى جرادة والجرادة تكنى أم عوف .
 قال الشاعر :

وما صفراء تكنى أم عوف كأن رحلها ممتخلان (كذا)
 الجرادة رجلها ستة ورأسها رأس مرس وعنقها عنق ثور ومصدرها صدر
 أسد وجاحا جناحا نسر ورجلها رجل حمار (مأ) وذنبا ذنب حية . وقال
 الشاعر في النمل والعصفور والجراد :

ثلاثة في الأرض لا تواد النمل والعصفور والجراد
 حتى أن الجراد وقع على زرع كان لراية العدوية فلما جاءها النمل خرجت
 ترات الجراد قد ارتكبه فرمقت طرفها إلى السله وقالت إلهي رزقي قد تكفلت
 به فان شئت فأطعم رزقي أعداءك وإن شئت فأطعمه أوليائك . فطار الجراد
 عنه . وحكى أن موسى عليه السلام انتهى ذات يوم بأغنامه إلى واد كثير
 الذئاب وكان قد بلغ به الجهد فبقى متعبا إن اشتغل بنظر الأغنام [١٢٧ : ب]
 مجز عن ذلك وطلب النوم عليه والتصب وإن هو طلب الراحة والسكون
 عانت الذئاب في الأغنام فومق طرفه إلى السله وقال إلهي أحاط عليك وفذت
 مشيتك ، ثم وضع رأسه ونام فلما استيقظ وجد ذئبا واضعا عصاه على عنقه
 وهو يرعى الأغنام فحجب من ذلك فأوحى الله تعالى « يا موسى كن لي كما أريد
 أكن لك كما تريد » . انتهى .

نعود ، وأما أبو قرضابة - الخ .

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) في بن : ومن ذلك قصة أبي أيوب . - ويهاشمي بر : قصة أبي أيوب
 خالد مع يزيد بن معاوية .

ابن زيد مع يزيد بن معاوية في غزوة القسطنطينية 'فانه مات بها' ،
وقبر' في سور القسطنطينية ، فأشرف أهل القسطنطينية فقالوا ٣ :
إنما فعلتم هذا بعظيم من عظمتكم أحب أن يجاهدنا حيا وميتا ، فان
رحلتم لنخرجته . فقال يزيد بن معاوية ٤ : فان فعلتم لا مررت بككنيسة
ما بيني وبين الشام إلا خربتها . قالوا : فالتاركة . فارتحل يزيد ٥ بن
معاوية ٥ وتركهم . و كانوا إذا علوا كشفوا عن قمره ، فاستسقوا به
فينزل لهم المطر . وكان يزيد بن معاوية ٦ قد أحب أن يئنب بنت
إسحاق ٧ ٨ في أيام والده معاوية ٩ ٩ وبلغ والده حبه لها ، فتحيل له
على أن يزوجه بها ، فاقعت حيله . وسأذكرها إن شاء الله تعالى ٩ .

قال عبد الملك بن عبدون الحضرمي في كتابه الموسوم بالندرة ١٠
الفريدة في شرح القصيدة الموسومة بزهر الكرامة ١١ و قطر الغمام ١٢ ،

(١-١) في بن : ومات أبو أيوب خالد بن زيد بها .

(٢) زيد في بن : بها .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : معاوية وحكمه ٤١ - ٦٠ / ٦٦١ - ٦٨٠ م وحكم يزيد ٦٠ - ٦٤ / ٥

٦٨٠ - ٦٨٣ م .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) زيد في بن : ابن أبي سفيان - وبهامش بر : قصة يزيد مع اريئب بنت إسحاق .

(٧) في بن : إسحاق .

(٨-٨) في بن : قيل أن طي الخلافة .

(٩-٩) الجملة ساقطة من بن .

(١٠) في بن : الكرام .

(١١) في بن : الغمام .

قوله فيها :

وفي ابن هند^١ وفي ابن المصطفى حسن أنت بمعضلة^٢ الآليات والفكر^٣
 فقال في^٤ شرح هذا البيت بعد أن ذكر خبر معاوية^٥ وأمه هند وولدهما
 يزيد^٦ أن أريئب بنت إسحاق^٧ زوج عبد الله بن سلام القرشي ، وكان
 عبد الله هذا واليا على العراق ، وكانت أريئب هذه من أجل نساء وقتها
 وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا . وكان يزيد بن معاوية^٨ سمع بجمالها^٩ وما
 هي عليه^{١٠} من الأدب وحسن الخلق والخلق ، فقتلها ، فلما عيل صدره ذكر
 ذلك لأبيه معاوية^{١١} ، فقال له معاوية^{١٢} : مهلا يا يزيد . فقال يزيد : علام تأمرني
 يا أمير المؤمنين بالمثل [١٧٧ : الف] وقد انقطع منها الأمل^{١٣} ؟ قال

(١) في بن : وقوله .

(٢) في بن : غندر .

(٣) في بن : بمعضلة .

(٤) هذه القصيدة لأبي عبد عبد المجيد بن عبدون . راجع « نهاية الأرب »

ج . ص ١٨٨ .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٧) ساقطة من بن .

(٧) في بن : إسحاق .

(٨) في بن : معاوية .

(٩-١٠) في بن : بما عليه .

(١٠) في بن : الأصل .

معاوية^١ : فأين عقلك ومروءتك؟ فقال له يزيد : قد عيل العقل^٢ ، ولو كان أحد ينفع فيما يتلى به من الهوى لكان أولى الناس بالصبر عليه داود حين ابتلى به^٣ . قال له : أكنم بأبني خبرك ، فإن البوح به غير نافعك ، والله بالغ أمره فيك ، ولا بد مما هو كائن . وأخذ معاوية^٤ في الحيلة يريد رضى ولده فيها ، فكتب معاوية^٥ إلى عبد الله بن سلام ه زوج أرينب ، وكان استعمله على العراق : أن ' اقبل لأمر فيه حظك إن شاء الله ولا تأخر . وكان عند معاوية^٦ يومئذ بدمشق أبو هريرة وأبو الدرداء ، فلما قدم عليه عبد الله بن سلام ، أمر معاوية^٧ أن يزل منزلا قد هياه له . ثم قال لأبي هريرة وأبي الدرداء : إن الله قد قسم على عباده نعمًا^٨ وأوجب عليهم حفظها ، فحباي عز وجل بأتم الشرف^٩ ١٠ وأفضل الذكر ، وأوسع على رزقه^{١١} ، وجعلنى راضى خلقه ، وأمينه فى بلاده ، والحاكم فى أمر عباده ، ليلونى أشكر أم أكفر ، وقد بلغت لى ابنة أريد تزويجها فى تحمل من يتزوجها ، لعل من يكون بعدى يقتدى^{١٢} بهدى ، ويتبع فيه أثرى ، فانه قد بلى هذا الملك بعدى من يطلب عليه

(١) فى بن : معاوية .

(٢) فى بن : والعقل .

(٣) فى هامش بر بغير قلم الناسخ : انظر قيسح احتذاره و تهوده وكيف احتج على غلبة هواه بنى الله وخليفته .

(٤) فى بن : بآن .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بن .

(٦) زيد فى بن : فيه .

زهر الشيطان إلى تعطيل بناتهم ولا يرون لمن كفوا ولا نظيرا . وقد
رضيت لها عبد الله بن سلام لدينه وشرفه وفضله ومروءته وأدبه .
فقال له أبو هريرة وأبو الدرداء : إن أولى الناس رعاية نعم الله وشكرها
وطلب مرضاته فيما خصه بها منها ، لأنك صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم و كاتبه وصهره . قال معاوية^٢ : فاذكرا لعبد الله بن سلام
ذلك عني ، وقد كنت جعلت لها في نفسه^٣ شوري ، غير أني أرجو ألا
تخرج من أمري^٤ . إن شاء الله تعالى . فخرجا من عنده متوجهين إلى منزل
عبد الله بن سلام بالذي قال لهما معاوية^١ . ثم دخل معاوية^٢ على ابنته
فقال لها : إذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك أمر
١٠ عبد الله بن سلام وتزويجي إياك منه وحضاك على المسارعة إلى هوائي
هقولي لهما^٥ : عبد الله كفؤ وقريب حميم ، غير أن تحتة أرنب بنت
إسحاق^٦ ، وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء فأتناول
منه ما يسخط الله فيه ، فيعذبنى عليه^٧ ، ولست بغائلة حتى يبارقها .

(١) زيد في بن [١٢٨ : الف] : لها .

(٢) في بن : معاوية .

(٣) واردة في بن ، وساقطة من بر .

(٤) في بن : ادبي .

(٥) في بن : لهم .

(٦) في بن : اصحى .

(٧) ساقطة من بن .

فلما ذكر ذلك ١ أو الرداء وأبو هريرة لعبد الله بن سلام ، وأعلمها
بالذي ٢ أمره معاوية ٢ ، فرح بذلك وحدثه وبثها إليه خاطبين عليه .
فقال لها معاوية ٣ إذ جاءه خاطبين : قد تعلقان رضائي به [١٧ : ب]
وحرصى عليه ، ٤ وكنت قد ٤ أعلمتكما الذي جعلت لما في نفسها من
الشورى ٥ ، فادخلا عليها ، وأعرضا الذي ٦ رأيت لما ٦ ، فدخلتا عليها ٥
وأعلمها ذلك ٧ . فقالت لها كالذي ٨ قال لها أبوها ، ٩ وأعلمها بالذي
ارتضاه لما أبوها ٩ ، فأعلمها عبد الله بن سلام بذلك . فلما ظن ١٠ أنه لا يمنحها
منه إلا عدم ١١ فراق زوجته أرينب ، أشهدهما على طلاقها ، ومث بها إليه
خاطبين . وأعلمها معاوية ٣ بالذي كان من فراق عبد الله امرأته طالقا ١٢

(١-١) الامعان معكوسان في بن .

(٢-٢) في بن : امرها به معاوية .

(٣) في بن : معاوية .

(٤-٤) في بن : وقد كنت .

(٥) كذا في بن ، وهي في بر : الشورا .

(٦-٦) في بن : ذلك عليها .

(٧) في بكلمة « الشورى » زائدة وهي غير موجودة في بن وهو الأصح .

(٨) في بن : الذي .

(٩-٩) الجملة ساقطة من بن .

(١٠) في بن : علم .

(١١) ساقطة من بن ، ورواها في بن .

(١٢) ساقطة من بن .

لما يرضى ابنته ، فأظهر معاوية^١ كراهية لفعله^٢ وقال^٣ : ما استحسنت له طلاق^٤ امرأته . وأقام عدا الله بن سلام ينتظر إيجاز الأمر ، فقالت ابنة معاوية^١ : إن أريبن بنت إسحاق^٥ ذات حظ من الجمال ، وقد بان لي من أمر^٦ هذا الرجل أنه ملول مطلق ، وأخشى عاقبة أمرى معه . فتوقف الأمر إذ ذاك : وأمر معاوية^١ أبا الدرداء أن يتوجه إلى العراق وكيلا في خطبة أريبن بنت إسحاق^٥ ليريد ولده . فتجهز وتوجه إلى العراق ، فلما وصل الكوفة مر بالحسن بن علي بن أبي طالب مسلما^٧ عليه ، وسأله الحسن عن أمره ، فأعلمه الخطبة يزيد بن معاوية^١ على أريبن بنت إسحاق قال له^٨ : عرضني عليها في خطبتك . فلما دخل عليها أبو الدرداء قال لها : إن عدا الله بن سلام^٩ بت^{١٠} طلاقك^٤ ، وقد جئتكم خاطبا يزيد ابن^٩ أمير المؤمنين^{١١} معاوية^١ وهو صاحب عقده ، وولي أمره^{١١} ، والخليفة من بعده ، ومن عند الحسن

(١) في بن : معاوية .

(٢) في بن : صله .

(٣) « وقال » مكررة في بر .

(٤) عن بن ، وفي بر : خلاف .

(٥) في بن : إسحاق .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) في ر : مسلم . وفي بن : فسلم عليه .

(٨) زيد في بن منذ كذا وكذا وقد اقتضت عدتك .

(٩) في الأصل : بن .

(١٠-١٠) ساقطة من بن .

(١١) في بن : عهده .

ابن^١ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة^٢، وقد بلغك ستاؤهما وفضلها، وجئتك عاطبا عليها، فاخترى أيهما شئت. فسكتت طويلا ثم قالت: يا أبا الدرداء لو أن هذا الأمر جامى وأنت غائب لاستخضت^٣ فيه^٤ الرسل إليك، واتبعت فيه رأيك، ولم أقطعهم دونك، فأما إذا كنت المرسل فيه، فقد فوضت أمري بعد الله إليك، وجعلته في يديك، فاختر لي إرضاهما لديك، والله شاهد عليك، فاقض في قضائي بالتحري، ولا يصدك^٥ عن ذلك^٦ اتباع هوى، فليس أمرهما عليك خفيا، ولا أنت^٧ عما طوكتك^٨ غيبا. قال أبو الدرداء: إنما علي^٩ إعلامك، وعليك الاختيار لنفسك. قالت: عفى الله عنك^{١٠}، أنا بنت أحبك، ومن لا عفى به عنك^{١١}، فلا يمنك رهبة أحد من قول الحق فيما طوكتك، فقد^{١٢} وجب عليك أداء^{١٣} الأمانة فيما حملتك^{١٤}، والله خير من روعى وخيف، إنه

(١) في بر: بن، وهى كذا في بن.

(٢) في بن: القيمة.

(٣) في بن: لا شخصت.

(٤) ساقطة من بن.

(٥ - ٥) ساقطة من بن.

(٦ - ٦) في بن: بما طوكتك به.

(٧) في بن: إنما.

(٨ - ٨) في بر: لا عنايه عليك. وصحتها في بن: لا غنا به عنك.

(٩) مطبوعة في بن.

(١٠) ريد في بن: وفيما حملت.

بنا خير لطيف . فلما لم يجد بدا من القول والإشارة قال : أي بنية ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب (١٧٨ : الف) إلى لك وأرضى عندي والله أعلم بخيرهما لك ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً شفتيه على شفتي حسن^١ . قالت : قد اخترته ورضيته . فتزوجها الحسن بن علي و ساق لها مهراً عظيماً . وبلغ معاوية الخبر وما كان من فعل أبي البرداء في ذلك ، وتزوج الحسن إياها ، فتعاطفه جداً ولامه شديداً وقال : من يرسل ذا بَلَرٍ وعَمَى يركب خلاف ما يهوى . وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل^٢ فراقه بدرة مملوءة دُرّاً ، وكان ذلك أعظم مال^٣ لديه وأحبه إليه ، وقد كان معاوية^٤ قطع عنه جميع روافده لسوء قوله فيه ، و تهمته أنه حده^٥ ، فلم يزل يحببه^٦ حتى عيل صبره ، و قل ما في يديه ، و لام نفسه على المقام لديه^٧ ، وهو يتوقع جحود أربب لسوء فعله و طلاقها لغير شيء أنكره عليها . فلما قدم العراق لقي حسناً فسلم عليه ، ثم قال له :

(١) في بن [١٢٨ : ب] : الحسن .

(٢) في بن : معاوية .

(٣) في بر : بعد ، و صحتها من بن .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : ماله .

(٥) في بن : معاوية ، و زيد بعدها : أصرحه .

(٦) في بن : يحببه .

(٧) زيد في بن : فرجع إلى العراق وهو يذكر ماله الذي كان استودعها (د) ع إياها

ولا يدري كيف يصنع فيه وكيف يصل إليه وهو يتوقع - الخ .

قد

قد عرفت ما كان من^١ خبرى وخبر أريئب ، و كنت قبل فراقى إياها
استودعها^٢ مالا عظيما ، و كان الذى كان^٣ ولم أقتضه^٤ ، والله ما أنكرت
منها فى طول صحبتها قليلا ، ولا أغل^٥ بها إلا جبيلا ، فذاكرها أمرى ،
واحضنها على رد مالى ، فان الله يحسن عليه ذكرك ، و يحزل به أجرك .
فلما انصرف الحسن إليها قال لها : قد قدم عبد الله بن سلام ، وهو يحسن^٥
الثناء عليك ، و يحمده^٦ النشر عنك ، فى حسن صحبتك ، و ما أنسه قديما من
أمانتك ، فمرنى ذلك^٦ ، و أعجبني منه ذلك ، و ذكر أنه قد استودعك مالا
فأد إليه أمانته ، وردى عليه ماله ، فانه لم يقل إلا صدقا ، ولا يطلب
إلا حقا . قالت : صدق ، استودعنى مالا لا أدرى ما هو ، وإنه لمحتوم
عليه بخاتمته ، و ما هو ذا فادعه إليه^٧ . فأتى عليها حسن^٨ خيرا وقال : ١٠
بل أدخله عليك حتى تبرأ إليه منه كما دفعه إليك . ثم لقي^٩ عبد الله
ابن سلام و قال : ما أنكرت أريئب مالك ، و زعمت أنه بحتك كما

(١) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٢) فى بن : استودعها ، و ظاهر أنه خطأ ظنى .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : اقتضه .

(٥) فى بن : و يحمل .

(٦) ساقطة من بن وهو الأصح .

(٧) فى بن : إليك .

(٨) فى بن [١٢٨ : ب] : الحسن .

(٩) فى بن : التى .

ودفعته إليها ، فادخل أوخذ مالك منها كما دفعته إليها و تبرئها منه
إذا أدته إليك . فلما دخل عليها قال لها^١ الحسن ! هذا عبد الله بن
سلام قد جاء يطلب وديته ، فأدّ إليه أماته . فأخرجت إليه تلك
الدرة ، فوضعتها بين يديه وقالت : هذا مالك . فشكر وأثنى^٢ عليها ،
وفض عبد الله ختمه وحنّا لها من ذلك وقال : خدي هذا قليل لك
منى . وبكيا حتى علت أصواتهما بالكاء أسفا على ما اتليا به ، فرق^٣
الحسن لها للذي سمع منهما فقال : أشهد الله أنها طالق ثلاثا ، اللهم قد
تعلم أني لم [١٧٨ : ب] أزوجه رغبة في مالها ولا جمالها ، ولكني
أردت إحلالها لبعلي فطلقتها . ولم يأخذ شيئا مما ساق إليها في مهرها .
فسألها عبد الله أن ترد على الحسن ما كان أعطاه^٤ ، فأجابته إلى ذلك
شكرا لما صعه بها . فلم يقبله الحسن وقال : الذي^٥ أرجو عليه من
الثواب خير لي . فلما انقضت^٦ عدتها ، تزوجه عداقه بن سلام ،
وبقي زوجين متصاميين^٧ إلى أن فرق الموت بينهما ، وحرّمها الله [على^٨]

(١-١) في بن : و حده .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في ر : وثني ، وصحتها من بن .

(٤) في بن : و حتى .

(٥) في بن : أعطاه لها .

(٦) في ر : انقضت ، وصحتها من بن .

(٧) في بن : متصادقين .

(٨) ساقطة من الأصلين ، ولزومها واضح من السياق .

يزيد بن معاوية^١. وقيل: كان يزيد يتعاطى الشراب، وهو القاتل:

لولا الحياء لشربتها ما بين زمزم والحطيم
و جلوتها في كأسها فوق الصراط المستقيم

[موت الحسن بن علي]

٢ وقيل كان موت الحسن بن علي من سم سم به، يقال إن زوجته هـ
جعدة بنت الاسود بن قيس الكندي سقته لياه . و يذكر والله أعلم
بحقيقة أمورهم أن معاوية^٣ دس إليها بذلك على أن يوجه لها مائة ألف
ويزوجها من ابنه يزيد . فلما مات الحسن وفاها معاوية بالمال، وقال
إني أحب حياة يزيد .

و ذكروا أن الحسن قال عند موته: لقد خانت^٤ شربته، والله ١٠

(١) زيد بن: وكان يريد هذا آدم شديد الأدمة عظيم القامة نوحه أثر حمري
بين يادر لذاته ويحاجر بحصيته ويستحسن خطاه ويهون الأمر على نفسه
في دينه إذا صحت له دنياه وكان ممن يتعاطى الشراب - الخ .

(٢) زيد قيل هذه العبارة في بن: وكان الحسن بن أبي طالب كنيته أبو محمد
صمته كان أحد الشبهين برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) في بن [١٢٩: الف]: معاوية .

(٤) في بن: حيوة .

(٥) كذا في الأصلين، ولعل محضتها: ثمن .

(٦) في بن: حافت .

لأوفى لها بما وعد ، ولا صدق فيما قال . وفي سمه يقول رجل من الشيعة^٢ بعد قتل الحسين :

تمزّ فكم لك من سلوة تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبي و قتل الوصي و قتل الحسين و سم الحسن

٥ انتهى ٣ .

[في القطب و الأقطاب]

نعود ، و إنما بدأ القشيري في رسالته بالفضيل بن عياض و إراهم ابن آدم ، لأنها كانتا تقدم لهما زمن قطعة^١ ، كما قال إن الفضيل كان قاطما للطريق ، و ابن آدم كان ملكا بلسخ ، ثم أقبلنا على الله تعالى ، فأقبل الله^٢ عليهما ، فبدأ ذكرهما في رسالته بسطا لرجاء المريدين الذين كانت تقدمت منهم المخالفات ، ثم رجعوا إلى استقراع أبواب العنايات . إذ لو بدأ في رسالته بالجنيّد و سهل بن عدا الله التشتري و عتبة الغلام و المحاسي و أمثالهم ، منهم^٣ ممن نشأ في طريق الله^٤ ، لقال قائل : و هل يدرك هؤلاء الذي لم تسبق^٥ منهم زلات ، و لم تتقدم منهم مخالفات ؟

(١) في بن : لأوفا .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) في بن زيد ما يلي : و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب سبب قتل الحسين و كيفية قتله إن شاء الله تعالى - انتهى .

(٤) كذا في الأصلين ، ولعلها « قطيعة » .

(٥) زيد في بن : تعالى . (٦) ساقطة من بن .

(٧-٨) في بن : و من يدرك الذين لم تقبل .

- و سئل الشيخ أبو الحسن الشاذلي ، قيل له : يا سيدي ، لم بدأ صاحب الرسالة إبراهيم بن آدم دون غيره ؟ وربما كان غيره مقدما عليه في التاريخ . فقال : لأن إبراهيم بن آدم كان من ملوك الدنيا ، فأصبح وهو كذلك ، فجاء وقت الظهور وهو من الأولياء ، فبدأ به صاحب الرسالة ليُعلم أن فضل الله ليس بعمل . وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي من ٥
- القطب . [١٧٩ : الف] و القطب ٢ هو الغوث . و القطب هو الذي تدور عليه الرجا و السكره . و قطب الكون هو الرجل الذي لاحله وجد الكون و عليه مدار كونية الدارين . و لكل ٣ عصر قطب و هو صاحب الوقت . و قطب الاقطاب هو الذي لم يكن قبله و لا بعده مثله ، و هو محمد صلى الله عليه وسلم . و هذا في الحقيقة لم يزل في العلم الأزل . ١٠
- كذلك الأوتاد ٤ أربعة على أربعة جهات العالم . و الأبدال ٥ سعة على حكم أيام الأسبوع و الكواكب السيارة ، و سموها ١ أبدالاً لأنه إذا مات الغوث الذي هو القطب بدله واحد منهم . قال بزرجمهر حكيم الفرس : إن شئت أن تصير من جملة الأبدال لحوّل أخلاقك إلى أخلاق الأبطال . فليل له : كيف ذلك ؟ فقال : في الأبطال خمس ٦ خصال ١٥
- لو كانت في الكبار لكانوا أبدالاً ، وهي : أنهم لا يهتمون للرزق ، و إذا مرضوا لم يشكوا من خالقهم ، و أنهم لا يأكلون الطعام مجتمعين ، و إذا تحاصروا لم يتحاذوا و سارعوا إلى الصلح ، و أنهم يخوفون فيخافون بأذن تخويف و تدمع أعينهم - انتهى ٨ .

(١) ساقطة من ب . (٢) في بن : القطب - و بهامش بر : القطب .

(٣) في بن : لكل . (٤) في هامش بر : الأوتاد .

(٥) في بن : الأبدال - و بهامش بر أيضاً : الأبدال . (٦) في بن : سموها .

(٧) في هامش الأصل : مناقب الأبطال . (٨) في بن : آخره .

او للقطب رجلان عن يمين و شمال ، فهو بهم ثلاث ا .
و الاوتاد بهم سبعة . فالعالم وجد لغاية هي قطب الاقطاب ، فابتدا
مترقيا حتى ظهرت ، ثم ينحط إلى أن ينعقد ظهور أرباب الكمالات
الذين هم أقطاب أعصارهم بعده كما كانوا قبله ، فاذا توجهوا إلى الآخرة
ه خربت الدنيا ، لأنها لم تكن إلا من أجلهم ، و هم من أجل الفوت .
و قد قال ابن الفارض :

في دلوت الافلاك فاجب لقطبها السُّمُيط بها و القطب مركز نقطة
المعنى : لما كنت سبب وحدها ، و غاية ظهورها ، كنت قطبها . و لما
كانت بما فيها مسخرة لى ، و كلها صور صفاقه ، كنت محيطا بها . إحاطة
١٠ الإنسان بالحيوان و النبات و المعدن ، لا إحاطة الإناء بالماء - انتهى .

[عود إلى جزر بحر الروم]

نعود إلى الجزر . - جزيرة رواد^١ قرية من ساحل الشام ،

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : آخره .

(٤) في بن : كانت .

(٥) في بن : صفاقى .

(٦) زيد في بن : ذكر .

(٧) و كانت تدعى Aradus بالقرب من Tortosa على الساحل السورى .

و اسمها القديم Antaradus

و كانت الفرنج 'بها قاطنين'١، تعبت فيها بمراكب المسلمين المارة بهم في البحر، فرفع أمرها إلى السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون'٢، فأرسل لها مراكب فيها الرجال الشجعان، قتلوا أهلها وأخروها إلى الآن.

جزيرة اغرو' وهي مقابلة لبوقير في البحر الملح . وبوقير ظاهر ه الإسكندرية ' وهذه الجزيرة ترمى مراكب الفرنج بساحتها'٣، يستقون منها ماء الأمطار المتحصل فيها في الأماكن المنخفضة منها ' ويتوارون بجبالها عن نظر المتوكلين [١٧٩ : ب] محراسة مينة وقير'٤، فلما فهم المسلمون منهم ذلك غوروا'٥ طرق الماء حتى صارت الأمطار إذا انحدرت من جبالها تجري إلى البحر الملح تنصب فيه'٦، فصارت الجزيرة ١٠ المذكورة حالية من الماء العذب دائما .

و جزر بحر الروم كثيرة بطول الكلام عليها ، وهي كثيرة'٧ في البحر الأخضر ، ذكر بطليموس الفيلسوف أن فيه سبعة وعشرين ألف جزيرة ،

(١) في بن : قاطنين بها .

(٢) وكان حكمه على ثلاثة دعات ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ / ١٢٩٣ - ١٢٩٤ م ٦٩٨ و

- ٧٠٨ هـ / ١٢٩٨ - ١٣٠٨ م ٧٠٩ و ٧٤١ هـ / ١٣٠٩ - ١٣٤٠ م .

(٣) عن بن [١٢٩ : ب] ، والكلمة ساقطة من بر .

(٤) في بن : أبي قير

(٥) في الأصلين : همت .

(٦) في بن : مضوا إليها وغوروا .

(٧) ريد في بن : بسرعة .

(٨) في بن : كثيرة .

و كذلك الجزر كثيرة في البحر الزققي . و البحر الأعظم يحيط بالأرض من جميع الجهات تنفرع منه البحار ، ومنها البحر الآخذ من المغرب إلى الجنوب . و يأخذ من المغرب إلى القلزم ، و يمر إلى أرض السند و الهند ، و منه جناح يأخذ إلى بلاد فارس . و البحر الرومي يأخذ من أنطاكية إلى أقصى بلاد المغرب ، و هناك يلتقي بالبحر المظلم ، و بحر الهند هو البحر الحبشي و هو بحر الصين^١ . و الكلام على البحار و الأنهار^٢ و الجزر^٣ ، فلتقتصر على هذا القدر^٤ .

[عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة]

و^٥ لرحع الآن إلى قوله ابن أبي حجلة في مرثيته :

١٠ و من لي بفردان الجزيرة عند ما^٦ تعامل أهل الكفر في البحر بالبحر
يسى بها جزيرة الأندلس أو المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء
بالأندلس . و الأندلس في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . و كانت^٧

(١) زيد في بن : و فيه جزر كثيرة .

(٢) عن بن ، و الكلمة ساقطة من بر .

(٣) زيد في بن : ذكرها .

(٤) زيد في بن : و سياتي ذكر الأنهار و ما قيل فيها إن شاء الله تعالى .

(٥-٥) في بن : تعود إلى ما قاله .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) زيد في بن : « المدينة المعروفة » بالجزيرة الخضراء - أي Algeciras في إسبانيا .

الجزيرة المحصورة للسليين ، فحاصرها ١ الفريج نحو الستين ، ففرج ٢ أهلها
المسلون منها لطول الحصار ولعدم القوت سالمين من أسر الفريج
الكافرين ، وذلك أن الفريج أرسلوا يقولوا ٣ للسليين : إن اخترتم الحصار
حاصرناكم طويلا إلى أن تموتوا جوعا وعطشا ، وإن أردتم الخروج
من البلد بأموالكم وحرمةكم وذاريكم من غير أن يتعرض أحدنا لكم
فعلنا ذلك ، وما قصدنا إلا البلد خاصة . فتشاور ٤ المسلمون فيما بينهم
وقالوا : إن البلد تُخلف بغيرها ٥ ، والرجال لا تخلف إذا هلك .
فخرجوا منها وتركوها لهم بعد أن أعتهم ملك الإفرنج على أنفسهم
وأموالهم وحرمتهم وذاريهم . فخرجوا منها ينجزون ٦ بين عساكر
الإفرنج ، قد أخلت الإفرنج ٧ لهم طريقا يتصرفون ٨ منها ، فصاروا ٩
سائرين في تلك الطريق ٩ من غير معارض لهم ، فبينما هم كذلك وإذا
بطلح محتشم ١٠ تعرض لامرأة جميلة معها ١١ أمها ، فقبض على يدها ومضى
بها إلى خيمته ، فصرخت أمها ، فسمع ملك الإفرنج ١٢ من مرادقه ١٣ صراخا
عاليا مستمرا ١٤ ، فسأل عنه ، فأعلم بالخطر ، فادعى بالمرأة الصارخة وسأل

(١) في الأصلين : لحاصرتها . (٢) في الأصلين : نخرجت .

(٣) زيد بهامش بن : لأهلها ، وفي الأصلين الكلمة : يقولوا .

(٤) في الأصلين : فتشاور . (٥) ساقطة من بن .

(٦) في الأصلين : ينجزوا . بمعنى الانسحاب والسير بصوبة .

(٧) في بن : الفريج .

(٨) في الأصلين : يصرفوا .

(٩) زيد في بن : التي بينهم .

(١٠) زيد في بن : من أكابرهم .

(١١) في بن : مع .

(١٢-١٣) في بن : صراخها .

عن أمرها و ما سبب صراخها ، قالت : أيها الملك أنت قد أمّنتنا [١٨٠ : الف] على أنفسنا ، و قد أخذت ابنتي مني . قال : من أخذها ؟ قالت : رجل من أصحابكم صفة كذا و كذا ، فادعى الملك به فحضر . فقال : الآن تحضر ابنتي هذه المرأة . فأحضرت سرىما ، فقال له الملك : أما سمعت أماتا للسليين ؟ و إنا إذا أعطينا الأمان و فينا به ، و لم نقدر و لم تكث ، و أنك قد غدرت و خالفت و فعلت الفعل القبيح ، و خرجت عن شرع المسيح ، انزعوا ماله منه جميعه حتى ملبوسه الذى عليه . فامتثل أمره ، فقال : أعطوا ذلك كله للمرأة و ابنتها ليتطهر هذا الباغى من الغدر الذى غدره ، و الكدر الذى كدره فى دين النصرانية ١٠ و ابتدعه بهمة الشيطانية . فقبضنا حينئذ مال العلج المذكور ، و مضنا بالفرج و السرور ، فاستفتنا بعد فقر ، مع طول حصر . و ارتحل ٩

(١) زيد بن [١٣٠ : الف] : و حريصنا و أموالنا و أولادنا و اليهود منكم الوفاء و عدم الغدر فيما توفون به من أردتم أمانه .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) زيد بن : المأخوذه .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) بن : فلما احضرها .

(٦) بن : أما تعلم أنا .

(٧-٨) بن : أعطوه تلك المرأة .

(٨-٨) فأخذنا .

(٩) بن : و انتقلت ، و الكلمة فى بر : و ارتحلت .

الفرنج من ظاهر البلد 'سكنته وملكته' ، فأقاموا ' به نحو الثلاثين سنة ،
ورجع البلد بعد ذلك للسليين . وسيأتي ذكر كيفية رجوعهم إليه
إن شاء الله تعالى .

[السلطان أبو الحسن علي بن يعقوب المريني]

- و كان السلطان أبو الحسن علي^٢ بن يعقوب المريني^١ صاحب
مدينة فاس وأعمالها حاصر مدينة تلمسان بأرض المغرب مدة سنتين ،
وبنى^٣ إلى جانبها مدينة وسماها المنصورة ، وقال : لا أبرح حتى أملكها .
و كان صاحبها^٤ إذ ذاك أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى^٥ بن عمران
ابن زيان العد الوادي ، و كانوا ملوكا أحرارا^٦ ، و كان أبو الحسن
المريني^٧ أصوله عبيدا^٨ ، فأرسل خطب فاطمة بنت أبي تاشفين^٩ ، ١٠ ،

(١-١) في بن : ال باطنه وملكته ولستوطنته

(٢) في بن : قاموا .

(٣) زيد في بن : بن عثمان بن يوسف .

(٤) المريني أي Merinid وهو سلطان مراکش وحكمه ٧٣١-٧٤٩ هـ / ١٣٣١

١٣٤٨ م .

(٥) كذا في بن ، وهي في بر : بنتا .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) زيد في بن : بن ريان .

(٨) زيد في بن : قال لهم بنو عبد الواد .

(٩-٩) في بن : أسود اللون أمه جارية حبشية .

(١٠) جاز أن يكون أبو تاشفين عبد الرحمن الثاني الزيدى سلطان تلمسان =

فرد رسوله وقال: نحن أحرار لم نزوج بناتنا من 'أصله عبدا'.
فاتكأله 'أبو الحسن' ٣، ثم إن أبا تاشفين أرسل وزراءه وقواده إلى
مدينة تونس يحاربون 'سلطانها أبا بكر' ٤. فلما قدموا إليها هرب منهم
أبو بكر لكثرتهم وقوتهم، فاستغلوا على تونس، وأخذوا زوجته
'بنت الرصافي وأولاده وحريمه، ونهبوا بعض أمواله، ورجعوا إلى
تلسان، لحصلت العداوة بين صاحب تلسان وصاحب تونس. فأرسل
أبو الحسن المريني صاحب ٥ قاس خطب فاطمة بنت أبي بكر صاحب
تونس، فزوجه بها نكاحا ٦ في أبي تاشفين ٧. ثم إن أبا الحسن حاصر
تلسان بسبب فعله بصهره ٨ وبما رده به رسوله إليه من نسبه

وهو المذكور فيما بعد بهذا النص من الجزائر وحكمه ٧٨٨ - ٧٩٦ هـ / ١٢٨٦ -
١٣٩٣ م. وهناك أيضا أبو عمر تاشفين المريني وحكمه ٧٦٢ - ٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م
وتاريخه أقرب لتاريخ الحسن ٩ في بن: تاشفين المذكور.

(١-١) في بن: ابن جارية.

(٢) في بر: لها.

(٣) زيد في بن: المريني.

(٤) في الأصليين: يحاربوا.

(٥) من العلوم أن الاحتلال المريني لتونس كان سنة ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م
وسلطانها وقتئذ كان أبو حفص عمر الثاني وهو خلف أبي يحيى أبي بكر
للتوكل وحكمه ٧١٨ - ٧٤٧ هـ / ١٣١٨ - ١٣٤٦ م.

(٦) زيد في بن: مدينة قاس وأعمالها.

(٧) زيد في بن: صاحب تلسان.

(٨) زيد في بن: أبي بكر.

١ الاصوله الغير أحرار ، فضالت محاصرته لها حتى ملكها ٢ ، وذلك أن
أبا تاشفين كان مشغلا باللذات ، مستغرقا في الشهوات ، وسماع أصوات
الغانيات ، على حصّ الدفوف ٣ والنايات . ولم يباشر الحرب بنفسه
٤ نحو سنة ٥ من حين حصاره . وكان يقول لحريمه ٦ : والله لا سلّم تكن
لابي الحسن أبدا ، فإذا [١٨٠ : ب] غلبت ذبحتك ٧ فغصب أبو الحسن
المجانيق على البلد ، فحمل على باب كشوط سبعة ٨ مجانيق ، وعلى باب الجياد
ثلاثة ، وفي باب العقبة اثنين ، وفي باب القرمادين ٩ اثنين ، وصار ١٠
يبنى الحائط بعد الحائط لمنع السهام التي تأتي من رماة السور ، إلى أن
هدم مواضع ١١ من السور ١٢ ودخلها . فلما رأى أبو تاشفين الغلبة آتى

(١-١) في بن : إلى أمه الحشية و سواد لونه .

(٢) زيد في بن : بعد سنتين من حصاره لها .

(٣) في بن : المزاهر .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) زيد في بن : وجواره .

(٦) كذا في بن وهي في بر : سلّمك .

(٧) كذا في بن ، وفي بر : ذبحتك . وزيد في بن : عن آخركن .

(٨) في الأصليين : سبع .

(٩) في بن : باب القرادين - ولعله الصواب .

(١٠) واردة في بن وساقطة من بر .

(١١) كذا في بن وهي في بر بألف التنوين .

(١٢) في بن : سورها .

١ إلى حريمه ١ بسيفه يقتلهم ٢ كما وعدهم ٣ ، فقلقن ٤ الأبواب في وجهه
 فسلمن ٥ . فقبض عليه أبو الحسن قتلته صبدا ، وأخذ أمواله قهرا ٦ .
 فلما فتحها أبو الحسن في ٧ العشر الأخير من رمضان ٨ ستة سبع وثلاثين
 وسبعمائة ، قويت سلطته ، ووقعت ٩ في القلوب هيبة ، فلك البلاد
 ، وأطاعته العباد ، وفزعت منه الفرنج التي بجزيرة الأندلس . ١٠ فلما كان
 بعد ١ ذلك حدثته نفسه بجهاد الفرنج ومحو آثارهم منها ، وأن يجعلها
 دار إسلام ليصير له بذلك الذكر على طول الأيام ، لجهز الجيوش
 وجمع المقاتلة وعدى ١١ بها من زقاق سبعة ١٢ ، وذلك في بضع وأربعين

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) كذا في بن ، وهي في بر : يقتلهم .

(٣) كذا في بن ، وهي في بر : وعدهم .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : فقلقوا .

(٥) في الأصل بر : فسلموا ، وفي بن : فسلمن منه .

(٦) زيد في بن : وحريمه أسرى .

(٧-٧) ساقطة من بن [١٣٠ : ب] .

(٨) في بن : ووقع .

(٩-٩) في بن : فعمد .

(١٠) كذا في بن وهي في بر : عدا .

(١١) زيد في بن : وهو الخليج الذي حفره الإسكندر التتقم ذكره وكان

دخول جيش أبي الحسن المذكور الجزيرة المذكورة في بضع - الخ - وكلمة

« وذلك » في بر ساقطة من بن .

وسبعمائة . وقد تبعه من المسلمين ' خلق كثير بنسائهم وذراريهم ' قاصدين أرض النصارى يسكنون ' ديارهم ، ويتسمون ' بنهب أموالهم ' وزراعة أراضيهم ' . ' فكان جيشه كما ' قيل مائى ألف مقاتل . وتبع ذلك الجيش من المقاتلة المتطوعة أضعافها ' . واستصحب أبو الحسن معه زوجته فاطمة بنت السلطان أبي بكر ' وحرمة و خزانة هـ أمواله ، ليملك البلاد ويخليها من النصارى ' أهل العناد ' يقتله فيهم الكبير والصغير ، ويظهر جزيرة الأندلس من الحر والخزير ، ويمحو ' منها ' الصليب ، ويحملكها سكنى لكل عبد منيب . فلما تكامل جيشه بجزيرة الأندلس اجتمع به سلطان المسلمين بها ، وهو المعروف بابن الأحمر ،

- (١) زيد في بن : المراءطين .
- (٢) كذا في بن ، وهى في بر : يسكنوا .
- (٣) كذا في بن ، وهى في بر : ويسعوا .
- (٤-٤) في بن : وذرعهم لأراضيهم .
- (٥-٥) في بن : و كان جيش أبي الحسن على ما .
- (٦) زيد في بن : وأضعافها .
- (٧) في الأصلين : أبأ .
- (٨) زيد في بن : صاحب تونس .
- (٩-٩) زيد في بن : الضلال والعناد .
- (١٠) في الأصلين : يمحي .
- (١١) زيد في بن : دين .

وكرسى مملكته مدينة عرناطه ، و جارى عادة المسلمين^١ بها و بأعمالها يحاربون النصارى ، و النصارى تحاربهم أيضا ، فتارة لهم و تارة عليهم ، فنقم كل طائفة غلبت من الطائفة المغلوبة^٢ ، فاذا وقع بينهم الصلح ، يصير المسلم يحرق فى أرضه ، و النصارى يحرق فى أرضه المجاورة لأرض المسلم ، بينهما حد^٣ الزرع ، لا يعارض الواحد الآخر .

قيل^٤ لبعض المسلمين المجاورين لأرض النصارى^٥ : اما تنخشون مكر النصارى و خبثهم ؟ فقال : كيف نخشاهم و الذى يحبونا يحميننا ، لولا الحباية سقطت الحماية .

[ذكر الزراعة]

و إذ قد ذكرت الزراعة ، فلنذكر ما قيل فيها ، و نرجع إلى خبر أبى الحسن المذكور^٦ إن شاء الله تعالى . يقال لموضع الزرع مزرعة و مزدراع^٧ ، و الزرع أيضا طرح [الف : ١٨١] الحب فى الأرض ، و الزرع أيضا الإنبات . يقال زرعه الله أى أنبته ، و منه قوله تعالى :

(١) زيد فى بن : القاطنين .

(٢) زيد فى بن : الأخرى .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : قليل .

(٥) زيد فى بن : فى الزراعة .

(٦) فى الأصلين : يحميننا .

(٧) زيد فى بن : فى غرواته تلك .

(٨) فى بن : و مزدراعا .

”أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ“ . ويقال للصي: زرع الله أى - جبره ،
 وفى الصحيح من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يفرس
 مسلم غرسا ، ولا يزرع زرعاً ، ف يأكل منه إنسان ، ولا طائر ولا دابة
 ولا شيء ، إلا كانت له صدقة » ، والزارع ٢ يقال له الكافر ، والجمع
 كفار ، قال الله تعالى : ” كُتِلَ غَيْثُ الْكُفَّارِ بِنَاتِهِ ٣ “ ، والكفر ٥
 ضد الإيمان ، والكفران جحود النعمة ، والكافور نوع من الطيب ،
 والكافور كمّ العنب قبل أن ينور ، و سمي كافورا لأنه كفر الوليع
 أى غطاه ، والكفر من الأرض ما بعد عن الناس لا يكاد ينزله ولا يمر
 به أحد ، ومن حل بتلك المواضع فهم الكفور - ويقال للكفور القرى
 واحدا كفر - انتهى .

١٠

[حروب أبي الحسن المرينى وابن الأحمر

فى الأندلس]

نعود إلى ما كنا فيه من ذكر غزوة أبى الحسن المرينى لنصارى الأندلس ،
 وذلك أنه لما كملت جيوشه بجزيرة الأندلس ، [بن ١٣٠ : ب] نصب لأبى

(١) قرآن كريم ٥٦ : ٦٤ .

(٢) وردت فى بن يسقوط الوار .

(٣) قرآن كريم ٤٨ : ١٩ .

(٤) هذا القسم ساقط من بر ، ولكنه وارد فى بن ، ويظهر من السياق أن
 الكلام يكتمل به ولذلك أثرنا إدراجه فى النص [بن ١٣٠ : ب - ١٣١ : الف] .

الحسن قبة عالية من الخشب وطائه، فلما صعدھا ورأى ذلك العسكر العظيم الذى فرش الأرض أعجبه نفسه لما رأى من كثرة الخلاق التى اتبعتہ بعياھا وذرائعھا ليقاتل [بن ١٣١ : الف] كل رجل عن حريمه ولا يفر، فلما نزل من القبة إلى الأرض لحقه الإعجاب فأخذ مزراقه هـ وهزّه وقال: لا مزراق أعلا من هذا المزراق فى هذا اليوم . فكان قوله ذاك سبب خذلانه، ولو ترك الإعجاب وتواضع لرب الأرباب نصره العزيز الوهاب، ولكنه صار كما قال الشاعر :

ما طار طير وارتفع الا كما طار وقع

عن الشيخ أبى يعقوب السامح قال: أقت مدة ثلاثين سنة سائما فى الجبال وكانت الأحوال تطرقنى فأهيم على وجهى مجردا وتسقى على الرياح إلى أن بقى فوق جلدى جلد آخر من الوسخ لجانى ذئب فنظر إلى مبتسما ولحس جلدى كله حتى تركه كالبحار ثم ذهب عنى، فداخلى العجب فرجع الذئب إلىّ ونظر إلىّ مغضبا ثم بال علىّ وانصرف فأيت عين ماء فاغتسلت وقلت هذا جزاء الإعجاب أن تبول على المعجب ١٥ الذئاب - انتهى .

ثم إن الملكين أبا الحسن المربى وابن الأحمر اتفقا وساريا يقصدان قطع جادة الكفر فاجتازا ٣١ فى طريقها بمدينة للتصارى يقال

(١ - ١) العبارة ساقطة من بر، وواردة فى بن .

(٢) فى الأصلين : ابو .

(٣) فى بر : وصارا - وصحتها من بن .

(٤) فى بر : فاجتازوا - وصحتها من بن .

لها طريف، فقال السلطان ابن الأحمر للسلطان أبي الحسن: افتح بابه هذه المدينة ولا تتركها خلفنا. فقال أبو الحسن: هذه أقل وأذل من أن نبثني^١ بفتحها، وإن بها الأموال الكثيرة، و^٢ نخشى أن نفتحها أولاً، ينهب المسكر أموالها،^٣ فإذا أخذناها اجتمعت لنا أموالها^٤، ولا نبثني الآن إلا بمثل مدينة^٥ قرطبة وإشبيلية وطليلة وأشباهها. وأعجته نفسه بما هـ معه من المساكر التي هي كالبحر الزاخر. ولم يخطر بباله في ذلك الوقت إلا أنه هو المنصور، على كل رجس كفور،^٦ ولم يذكر^٧ حينئذ قوله تعالى: "وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرُوتُكُمْ ظَنَنْتُمْ عَنْكُمْ شَيْئًا وَخَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَآرِجِهَا ثُمَّ لَيْتُمْ مَدِيرِينَ"^٨، ثم إن أبا الحسن نصب سرادقه وطاقه بأميال يسيرة من مدينة طريف، وترك هناك خزائن^٩ أمواله وحرمه وطاقته من رحاله. وكانت النصراني التي بطريف لما طابوا جيوش المسلمين ينجرون^{١٠} كالسيل في النهار^{١١} والليل. أيقنوا بالذل

(١) كذا في بن وهب في بر: يبتلى.

(٢) واو العطف ساقطة من بن.

(٣ - ٤) الجملة ساقطة من بن.

(٤) في بن: ولستا.

(٥) ساقطة من بن.

(٦ - ٧) عن بن، وفي بر: لا ذكر.

(٧) قرآن كريم ٩: ٢٥.

(٨) في الأصلين: ينجروا.

(٩) في بن: بالنهار.

والويل، وصاروا من الفرع حيارى^١، وقالوا ذهب^٢ وحق المسيح ملك^٣ النصرى ففلقوا أبوابها، وأقاموا ينتظرون الموت، عند وقع الصوت . وكان ملك النصرى المعروف بالفنش^٤، وهو أول ملوك النصرى السبعة التى بالاندلس، قد اهتز لجيش أبى الحس، وفرغ منه وقال: ذهب ه ملك النصرانية، وانقضت دولة الرومانية [١٨١: ب] وانقضت أهل ماء المعمودية، وغلبت الملة الخنيفية، على جميع ممالك الملة المسيحية^٥ . فصار فى حزن ومهوم، بسبب انقضاء دولة الروم . ثم سأل عن مدينة طريف هل هى سالمة^٦ أم لا ؟ قيل له : إنها سالمة . لم يحصل لها من جيش المسلمين ضرر، وأهلها مقيمون بها . فقال : إن فيها خمسة آلاف مقاتل، ويمضى إليها خمسة آلاف أخرى، فأرسلهم لها من غير طريق^٧

(١) ساطة من بن .

(٢) فى بن : ذهب .

(٣) فى بن : دولة .

(٤) ع بن : وقوع .

(٥) الغالب أنه الفونس الرابع « الجسود » Alfonso IV — The Brave و حكمه

١٣٢٥ - ١٣٥٧ . و من للواقع المعروفة فى هذا العهد التى انهزم فيها المسلمون

موقعة سلاى salade سنة ١١٣٤ م تحالف فيها ملوك قشتالة Castille و البرتغال .

(٦) زيد هنا فى بن : وعادت الحرية الأندلسية جميعها إسلاميه كما صارت البلاد

الشامية والديار المصرية والاسكندرية كذلك وصار الفنش فى حزن - الخ .

(٧) زيد فى بن : من معرة هذا الجيش .

(٨) فى بن : أن يعلم جيش .

أبي الحسن . وخرج الفتح بساكره من مدينة إشيلىة ، وكان الفتح
 قدم القول مع الخمسة آلاف التى أرسلهم بحدة لطيف ، أن تكونوا
 أتم والخمسة آلاف التى بها من وراء عسكر المسلمين ، ونحن من بين
 أيديهم ، وتعتمدوا على انهب سرادقات^١ أبي الحسن ووطاقه^٢ ، وتقتلوا
 من فيه ، وتأخذوا خزائن أمواله^٣ فإن فى ذلك ذلته وكسوته^٤ ، فخرج^٥
 جيش مدينة طريف العشرة آلاف مقاتل ومن تبعهم من نصارى البلد
 فى الليل ، كبسوا الوطاق^٦ الذى به حريم أبي الحسن وخزائن أمواله^٧ ،
 فلكوا الخزان والحريم بعد قتلهم لمن كان به من حماه ، فأتى الخبر إلى
 أنى الحسن بذلك ، فلم أنه هالك مع ما وقع فى جيشه من الغلاء الكبير
 لكثرة الخلاق التى معه ، فزحف الفتح على أنى الحسن وابن الأحمر مع^٨
 زحف مقاتلة أهل مدينة طريف من^٩ خلفها كسرهما فلما انكسر جيش
 المسلمين قتل منه كثير من العالمين^{١٠} ، وشرد من شره فى القفار والبرارى

(١-١) كذا فى بن ، وفى الأصل بره سرادق ، قطع .

(٢) زيد فى بن : الذى تركه حلقه بعد أن تقتلوه (كذا) من فيه - الخ .

(٣) زيد فى بن : وسائر أمواله .

(٤-٤) فى بن : فإن فعلتم ذلك فهو سبب حذلاته .

(٥-٥) فى بن : واجالوا على من فيه السيف .

(٦) فى بر : أبوه ، وصحتها من بن .

(٧-٧) فى بن [١٢١ : ب] : خلفهم كسروه و قتل من المسلمين كثير .

وأسر الفريج الحرم^٢ و الذراري . فرجع السلطان ابن الأحمر طالبا
مدينة غرناطة مهزوما ، وكذلك أبو الحسن رجع مهموما مغموما ،
قد نهبت خزائنه ، وأسرت فاطمة^١ زوجته ، فأكسرت همه ، وطالت
حصرته ، فمدى من زقاق سبته ، وأتى مدينة فاس في نكابة وبهته .
هذا ما كان منه ، وأما ما كان من زوجته فاطمة بنت السلطان
أبي بكر صاحب تونس ، فانها أمرت جوارها و خدمها أن يقاتلوا
معهما من يأتيهم من الفريج يأخذهم ، فلما أتاها^٣ الفريج بكثرتهم ، لم تستطع
قائلهم ، فقالت عند ذلك : لا يأخذني إلا ابن ملك ، لأنى بنت ملك
وزوجة ملك ، فأتوا إليها^٤ على ما قيل بابن الملك^٥ الفنش ، وقالوا له
١٠. تسلم يديك بنت ملك المسلمين ، و تتمتع^٦ بزوجة ملك المسلمين و تهن^٧
بها أيها الملك^٨ و ابن الملك^٩ . فدبده مسك^{١٠} يدها ليمضى بها ،
فضرته بسكين كانت أعددتها له ، فوقعت في بطنه^{١١} شقته ، فخرجت^{١٢}

(١) في الأصلين : وأسرت .

(٢) واردة في بن ، و ساقطة من بر .

(٣) زيد في بن : مدينة .

(٤) في بر : أتمها ، و في بن : انت إليها .

(٥-٥) في بن : كما قال بابن ملك .

(٦) زيد في بن : في خلوتك .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨) في بن : ابن الملك فاخذ .

(٩-٩) في بن : نقشته فبرزت .

حشوته بارزة^١ ممزقة ، فوقع^٢ على وجهه يتشطح في دمه^٣ . فلما رأت
 ماليكة و غلامه ما فعلته به ، وثبوا عليها بسيوفهم^٤ قتلوها مع [١٨٢ : ألف]
 جوارها ، فمُتْن كرىمات شهيدات . فحصل^٥ للفنش بقتلها لولده نكابة
 ظاهرة ، بما فعلته تلك الحرّة الطاهرة . فبلغ فعلها ذلك زوجها أبا الحسن
 فَرَحِمَ عليها ، و أعجبه فعلها . فأرسل خطب أختها من أبيها و تزوج^٥
 بها . و حصل له الدم الأكبر ، لخالفته للسلطان ابن الأحمر ، في تأخيرهِ
 فتح مدينة طريف التي تركها خلفه ، حتى جاءه العدو من بين يديه و من خلفه .
 وكان أبو الحسن لما دخل الأندلس^٥ معه من الجيوش^٦ الكثيرة
 و العساكر^٧ المجرورة ، أعجبه نفسه و اغتر بتلك الجنود^٨ ، التي هي كاللُود
 فكان إغصابه بنفسه ، مضرة عليه و على حريمه و عرسه ، و لو جمل^{١٠}
 اعتزازه بالله ، و سلم أمره إلى الله ، انتصر و ما انكسر ، و انجبر و ما
 انقهر^٨ . و لله در القاتل حيث يقول :

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : و وقع .

(٣) زيد في بن : و يتخبط في عنقه .

(٤) في بن : و حصل .

(٥) زيد في بن : بما .

(٦) في بن : العساكر .

(٧) في بن : و الجيوش .

(٨-٨) في بن : كما تقدم .

ليكن بربك كل عرك يستقر ويشبت

فاذا اغتررت بمن يمو ت فان عرك ميت

وفي مشور الحكم « اغتر » من اعتر بغير الله ، فالعزير من اعزه الله ،
والذليل من اذله الله . وليس من التعزيز والتذلل ٢ بأيدى المخلوقين
هـ شيء ، فان الله تعالى يعز من يشاء ، ويذل من يشاء . ألا ترى ٣ أن اخوة
يوسف أرادوا إذلال يوسف ، فأذلهم الله عز وجل ٤ ، وأعزه حتى
قاموا بين يديه ، وقالوا : « يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر » . واعلم أن
من تعزز بالله لم يذله سلطان ، ومن « توكل عليه » لم يضره شيطان . قال
الشيخ أبو مدين : الحق تعالى ٥ مطلع على السرائر والظواهر في كل نفس
١٠ و حال ، فأبما قلب رآه مؤثرا له حفظه من طوارق المحن ، ومضلات العتق .
والأعمال بالنيات معناه ٦ أن العبادات التي ٧ يتفجع بها ٨ عند الله ، ما أخلصت
النية فيه لله ، ولا يزال المؤمن يكابد دنياه ، حتى يلقي مولاه ، جبر الله
صدع ٩ قلوبنا ، وغفر عظيم ذنوبنا ، وجعلنا من أوليائه وأهل طاعته .
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو لم تذنبوا

(١-١) كذا في بن وهو الصواب ، وفي بر : بمن اعتر .

(٢) في بن : والتذليل .

(٣-٣) في بن : الى اخوة يوسف لما أرادوا إذلاله أذلهم الله تعالى .

(٤) قرآن كريم ١٢ : ٨٨ .

(٥-٥) في بن : استعان بالله .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧-٧) في بن تنفع .

(٨) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

لخشيتم عليكم أكثر من ذلك العجب العجب . . عن مطرق قال : لَأَنْ
 آيت قائما ، وأصبح نادما ، أحبَّ إلى من أن آيت قائما ، وأصبح معجبا .
 وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم الشام ، لقيه جنوده^٢
 وعليه إزار وحمالة ، وهو آخذ برأس راحلته ، ويخوض الماء وقد
 خلع نعليه وجعلها تحت إبطيه^٣ ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين الآن تلقاك^٤
 الجنود وبطارقة الشام^٥ وأنت على هذا الحال . فقال : إنا قوم أعزنا الله
 بالإسلام فلم نلتمس عزّا بغيره . قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي : والله
 ما رأيت العزَّ إلا في رفع الهمة عن الخلق . [١٨٢ : ب] وقد رأيت
 كلبا في محبة الإسكندرية ومعى شيء من الحبز ، فوضعت بين يديه ،
 فلم يلتفت إليه ، فاذا يقول في سرى - أفت لمن يكون الكلب أزهد منه . . ١٠
 واعلم أن رفع الهمة عن الخلق شأن أهل الطريق ، وصفة أهل التخصيص
 ولقد سئل الجنيّد : أيزنى العارف ؟ فقال : وكان أمر الله قدرا مقدورا .
 والله در القائل :

حرام على من وتحد الله ربّه وأفرده أن يحسنى أحدا رفدا
 ويا صاحبي قف لي مع الحق وقفة أموت بها وجدا وأحي بها وجدا ١٥
 وقل للملوك الأرض تهجد جهدها فذا الملك ملك لا يُباع ولا يُهدى
 وكان من تواضع عمر^٦ رضي الله عنه أنه كان في خلّاقه بلبس جبّة

(١) زيد في بن : تعالى .

(٢) في بن : الجنود .

(٣) في بن : أخذ بنعليه وجعلها تحت إبطه .

(٤) في بن : الروم .

(٥) زيد في بن : بن الخطاب .

صوف مرفوعة^١ ويمر بالتوى فيلتقطه ويلقيه في منازل الناس ليتنفعوا^٢ ٣٤،
وكان يطوف بالليل وحده عسا^٣، و مناقب عمر كثيرة تقدم منها
لمح^٤، و سيأتي منها أيضا إن شاء الله تعالى . انتهى .

[تبادل الرسائل والقذف بين الفتنش والمريني]

٥ نود إلى ذكر مكاتبة الفتنش ملك النصارى للسلطان أبي الحسن
المريني بعد ظفروه بمسكرة^١، وجواب أبي الحسن عنها، وذلك أن
نصارى الأندلس^٢ لما ظفروا بالمسلمين^٣ أسروا منهم في كسرة السلطان
أبي الحسن^٤ "خلائق كثيرة" . قيل إنهم أسروا من أولاد المسلمين
أربعة وعشرين ألف صبي وصية، وأما الرجال والنساء فلم يعلم لهم
١٠ عدد، "منهم من قتل، ومنهم من أسر"^٥ . ثم إن الفتنش اللعين، الكلب
المستعين، كتب كتابا أرسله للسلطان أبي الحسن المريني صاحب مدينتي

(١) في بن : مرقعة .

(٢) في بن : يتنفعوا .

(٣) زيد في بن : وأكل في الرمادة الحبز والزيت حتى حال .

(٤) ساقطة من بن من هنا إلى « إن شاء الله تعالى » .

(٥) في بر : لما .

(٦) في بن : بمسكرة أبي الحسن .

(٧) كذا في بن ، وهي في بر : أبو .

(٨) في هامش بر : كتاب ملك النصارى .

(٩) ساقطة من بر ، وواردة في بن .

(١٠-١٠) في بن : خلق كثير .

(١١-١١) في بن : من أسر منهم .

فأس وتلمسان وأعمالها يقول فيه : باسمك اللهم فاطر السموات
والأرض ، ومخرج النبات ، ومحيي العظام وهي رفات ، والعالم
بما مضى وما هو آت ، وصلى الله على الفصيح ، صاحب الدين الصحيح .
والمهج القويم الرجيع ، عيسى بن مريم المسيح ، الذي تزَّرت بالزَّوار ،
وقفا أثر الخواريين والآنصار ، وصلى من الجهات شرقا ، لربِّ يقا . ٥
من الأمير الفنش بن الأمير جانه صاحب تشيلية وطليلة وقرطبة
وإشيلية ، إلى أمير المسلمين أبي الحسن المربني . - أما بعد ، أيها الأمير
فانه لا يخفى على كل ذي لب عازب ، وذهن ثاقب ، أنك أمير المملكة
الخيفية ، كما أنا صاحب المملكة النصرانية . ٢ قد تعلم أيها الملك
ما أصحابكم عليه بالاندلس من التخاذل والتواكل ، وإهمالهم الرعية ، ١٠
وجورهم في القضية ، وما بأيديهم من بلاد الاندلس ، فأناس أسيمهم
بسيمة الخسف ، وأشينهم بشيمة [١٨٣ : الف] العسف ، فأخرب
البلاد ، وأقل العباد ، وأسبى الحرير والأولاد ، وأقل الشباب
والرجال ، وأذيقهم مرَّ النكال ، وثبت عندكم أننا نحن الكفرة ،
بل أتم الشياطين الفجرة ، سلطنا عليكم من يده أمور مقدرة ، وأحكام ١٥
مدبرة ، فكثيركم عندنا قليل ، وعزيركم عندنا ذليل . من طلب أماننا
سلم ، ومن رام حربنا خسروندم . أكلتم الحرام وأظهرتم البدع ،

(١) ساقطة من بن . (٢) واو العطف ساقطة من بن .

(٣) في بن : قا - وهو خطأ قلبي .

(٤) في بن : بشينة .

فداؤكم عندنا^١ لا يهاب ولا ينفع . وأنتم تزعمون أنكم تهيمون^٢ بنصرهم ، وتساعدون ابن الأحرع علينا^٣ ، وتصلون^٤ شركم إلينا . فأنتم هذا الجبن أبطا بكم ، أو تكذبا لما نزل على نبيكم ، وقد قلتم إنه نزل^٥ على نبيكم في كتابكم أنه كتب^٦ الله على كل واحد منكم عشرة مناه ، ولكن خفف الله عنكم و علم أن فيكم ضعفا ، وقد صار كل واحد منا يئلب منكم ألفا . وأنتم تزعمون أنكم لم تجدوا للجواز من خليج سبته سبيلا ، وأمر الحزم عندكم بخيلا . والآن^٧ أبدى لكم ما فيه الكفاية ، وأبث لكم ما فيه النهاية^٨ ، وأرشد عليكم بالدليل^٩ والبرهان ، وأحلف عليكم^{١٠} بأعظم الأيمان ، على ما في أيديكم من القطائع والطرائد والاجفان ، تسوقونها^{١١} بأيديكم ، فان كان القلب لكم^{١٢} فتعنة أنعمها الله عليكم ، وإن كان القلب لنا ، فجاء لمثلكم الاحزان ، وشاط لكم النيران ، لان

(١) في بن : علينا .

(٢) في بن : تنقمون .

(٣) في الأصليين : تصلوا .

(٤-٥) ساقطة من بن .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٧) في بن : أبث لكم ما فيه الكفاية وأبدى لكم ما فيه النهاية .

(٧) في بن : الدليل .

(٨) في بن : لكم .

(٩) كذا في بن ، وهي في بن : تسوقوها .

(١٠) ساقطة من بر ، وواردة في بن [١٣٢ : ب] .

نساءكم^١ في أيدينا ، وأولادكم خول^٢ لنا ، وقد قتلت بلادنا من حيث القتلى ، وقد أصبح عقدكم منحلًا^٣ ، وقد رثينا بما نزل بكم من الشنار ، وما تركتم في الملة الخنيفة من العار ، لأنكم تزعمون أنكم تغلبون . فلما ترامت الفتان ولتيم الأدبار ، دون طعان ولافضال^٤ . ولقد حلفنا بالصليب الأكبر ، وكتابنا الإنجيل الأشهر ، لا رجعنا حتى نأخذ حصونكم^٥ وأموالكم والعين^٦ والشام ، ونحير منكم الأوهام . والله الموفق لإسماعه والمحب لمن اختار من عباده .

فلما وقف السلطان أبو الحسن المربى على كتاب الفتن ، أمر برد الجواب . بأحسن خطاب ، فكتب جواب الكتاب^٧ : من أمير المسلمين^٨ ابن أمير المسلمين^٩ على بن يعقوب^{١٠} بن العباس^{١١} المربى إلى الأمير^{١٢} الفتن^{١٣} . ابن جانه صاحب المملكة النصرانية ، دمرها الله تعالى وسلبها عرها ، وأباد

(١) في بر : نساوكم ، وفي بن : نساكم .

(٢) في بن : خدم .

(٣) زيد في بن : ولا قتال .

(٤) ساقطة من بن .

(٥-٦) في بن : فأمر أرباب الفصاحة والبلاغة أن يحاربوه بأحسن جواب وأبلغ خطاب فأجاب كل واحد بجواب فلم يجبه إلا جواب طالب علم فقير ، فلما وقف على جوابه أتى الأجوبة كلها وأمر بجواب ذلك الطالب بعد أن أحسن إليه وأتى عليه وقدمه على غيره ، وأمدته بطولته وخيره ، وكان جواب الكاتب .

(٦-٧) مكررة في بن .

(٧-٨) ساقطة من بن . (٨) في بن : أمير .

ركوها . أما بعد ، أيها الأمير ، الكافر بالعلم الخيرا قد وصل كتابك ،
 وفهمنا خطابك ، وما حدثتم به نفوسكم الكاذبة ، وظنونكم الخائبة ،
 من الوعد والوعيد ، والحركة والتشديد ، وقد وصفتم أصحابنا أهل
 الأندلس بأنهم أهل الذل ، وهم قد أهلكوكم بالأسر^١ والقتل^٢ ، فهم
 ٥ والله الرجال وأبناء الرجال ، والدليل على هذا يان صدرهم لشركم ،
 وإقامتهم مجاورين [١٨٣ : ب] لأرضكم ، وقتلهم أكثركم ، فكم قتلوا
 منكم رجلا ، وسلبوا منكم عيالا ، وأذاقوكم كأس النكال ، فأوعدهم الله
 الظفر^٣ بهم ، وأورثهم بلادكم وأرضكم . وأما نحرهم بالهزيمة ، وماء تحصل
 بأيديكم من السلب والغنيمة ، فلك عادة الله فينا وفيكم ، فلم يزل يبتلينا
 ١٠ و يبتليكم ، حتى يعلم المجاهدين ، ويزيد أجر المحسنين ، فهي في أيديكم
 أمانة ، حتى تأخذها بالإهانة . وقد نزل على سيد المرسلين والناس :
 ” تلك الأيام نداؤها بين الناس “ . وأما قولكم إنا ولينا الإحبار ،
 دون طعن^٤ ولا فضال ، فقد داخلنا العجب حتى ضيعنا الرجال ، فلم تضطروا
 لنا على بال ، حتى عرفتم طرق الاحتيال ، فن مات منا مات شهيدا ،
 ١٥ ومن عاش منا عاش سعيدا . فلا بد لنا من الكرة ، وإطفاء تلك

(١-١) في بر: أهلكوا بالقتل ، والمباراة كذلك في بن وهي الأصح كما أخذناها
 بالنص .

(٢) في اصلين : بالأسر .

(٣) في بن : الحصر .

(٤) ساقطه من بن .

(٥) قرآن كريم ٢ : ١٤٠ .

(٦) في بن : طعان .

الجرة . فان كان النصر لنا فعمه من الله ، وإن كانت الأخرى فحيثما
في سبيل الله . فأمر المسلمين بآقية ، وسيوفهم بالموت قاضية . فلا بد
من فتح بركم ، وإطفاء ناركم . وقد كان لكم اليمن والشام في الزمن السابق ،
وملككم ' المغارب والشارق ' ، والحصون والمدائن ، والمواضع
والأماكن ، فزعتها^١ من أيديكم ، ونصرنا عليكم وأخرجناكم ،^٥
وملكنا الله مصر والشام واليمن إلى البحرين وأصطناكم^٢ من بلادكم ،
وأذناكم الشين ، فصرتم منا منفيين ، إلى أطراف البلاد منجليين . فلو
وجدنا الطريق لكم ميثا ، أرسلنا لكم عذابا مهينا . وأما قولكم إن الله
كتب على كل واحد منا قتال اثنين منكم والرجل منا^٣ يلقى ألفا بقوة
الإيمان ، وما وعد الله عز وجل من الثواب^٤ في جنة الرضوان^٥ . بل^٦ ١٠
الأنفلس عشر من أعشاركم ، فقد قتلوا^٧ أمراءكم وكبراءكم^٨ . فما نحن
عائدون ،^٩ وعلى مقاتلكم عازمون^{١٠} . فينصر الله من يشاء من عباده ، ويورثه
أرضه وبلاده . والسلام على من اتبع الهدى ، وأطاع الملك الأعلى .

(١-١) في بن : المشارق والمغارب .

(٢) في بن : فزعتاهم .

(٣) في بن : وأصصناكم .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : يلقى .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) في بن : في بلد .

(٨-٨) في بن : أمراءكم وكبراءكم . - وفي بن : أمراءكم وكبراءكم .

(٩) في بن : فهذا . - وصحتها في بن كما في النص .

(١٠-١٠) في بن : على مقاتلتكم .

[غزوة الأندلس سنة ٧٦٨]

قال المؤلف غفر الله له ' ولوالديه ، وللاقرين إليه ، وجميع المسلمين : وردت الاخبار من الأندلس إلى الإسكندرية بأن المسلمين اتصرت على النفس وجنوده الكافرين ، وذلك ' في سنة ثمان وستين ٥ و سبعمائة ٣ ، وأخذوا منهم ' تلك الأمانة بالإهانة ، وقتلوا من الإفرنج ٥ أضعاف ما قتلت الإفرنج ' من المسلمين في كسرة السلطان أبي الحسن و ' ابن الأحمر ' ، وحرثوا مدنهم بالقر . ثم أن المسلمين فتحوا ' بالأندلس أيضا ' المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء ' المتقدم ذكر أخذ الفرنج لها من أيدي المسلمين ' بطول المحاصرة ' ، فأخرج ' المسلمون الفرنج منها ١٠ ذليلين حقيرين ، بعد أن أقاموا فيها ثلاثين سنة . وقد زرعوا أرضها زيتونا ، ولم يكن [١٨٤ : الف] شجر الزيتون قبل ذلك بها ' . وزرعوا

(١-١) ساقطة من بن [١٣٣ : الف] .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في هامش بر : سنة ٧٦٨ قتلوا من الإفرنج .

(٤) في بن : منه .

(٥) في بن : الفرنج .

(٦-٦) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٧) زيد في بن : أيضا .

(٨) أي مدينة Algeciras .

(٩-٩) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(١٠) في الأصلين : فأخرجت .

أيضا بها البساتين والكروم ، وزادوا في عمارة أرضها ودورها . فلما فتحها المسلمون في سنة إحدى وسبعين و سبعمائة^١ ، رسم السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن الأحمر 'سلطان الأندلس'^٢ أن يتأدى في البلاد أن كل من له دار يياطنها أو أرض^٣ بظاهرها أو مزرعة بأراضيها يمضى إليها ويأخذها إن كان حيا ، وإلا ورثته قسما^٤ على^٥ حكم الفريضة الشرعية^٦ إن كان ميتا^٧ من غير منازع ولا مدافع . فرجع^٨ أهلها المسلمون إليها سكنوها^٩ واستوطنوها . فن كان فقيرا استغنى بما صنع الله له على يد الفرنج الكافرين . ومن كان غنيا زادت أمواله بالآلوف والمئين ، غشاب سعى الفرنج الضالين ، وصاروا على ما تبعوا عليه^{١٠} وبأنشائه لأهلهم^{١١} مادمين ، لعنة الله^{١٢} عليهم أجمعين . ١٠

١٠ فإن قيل كيف قدر^{١٣} المسلمون على الإقامة بجزيرة الأندلس في مسيرة سبعة أيام والنصارى في مسيرة سبعة ١٢ شهور وفيها من النصارى

- (١-١) ساقطة من بن ، وورد بهامش بر : فلما فتحها المسلمون سنة ٧٧١ .
 (٢-٢) ساقطة من بر ، وواردة في بن . وقد ذكره لسان الدين بن الخطيب في «كتاب أعمال الأعلام» تحقيق لقي بروقتال (بيروت ١٩٥٦) ص ٢٨٧ - ٢٩١ .
 (٣) في الأصلين : دارا ... أو أرضا . (٤) في بن : يتقسمونها .
 (٥-٥) ساقطة من بر ، وواردة في بن . (٦) في الأصلين : فرجعت .
 (٧) في بن : وسكنوا بها . (٨-٨) عن بن ، وفي بر : وأنشوه لأهلهم .
 (٩) زيد في بن : تعالى .
 (١٠) من هنا تبدأ عبارة زائدة في بن وساقطة من بر وقد أثرتا اندماجا في النص لاستقامة السياق بدكرها .
 (١١) في الأصلين : قدرت . (١٢) في الأصلين : سبع .

ما لا يحصى كثرة والمسلمون شرذمة قليلة؟ قيل ان ملوك النصارى السالفة غزاهم المسلمون ١ فحصل للنصارى الهبة منهم فركبوا محاربتهم لما تيقنوا أنهم كلما غزوهم خذلوا ١. فذلك تركهم ٢ النصارى مقيمين ٣ معهم في جزيرتهم حتى كانت وقعة أبي الحسن المربى ٤ فانتصر ٤ النصارى على المسلمين وذلك لإعجاب أبي الحسن بنفسه في تلك الغزوة التي ظن أنه لم يكن ملك بالأرض إلا وهو دونه لكثرة جيوشه - انتهى ٥ .

واعلم أن الأندلس درب الإسلام وحسنه ، ليس وراء أهله المسلمين ٦ إلا الكفرة الضالون ، والعرش يهتز من تكبير المسلمين المقيمين .
وذلك لما روى عن ٧ أبي أيوب ٨ النصارى قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ذات يوم إذ توجه تلقاء المغرب وسلم وأشار يده . فقيل له ٩ : على من يا رسول الله سلمت وأشرت يدك إليه ؟ قال : "رجال من أمتي يكونون في هذا المغرب الأقصى بجزيرة يقال لها الأندلس ، هم مرابط ، وميتهم شهيد ١٠" . وهم من استثنى الله في كتابه في قوله تعالى :

(١) في الأصل [بن ١٣٣ : الق] : غزوهم المسلمين .

(١) في الأصلين : تركتهم . (٢) في الأصل [بن] : مقيمون .

(٤) في الأصلين : فانتصرت .

(٥) هنا تنتهي الزيادة من بن ويستأنف الأصل برقياً على .

(٦) في بر : للمسلمون . . . وصحتها في بن .

(٧-٧) عن بن ، وفي بر : أبي موسى .

(٨) كلمة « له » مشطوبة في بر ويستقيم بها السياق .

(٩) في الأصل : يرسل . . . و "سلمت" وردت في بن قبلها .

(١٠) في الهامش : مطلب ، قوله تعالى "نصق من في السموات" - الآية بسورة

الزمر ، في حق أهل الأندلس ، فهم آمنون من الصعق .

”وقض في الصور فصق من في السموات و من في الأرض إلا من شاء الله“ فهم آمنون من الصق .

قال الشيخ أبو العباس المرسى: كنت ليلة من الليالي جالسا بالإسكندرية أكتب كتابا لبعض أصحابنا ، وإذا بالشيخ البشنيل^٢ في الهواء، فقلت: إلى أين اتيت سياحتك في هذه الليلة؟ فقال: خرجت هـ من بشنيل^٣ القناطر ، و انتهيت إلى جبال الزيتون بالمغرب^٤ الاقصى ، وأنا أريد أن أذهب إلى بيت المقدس ، وأعود إلى بلدي ، ولو بسطت لى أكثر من ذلك لانبسط . قال الشيخ أبو العباس فقلت هـ: ليس الشأن أن تذهب إلى جبال الزيتون وتعود من ليلتك ، ولكن أنا الساعة لو أردت^٦ آخذ يدك وأضعك على جبل قاف وأنا هاهنا ١٠ فعلت .

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله^٧: سمعت الشيخ أبا العباس

(١) قرآن كريم ٣٩: ٦٧ .

(٢) في الأصلين: البشنيل . انظر الحاشية التالية في أصل اشتقاق الكلمة .

(٣) بشنيل من نواحي مركز امبابه بمديرية البحيرة .

(٤) في بن: بالغرب .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) في بن [١٣٣ : ب] : إن أردت أن .

(٧) في بن: ابن عطا .

المرسى يقول: كنت و أنا صبي عند المؤدب جاء ' رجل فوجدني أكتب في لوح، فقال لي ٢: الصوف ٣ لا يسود ياضا . قال فقلت له: ليس الأمر كما زعمت، ولكن يسود ياض الصحاتف بسواد الذنوب . ٤ قال [١٨٤: ب] فسكت ولم يد جوابا ٥ . قال ابن عطاء: دخلت ٥ عليه و قد جاء من السفر لأسلم عليه، قال: يا أحمد كان الله لك و لطف بك و سلك بك سبيل أوليائه و بهاك بين خلقه، فلقد وجدت بركة هذا الدعاء - انتهى .

[عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة]

نعود إلى قول ابن أبي حجلة في مرثيته:

١٠. على أن في مصر على الجيش قائد يبيت ولا يعطى القياد على القسر^١
يعنى بالقائد المذكور الأمير الاتابكي يلبن الحاسكي، قائد الجيوش
المنصورة . أى لا يقيم على الذل و القهر، بعد أن جرى على الإسكندرية
في أيام عزه و حكمه ما جرى . فعزم على عمارة المراكب الحربية،

(١) في بن: جاءني .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن: الصوف .

(٤-٥) ساقطة من بر، و واردة في بن .

(٥) في بن: و دخلت .

(٦) في بن [١٢٣: ب] : الكفر .

واجتهد ١ في عمل الأسلحة المنكية، والسفر إلى الجزيرة القبرسية،
يظهرها ٢ من الصليب و الخنزير، بعد قتل من فيها من كبير و صغير .
و يسكنها للسليين ٣، أو يجعلها خرابا على عمر الستين ٤ . و لعل أن يظفرو
الله تعالى بصاحبها و ير الملعون، يذيقه العذاب المون ٥ ، و يقتله بسيفه
البتار، كما قتل الملك المهرج ٦ لصاحب قار ٧ .

[قصة ملك قار و المهرج]

و ذلك أن ملك قار من أرض الهند ، و من هذه المملكة و الصق ٨
يحمل العود القهارى و إليها يضاف ، ٩ و أن ملك قار ١٠ جلس يوما في

(١) في بن : فيها و عمل .

(٢) في بن : ليظهرها .

(٣) زيد في بن : يقيمون بها الدين .

(٤) زيد في بن : تصير ماوى البوم و الجرادين .

(٥) زيد في بر : من هذه - و الجملة مشطوبة و زائدة .

(٦) أى المهرجا : Maharaja .

(٧) انظر ذكر هذه القصة في « مروج الذهب » للسعودى (ج ١ ص ١٧٠-١٧٥)

و قد جاء في « معجم البلدان » لياقوت أن « قار بالفتح و يروى بالكسر ، ينسب
إليه العود ، هكذا قول العامة ، و الذى ذكره أهل للمعرفة قامرون موضع في
بلاد الهند يعرف منه العود النهاية فى الجودة . راجع أيضا دائرة المعارف الاسلامية

تحت موضوع Zabag و كذلك كتاب Georges Coedès : The Making of South
East Asia. Tr. H. M. Wright. (Berkeley, University of California Press
1966).

(٨) في بر : و الصق . و سميتها كما جاءت في بن و أوردتها في النص .

(٩-١٠) ساقطة من بر ، و واردة في بن و بها تكتمل الجملة .

قصره على سرير ملكه ، ' و هو مشرف ' على نهر عظيم ' يجرى بالماء العذب ، و بين قصره و البحر الملح مسيرة يوم ، و وزيره بين يديه ، إذ قال لوزيره و قد جرى ذكر مملكة المهرج و جلالتها ، و كثرة عمارتها ، و ما تحت يده من الجزائر : في نفس شهوة كنت أحب بلوغها . فقال له الوزير و كان ناصحا : و ما هي أيها الملك ؟ فقال : كنت أحب أن أرى رأس المهرج ملك الجزائر ، كالزواج و كله و سرده ٤ في طشت بين يدي . فلم الوزير أن الحسد أثار هذا الفكر في نفسه ، و أخطر هذا بياله ، فقال : أيها الملك ما كنت أحب أن يحدث الملك نفسه بهذا ، إذ لم يهرقنا و بين هؤلاء القوم من • قديم الزمان و حديثه ترة و لا رأينا ١٠ منهم سوا ، و هم ٢ في جزائر نائية عنا ، غير مجاورين لنا في أرضنا ، و لا طامعين في ملكنا . و بين ملكة القمار ' و ملكة المهرج عشرة أيام إلى عشرين يوما عرضا في البحر الملح . ثم قال له الوزير : ليس ينبغي أيها الملك أن يقف على هذا أحد ، و لا يعيد الملك فيه قولاً . فتضب

(١-١) الجملة ساقطة من بن .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : عماراتها .

(٤-٤) في بن : كالزواج و ككه و سرده . و الثالب أنها أسماء بعض الجزائر التابعة لساحل الهند و قد وردت في « معجم البلدان » و قيل إنها تابعة للجزائر المعروفة في أيامنا باندونيسيا .

(٥) في بن : في .

(٦) في بن : قمار .

ولم يسمع من الناصح، وأذاع ذلك لقواده، ومن كان يحضره من وجوه أصحابه، فقلته الألسن حتى شاع واتصل بالملك 'المهراج' . وكان المهراج جزلا متحركا، قد بلغ من السن مبلغا متوسطا . وكان ملك القمار حدث السن لم يهرب الأمور . فدعا الملك المهراج بوزيره، وأخبره بما اتصل به، وقال: إنه ليس يجب مع ما قد شاع من أمر هذا الجاهل وتمنيه ما تمنى ٣ [١٨٥ : الف] بحداثة سنّه وغرته، وانتشار ذلك من قوله، أن يمسك عنه، فإن ذلك بما يقدح في الملك ويضع منه . وأمره ستر ما جرى بينهما، وأن يعدّ له ألف مركب من أوساط المراكب بالأنهار، ويتدب لكل مركب من حملة السلاح وفرسة الرجال ما يستقل به، وأظهر أنه يريد التنزه في جزائر مملكته، وكتب ١٠ إلى نوابه الذين هم في هذه الجزائر وتحت طاعته وجملته بما عزم عليه من زيارتهم، والتنزه بجزائرهم، حتى شاع ذلك، وتأهب كل صاحب جزيرة بما يصلح للملك المهراج . فلما استتمت أموره، وانتظمت مراكبه، دخل المراكب، وعبر بها بالجيش إلى مملكة القمار، فطرح رجاله من المراكب، وأحدقوا به^٤ على سبيل غرة، فاحتوى على داره، وصار^٥

(١) في بن: ملك .

(٢) زيد في بن: قال الوزير لا قوة إلا بالله، نصحته فلم يفتضح كما وعظ بعضهم سكرانا، قال أما يستحي أن يخط سكرانا .

(٣) في الأصلين: تمتا .

(٤) في بن [١٣٤ : الف] : بملك القمار .

(٥) في الأصلين: وطار - وواضح أنه خطأ قلبى .

أهل المملكة بين يدي المهراج، فأمر بالنداء بالآمان، وجلس على
 السرير الذي كان يجلس عليه ملك القمار^١، وقد أخذه أسيرا، فأحضره
 وأحضر وزيره، فقال للملك: ما حملك على تمنى ما ليس في وسعك
 ولا لك فيه حظ لَوْنِكَ، ولا أوجه سبب يسهل السيل إليه. فلم يجد
 ه جوابا، وقال^٢ المهراج: أما أنك لو تمنيت مع ما تمنيت من النظر إلى
 رأسى في طشت بين يديك إباحة أرضها أو ملكها أو الفساد في شيء
 منها لاستعملت ذلك فيك، ولكنك تمنيت شيئا بعينه، فأنا فاعله بك،
 وراجع إلى بلدى من غير أن أمدّ يدا إلى شيء من بلدك، بما قلّ وجلّ
 ليكون عظة لمن بعدك، ولا يتجاوز كل قدره، وما قسم له، وأن
 ١٠ يستغفر العافية من لبسته. ثم ضرب عنقه، وأقبل على وزيره، وقال^٣:
 جزيت خيرا من وزير، قد صح عندى أنك أشرت على صاحبك
 بالرأى لو قبل منك، فانتظر من يصلح للملك من بعد هذا الجاهل^٤
 فأقيم^٥ مقامه. وانصرف^٦ من ساعته^٦ راجعا إلى مملكته. فلما رجع
 إليها وقعد على سريرته وضع^٧ الطشت بين يديه وفيه رأس ملك القمار

(١) في بن: قمار.

(٢) في بن: قال له.

(٣) ريد في بن: له.

(٤) زائدة في بن.

(٥) في بن: فأقاه.

(٦-٦) ساقطة من بن.

(٧) في بن: ووضع.

و أحضر وجوه مملكته وحدثهم بخبره ، و السبب الذى حمله على ما أقدم عليه ، فدعا له أهل مملكته و حزوه خيرا . و أمر بالرأس فقل و طيب و جعل فى ظرف و رده إلى الملك القائم ببلاد القمار ، و كتب إليه :
 إن الذى حملنا على ما فعلناه بصاحبك بنيه علينا ، و تأديا لأمثاله ، و قد بلغنا ما أردناه ، و رأينا رد رأسه إليك ، إذ لا دَرَكَ لنا فى حبسه ، و لا ظفرنا ٥
 لما ظفرنا به منه . و اتصل البحر بملوك الهند و الصين ، فعظم المهرج فى أعينهم ، و صارت ملوك القمار من بعد ذلك كلها أصبحت قامت وجوها نحو بلاد الزواج و سجدت و كثرت للهراج تعظيما [١٨٥ : ب] له .
 و كذلك الأمير يلبغا الأتابكى إذا ظفر برير القرمى و قسله و أخرج قبرس بعد أسر من فيها ، خافت جميع الفرنج ٢ منه و ارتعبت ١٠
 و أقرت لمملكة الديار المصرية و الشامية بالقوة و الحية ، كما خاف من جعد و كفر من السلطان أبى عبد الله محمد الشهير بابن الأحمر بما جرى عليهم ، منه من إخراجهم لبلادهم ، و قلعه لاصولهم و أولادهم و أسره لحرهم و أولادهم بجزيرة الأندلس ، كما سيأتى ذكر ذلك مفصلا إن شاء الله تعالى . انتهى .

(١) فى بن : قار .

(٢) فى بن : نخر .

(٣) فى بن : الإفرنج .

(٤) فى بن : على الإفرنج .

(٥) زيد فى بن : يا جنود الصبر اتمتوا إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، تذكروا عز الأقدام و أسذروا متبكة العزيمة إذا لاحت أعلام التقى لم يبق منزل دون المنزل و يخ المستكبرين من الخطايا ألا يظن أولئك أنهم مبعثون (كذا) ليوم عظيم .

[عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة و عودة الأمير

صلاح الدين بن عرام سنة ٧٦٨]

نعود إلى قول ابن أبي حجلة في مرثيته :

أقام لنا بالفخر جيشا عرمرما وفيه ابن عرام المؤيد بالنصر
 ه أقام ، يعنى به الأمير الاتابكي يلبغا الخاسكي مقدم الجيوش المتصورة ،
 بعث للاسكندرية بعد وقعة القبرسى بها جيشا سعيدا ، حازما شديدا ،
 يقيم بها لحفظها . و فى ذلك الجيش الأمير صلاح الدين خليل بن عرام
 واليا بها ، فكان قدومه إليها ثاى ولاية له بها فى شوال سنة ثمان
 وستين وسبعمائة ، وذلك بعد عزل الأمير سيف الدين الأكر^١ منها ،
 ١٠ و بعد أن كان شاد الدواوين بالقاهرة ، فنصره الله تعالى على عدوه
 الوزير الفخر بن قرويه^٢ ، فهو الذى كان السبب فى عزله من الإسكندرية ،
 كما سيأتى ذكره ٣ إن شاء الله تعالى .

و كان الأمير صلاح الدين المذكور فى ولايته الأولى سافر إلى
 الحجاز الشريف بعد أن استأذن الأمير الاتابكي يلبغا الخاسكي
 ١٥ فأذن له فى السفر ، وولى^٤ الأمير يلبغا^٥ الأمير جنفرا^٦ كما تقدم^٧
 ذكره نائباً للأمير^٨ صلاح الدين بها ٣ مدة سفره . فغرى على الإسكندرية

(١-١) وردت هنا فى الأصل : الأكر . ثم جاءت فى ص ٢١٢ : الأكر . وقد
 وحدتاها كالثانية لإمكان سقوط النقط فى الأولى .

(٢-٢) فى بن [١٣٤ : ب] : و الوزير بالقاهرة ابن قرويه .

(٣) الكلمة ساقطة من بن (٤-٤) الجملة ساقطة من بن .

(٥-٥) فى بن : المتقدم (٦) فى بن : عن الأمير .

في غيته بالحجاز الشريف ما جرى من ظفر الإفرنج^١ بها على يد الأمير جنفرا، كما تقدم ذكره. فلما قدم الأمير صلاح الدين من الحجاز الشريف إلى القاهرة حين الوقفة، أرسله الأمير يلغا إلى الإسكندرية سرعة ليتقدمه إليها، فدخلها خامس عشرين المحرم رابع يوم الوقفة^٢. فزع ما كان على سورها من أعلام صلبان النصارى المشركين، ونصب عليها أعلام المسلمين الموحدين. ووجد أسطول^٣ الفرنج محصنا بالبحر، فتيقن العدو الملمون أن النجدة وصلت لما رأى أعلام الصلبان عن^٤ السور قلعت، وأعلام المسلمين عليه قد نصبت^٥، فكان^٦ فله ذلك إيها ما لهم. ثم إنه راسلهم مع يهودى يسمى يعقوب فى قارب يقول لصاحب قبرس: إن كنت ملكا فانزل إلى البر، وقابل جيش مصر، وإلا فالذى فعلته ١٠ ليس هو كفعل^٧ [١٨٦: ألف] الملوك، بل فعلت كفعل^٨ القصور، سرقت وهربت، إلى غير ذلك من القول. فقال: ما سويتا عند ابن حرام أن يرسلنا إلّا^٩ مع يهودى^٩.

(١) فى بن: الفرنج.

(٢) زيد فى بن: سنة سبع وستين وسبعائة، فزع - الخ.

(٣) عن بن، والكلمة فى بر: اصطول.

(٤) فى بن: من.

(٥) زيد فى بن: ورفضت.

(٦) فى بن: وكان.

(٧) فى بن: هل.

(٨) «إلا» وردت فى بن قبل «يرسلنا».

(٩) زيد فى بن: كوهى - والمقصود بالكلمة غامض.

[قصة يعقوب اليهودى مع بطرس لوسنيان]

وحدث الشريف محمد الحسنى قال: حدثنى يعقوب اليهودى المذكور - إنى لما أرسلنى الأمير صلاح الدين لصاحب قبرس، افهتشفى الفرنج ثم كنفوى^١، و صار على رأسى افرنجيان معها سيفان مجردان^٢، الواحد عن يمينى، والآخر عن شمالى، ماشيان معى، فتحطوا بى أربعين غرابا ملصقة بعضها لبعض، وأنا أشاهد أسارى الإسكندرية المسلمين و اليهود و النصارى الذميين، الرجال منهم و النسوان و الإمام^٣ و الأطفال و الصبيان^٤، إلى أن وصلت^٥ إلى الملك فى آخر الغربان، وإذا به جالس^٦ فى خيمة كبيرة لها شبابيك مخيطة بها ينظر منها إلى البحر، وعن يمينه راهب، وعن يساره آخر^٧. فلما أوقفوى^٨ بين يديه قال: من هو هذا؟ قالوا: رسول آتى من عند الأمير صلاح الدين بن عرام نائب السلطان بالإسكندرية. فقام عند ذلك قائما على قدميه^٩، وقام الراهبان لقيامه خدمة له. ثم جلس الملك و جلسا بجلوسه^{١٠}. قال ثم قال

(١-١) فى بن: فتهتفى الامرنج ثم كنفنى.

(٢-٢) فى الأصلين: افرنجيين معها سيفين مجردين.

(٣-٣) فى بن: والولدان (٤) فى بن: وصلوا بى (٥) فى الأصلين: جالسا.

(٦) فى بن: راهب. وأغلب الظن أنهما مستشار الملك Philippe de Mesieres و بطريك القسطنطينية اللاتين Pierre de Thomas. انظر فى ذلك مؤلفنا يسوان

The Crusade in the Middle Ages (London 1938).

(٧) فى بن: وقفوا بى.

(٨-٨) فى بن: وقام الراهبان ثم جلس للملك وجلسا معه. وفى بر: وقامت الراهبان

والأصح ما جاء فى بن فأوردناه بالنص.

الملك لإجلس المجلس . وإذا بين يدي الملك من نسوان الإسكندرية جماعة كبيرة حسان الوجوه ، وعلى رأس الملك تاج من الذهب ، بأعلاه جوهرة مضيئة ، وعليه الجوخ^٢ الربيع المزور بازرار الذهب واللؤلؤ المنظوم . فقال لي : فيم^٣ أتيت ؟ فقلت : يقول لك نائب السلطان إن عندنا ثمانية وأربعين إفرنجيا تجارا^٤ أعطنا المسلمين ونعطيكهم . قال : ه . سلم على نائب السلطان وقل له ' يكتب لنا ' كل واحد منهم كتابا بخطه^٥ الرومي يعرفنا اسمه واسم أبيه وأمه وكم في الشهر الرومي من يوم مسك^٦ ، فإذا صح لنا ذلك علينا أنهم بالحياة^٧ ، قديهم بأسارى الإسكندرية ، وما لنا إقامة إلا إلى غد^٨ العصر ونرتحل . قال اليهودي فرجعت أعلمت^٩ نائب السلطان بذلك ، وكان^{١٠} المسلوبون أخرجوا .

(١) في بن : ذهب .

(٢) ريد في بن : الاشكالات .

(٣) في بن : فيما .

(٤) ساقطة من بر ، وواردة في بن .

(٥) مطموسة في بن .

(٦-٧) في بن : يأمرهم أن يكتبوا لنا خطهم .

(٧) في بن : بالخط .

(٨) عن بن ، وهي ساقطة من بر .

(٩) في بن : أحياء .

(١٠) في الأصلين : غدا .

(١١) في بن : وأعلمت .

(١٢) في الأصلين : وكانت .

تلك الفرع حين الوقعة من الإسكندرية إلى ناحية دمنهور^١ . فلما طلبوا لم يصلوا إلا والفرع^٢ التي بالمراكب لما عاينوا قدوم عساكر مصر قد أقبلت كالجراد المنتشر لم يلبثوا أن سافروا .

[دخول يلبغا الخاسكي الإسكندرية]

٥ ولما دخل الأمير الاتابكي يلبغا الخاسكي الإسكندرية ، ورأى وشاهد ما آل أمرها إليه من الهدم والحريق و القتل المطروحة بظاهرها و باطنها بكى^٣ على ما أصابها و أصاب أهلها في أيام عزه و حكمه . فلآم نفسه على عدم التركيز بها حين بلغه أن العبارة بجزيرة قرس . و أمر حينئذ الأمير^٤ صلاح [١٨٦ : ب] الدين بدفن القتلى فدفنها ، و أمدته ١٠ بالأموال لعبارة ما خرب منها ، فاجتهد في العبارة ، و شق خندقا إلى جانب السور الذي توصلت منه الفرع إلى الإسكندرية لم يكن قبل ذلك ، فعمره في أسرع وقت . و هذا الخندق المتجدد عاذه^٥ للوضع المسمى من داخل السور بدار الصناعة^٦ و ديوان الخنس و محارى الآقية ، و صله بالخندق^٧ الأصل الذى أوله ساحل بحر السلسلة و الباب الأخضر إلى

(١) زيد في بن : رحبوا (كذا ولعلها وضعوا) بسجتها .

(٢) في بن : والإفرنج .

(٣) كذا في بن [١٣٥ : الف] ، وهى في بر : بكأ .

(٤) كذا في بن ، وهى في بر : للأمير .

(٥) في الأصل : عاذه .

(٦) في بن : الصاغة .

(٧) في بن : الخندق .

قلعة ضرغام، فزاد من القلعة المذكورة إلى أن وصله يعحر^١ المينة الشرقية،
و كأن البحر كان في الزمان القديم يضرب في السور إلى عند قلعة
ضرغام، فلذلك ترك^٢ المتقدمون ذلك الموضع بغير خندق، ثم انطرد
البحر عن السور^٣ بعد ذلك^٤، فصار ذلك المكان بغير خندق، و طال
الامن و عدم الخوف، فأهمل^٥ المسلمون ذلك^٥ الموضع من حفر^٥ .
خندق. و ضرب الدهر ضرباته لإطالة الزمان و تضيير الأوقات و قلب الدول
و صار^٦ المسلمون في أمان و اطمئنان^٧ ليس عندهم هم^٨ و لا نكد
لإطالة الأمد، فوجد العدو مكانا خاليا من خندق و رجال و عدد كما تقدم
ذكر خلق باب الديوان^٩ خوفا من أن تدخل البضائع البلد منه بغير حق^٩،
فتوصل العدو^٩ بسبب خلق باب^٩ و منع المقاتلة من طلوع سوره من^{١٠}
تلك الجهة إلى البلد لجاس في خلال الديار و عريد .

[ولاية صلاح الدين بن عرام الثانية للاسكندرية]

ثم إن الأمير صلاح الدين بن عرام عمر في ولايته الثانية خندقا

- (١) في بن: بخندق .
- (٢) في الأصلين: تركت .
- (٣ - ٣) ساقطة من بن .
- (٤) في الأصلين: فأهملت .
- (٥ - ٥) في بن: بغير حفر .
- (٦) في الأصلين: وصارت . (٧) في بن: و اطمئنان .
- (٨) ساقطة من بن و واردة في بن .
- (٩ - ٩) في بن: من داخل البلد خوفا من التجار البضائع (كذا) منه بغير حق
وجب عليها .

غربي السور، وهو المكان المعروف بالمطرق، أوله قلعة الباب الأخضر
وآخره القلعة المجاورة لدار السلطان و باب الخوخة، وصله بالحنق
المحيط بالإسكندرية من جهة البر، فصار ذلك خندقا ومطرقا ومكنا
لدخول نجدة المسلمين منه في خفاء، لإقامة حائطه الذي يلي البحر ' إلى
ه أن يخرجوا منه على حين غفلة إلى الجزيرة وقت حرب الفرنج إن
أتوا لذلك .

ثم إنه عرّض أيضا المطرق الشرق المخاضى لدار الإمارة . ثم غرق
الحجارة بالمينة الغربية حفظا لمراكب المسلمين، وزمّ فوّهة التفريق بسلسلة
مخضمة . وعمل أيضا 'مشطا حديدا' لباب الصناعة الغربية من جهة
١٠ المطرق المذكور، تخرج منه الرماة إلى المينة وتدخل منه وقت الحرب،
وأبواب الإسكندرية حيث مغلقة . فان دهم العدو المسلمين دخل ٢
المسلمون منه بحماية رماة السور التي بأعلاه لإيصالهم إلى أن يدخلوا بأجمعهم .
فاذا حصلوا داخله أرخى عقيب دخولهم المشط الحديد الذي لا يرفعه
غير المسلمين ٤ [١٨٧ : الف] من أعلى . السور بالسرياقات الدائرة المحيطة
١٥ على لواب الأتراس لتقله وجفوه . وكانت عمارته للمطرق الغربي

(١) ساقطة من بن .

(٢-٣) كذا في بن وهي في بر: مشط حديد.

(٣) في الأصليين : دخلت .

(٤-٤) في بن : يرفع .

(٥) كذا في بن ، وهي في بر: أعلا .

و باب المشط الجديد في ستة وتسعين و سبعمائة . و سيأتي فيما يرد
من هذا الكتاب ذكر تغريق الحجار بمينة ' بحر السلسلة ، و تاريخ حفره
للخندق الجديد البارز عن الخندق العتيق و صفحة ٢ حفره إن شاء الله تعالى .
فالامير صلاح الدين بن عرام المذكور هو الذي غرق الحجار
٣ لحفظ مراكب المسلمين ٢ و حفر الخندق الجديد و المطرقين و ما خرب ٤
من الإسكندرية ، و هو الذي أقام أبواب البحر الاول و الثاني عوضا
عن البابين اللذين ٥ أحرقتهما ٦ الفرنج . و كذلك أقام بابي رشيد اللذين ٧
أحرقتهما أهل الاسكندرية حين الوقفة لتجد النجدة الآتية من مصر مكانا
مفتوحا تدخل منه إلى قتال الفرنج بها . و كذلك أحرق ٨ المسلمون
باب الزهرة لتدخل النجدة منه أيضا . ثم إن الامير صلاح الدين أقام ٩
أيضا أبواب دار الصناعة الشرقية و أبواب الديوان و سد الباب الأخضر
و باب الخوخة و باب الزهري و باب الآتية ، فحصل بعمله المستين ، النفع

(١) في بن : ومينة - مكررة .

(٢) في بن : وكيفية .

(٣) واردة في بن [١٣٥ : ب] و ساقطة من بر .

(٤) في بن : أخربه الفرنج .

(٥) في بن : اللتان .

(٦) في بن : حرقتهما .

(٧) في بن : اللتان ، و في بر : التي .

(٨) في الأصليين : أحرق .

للسلین ، وفيه يقول الشاعر ١ :

فأنت يحفظه ويحفظ سعيه ويمده ويمده بالخير والبركات
ويديم نعمته على طول المدى ويحفه بالنصر في الحركات
ويقره في مستقر خالده بحظيرة الفردوس في الجنات

٥ ثم إن الأمير الاتابكي يلبن الخاسكي ٤ طلب الأمير صلاح الدين ولآه بالقاهرة شاد الدواوين ، وولى الأمير سيف الدين الأكرز الاسكندرية ، أقام بها سنة واحدة وعزله منها ، وأعاد إليها الأمير صلاح الدين ٥ في التاريخ المتقدم ذكره . وفي أيام ولاية الأكرز ركب على الباب الأخضر أبوابه الثلاثة بعد أن كان مسدودا بالحجر والجير ١ وذلك في ١٠ يوم الواقعة سنة سبع وستين وسبعائة .

[المراثى الأخرى للاسكندرية]

قال المؤلف : ١ خفر الله له ولوالديه وللأقرين إليه وللسلين اجمعين ٢ :

(١-١) ساقطة من بر ، واردة في بن .

(٢) في بن : للدا .

(٣) في بن : بحضيرة .

(٤) في بن : الخاسكي .

(٥) في بن : الأكرز .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) زيد في بن : ابن عرام .

(٨-٨) في بن : رحمه الله تعالى .

وإذ قد ذكرت ما تبسر ذكره على مرثية ابن أبي حجلة ، فساذكر
الآن المرائى التى رثيت بها الإسكندرية إن شاء الله تعالى . ففها قول
الشيخ الفاضل أبى عبدالله محمد بن حسن الشاطبى ٢ أسعده الله تعالى ١ :

همت يا لقوى بالدموع عيون لمعظم شجوى وانبعاث شجوى
وأسيت صبا شاكيا من صبايق وصار منأى ٣ اقتراب منوى ٥
أصعد أنفاسى وأبدى ٤ تأوى لخطب جليل هاج منه أنينى
[١٨٧:ب] إذا جن ليلى أفلقتنى خواطرى كأنى مصاب فى الدجى بهنون
هجرت منأى مذكى ٥ جسمى الآسى وقد ظل تسهيدى حليف جفونى
ومن عظم ما بى لورأتى معارفى لتغير أحوالى لما عرفونى
وقد لامنى قوم لكثرة ٦ تولى بيت خطوب طال ما دهمونى ١٠
فلو نال عدالى قليلا من الذى منيت به فى الدهر ما عدلونى
ألا يا أخلائى اندبوا ويحكم معى وجودوا بدمع لا يكف ٧ هتونى

(١) ساقطة من بر ، واردة فى بن .

(٢-٣) فى بن : رحمه الله .

(٤) فى بن : شانى .

(٥) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : وابدو .

(٦) فى بن : كسا .

(٧) فى بن : لبظم .

(٨) فى بن : لا يثفك .

ومن أعظم الأوصاف أن مسلماً خذا يحوز و يحسوى لا يدين بدين
تجراً بعد الروم بالنهب عادياً ولم يخش ما يلقاه بعد منون
ولم يرتب سوء الحساب وهوله وضبط حفيظ كاتب و ظنين
إلى الله أشكو جوراً عادٍ ومعتد ظلوم أئيم مفسد وخؤون ٣
هـ ألا بآبى يا ثغر قلبي مقلَّب على جرات قد أهجنَّ سكوني
ألا بآبى يا ثغر هل لا تبسماً كما قد عهدنا وانبساط قنون
ألا بآبى يا ثغر أين أحبتي أبعد وصال ما لهم هجروني
نثرت لآلى الدمع حين تناثرت لآليك واستحكمت عقد غبوني
دعوت اصطباري والكرى وتعقلى فلا وأبى يا صاح ما قريوني
١٠ وكيف وقدان الإجابة مُذهلي وشأنهم يضئ جميع شؤوني
يقول فقيد الأهل بالخال معلنى ألم تر حذب الشرك قد ملكوني
فها أنا بعد العزّ في ذلٍّ أسرم وبعد سراحى في مضيقٍ بهوني
وبعد انشراحى في ههنا لذة المتى أقامى قسى القلب غير حنين

- (١) في بر: الأوصاف، والكلمة أصبح في بن كما في النص .
(٢) في الأصلين: مسلم - و يقتضى الوزن نقل « غدا » إلى الشطر الأول .
(٣) في الأصلين: خون، وزيد هنا في بن :
ألا بآبى يا ثغر اسكنت باطنى خيالاً به ضلئى اضمحل (كذا)
وقد آثرنا ترك البيت في الهامش لما به من خيل في القنط والمضى والوزن .
(٤) كذا في بن وهى في بر: يصمى .
(٥) في الأصول: شؤون .
(٦) في بن: ضيق .

أيت الليالي لا تصور لمدمعي وأصبح في ذل^١ 'يدوب وهون'
 وكل أسير كالذي قلت قاتل فباقة من حسن الدعاء هبون^٢
 عضضت بناني عند ذا من تأسني وأسقطت حزنًا في التراب جيني
 وواصل نوحى للشهاد^٣ فلا أرى مصاحبة بين الكرى وعيوني
 ذروني أبكي كل مسمع^٤ له حيا وأثير الحزن فيه ذروني^٥
 فإليت شعري هل لتأري طالب يحلى صدا قلبي بك رهوني
 / أيا معشر الإسلام باقه فاضرعوا^٦ باخلاص قصد واصطحاب يقين [ب: ١٨٨]
 يتمكن أرباب النهى من عدونا "بنصر وقح للأفام" ميين
 بحرمة من بالرب أيد وانكفا بكف تراب منه أى مكين
 وللشاطى أيضا مريعة في الإسكندرية^٧ وهى:

١٠

أى جفن له المنام يدانى عند صدم العدو بالأجفان
 عن حرب من اللام إلى الثغر ظنتاه خائب الرأى عانى
^٨ في خميس^٩ واقالنا بخميس وإلى الجمعة اتقى الجمعان
 وغراب الفراق ينمب^{١٠} فينا فرقا من تهرق الغربان^{١١}

(١-١) فى بر: يدوب وهين، والأصح كما فى بن بالنس.

(٢) فى بن: الشهاد.

(٣) فى بن: ذى سمع.

(٤) فى بن: فاسرعوا.

(٥-٥) فى بن: يفتح قريب للإمام.

(٦) زيد فى بن: أول كل بيت منها كآخره.

(٧-٧) فى بن: وخميس.

(٨) فى بن: ينقى.

(٩) فى بن: العربان.

- هَوِّنَ الْمُسْلِمُونَ أَمْرَ لِقَامٍ فَأَذِيقُوا مِنْهُمْ أَشَدَّ الْهَوَانِ
 سَنَ لِلشَّجَرِ ذَا الْحَيْثِ سَنَانًا فَصَعَتِي بِهَا عَلَى الْأَسْنَانِ
 مُكِّنَ النَّذْلَ فِي الْحَرَمِ وَفِي الْإِلْمَالِ وَالْأَلْقَى الْأَذَى بِكُلِّ مَكَانٍ
 قَرَّ الشَّجَرُ وَيَسْلُهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ مَا بَدَأَ الْقَمَرَانِ
 ٥ أَحْرَبَ الْقَوْلَ بَعْدَ ذَا فِي فَرِيقَيْنِ رِطَاعِ الْمَوَامِ وَالْعَرَبَانِ
 طَلَبُوا فِي كِبُودِهِمْ بِالطَّوَا عَيْنَ لِأَجْلِ الْفَرَارِ يَوْمَ الْعَطَانِ
 'وَدَنُوا لِاتِّهَابٍ' كُلِّ مَكَانٍ فِي التَّوَاحِي وَكُلِّ قَاصٍ وَدَانِي
 مَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُمْ كُلِّ دَانٍ ٣ مُسْتَمِرَّ الدَّوَامِ بِالْإِمْكَانِ
 وَعِلَامٍ مِنَ الضَّنَا وَالزَّيَا فِي حِمَاهِمِ فَوْقَ الَّذِي قَدْ عَلَانِي
 ١٠ ذَكَرَ الْمَرْتِيَّةَ الَّتِي رَفَّاهُ بِهَا الْإِسْكَندَرِيَّةُ 'عَقِيبَ الْوَقْتِ' الشَّيْخُ الْفَاضِلُ
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ الْأَنْخِيمِيِّ ، ٤ وَمَا أَضْيَفَ إِلَيْهَا مِنْ أَخْبَارِ
 مِصْرَ ، وَذَكَرَ بَعْضَ مَلُوكِهَا وَنَيْلِهَا وَخَيْرِهَا وَبَرَكَتِهَا وَخَصَائِصِهَا وَعَجَائِبِهَا
 وَغَيْرَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْطِرْدَادِ ٥ :

(١) فِي بَن : فَصَدَّ .

(٢-٢) فِي بَن : وَدَمُوا الْإِتِّهَابَ .

(٣) فِي بَن : دَا .

(٤-٤) فِي بَن : وَمِنْ الْمَرَاتِي الَّتِي رَمِثَ .

(٥-٥) فِي بَن : مَرْتِيَّةَ .

(٦) الْكَلِمَةُ سَائِقَةٌ مِنْ بَن .

(٧) فِي بَن : إِبَى .

(٨-٨) الْجُمْلَةُ سَائِقَةٌ مِنْ بَن .

حادث حل أرى الناس العبر فيا قد هال منه يُعْتَبَرُ
 ياله من حادث مامثله طرق الإسلام من عهد عمر
 وبلاء قد دهما الناس فلم نر منه قسط أدهى وأمر
 جرّع الإسلام سما فاقعا وعليهم سيف بنى قد شهر
 فلکم أطرش سما واعيا ذكره ولكم أعمى بصره
 مادت الأرض له واضطربت ولقد حل بها كل العبر
 / ليس يرجا للهناء من أوبة لا ولا صفو زمان من كدر [الف: ١٨٩]
 وبنو الأصفر في ثغر الهدى جعلت أسيانهم فيه ثغر
 ليس يمي منهم في أخذه أحد بل كان في ملح البصر
 وأبادوا بالقنأ حانه وإليه كل عالج قد عبر ١٠
 واستباحوا ذمة الله ولم يرفع لله ذمما من كفر
 لو ترى ٣ العالم لما نظروا جيش أنصار الهدى قد انكسر
 وهم جفلا من الرصب كما تجفل الأنعام من ليث زار
 ومن الأسوار يلقوا أنفسا ليس تخشى من وقوع في خطر
 خيفة الأعداء لما منهم كل قلب عاف منه وانذر ١٥
 كم أراقوا من دم فيه وما رق قلب منهم ولا انزجر

(١) في بن: واعى .

(٢) في الأصلين: بالنضبا (أو) بالصبا [بن ١٢٦: ب] وواضح أنه خطأ على
 لا يستقيم به المعنى .

(٣) في بن: تر .

(٤-٤) في بن: فيه من دم .

ولكم شيخ قاتل عمره ذبحوه بالمُدا ذبح البقر
وصغير بضموه ثم ما رحوا من كفرهم منه الصفر ٣
ولكم طفل نجيب قاتل حبه من عمره درس السور
أخذوه ثم لا برحمة أحد منهم إليه قد نظر
ه وإذا لم ينظر الله له أخرجوه عن هدى خير البشر
ولكم ستر غدا مُنتهكا وبدا للناس منه ما ستر
ومبان زخرفت أرجاؤها فوهى ما طال منها وانذكر
وغدت بالنار قاما صفصفا ما يرى من رسمها إلا الأثر
ولكم منها بدور أخذت هين في مثلها بذل البدر
١٠ ومن الأموال ما لو قصدوا حصر نزر منه يوما ما انحصر
ولقد أضى بها من كان في أعظم العز ذليلا محتقر
قد خلت أوطانه من أنعم وهو من بعد الفنى قد افتقر
ليت يوم دخلوه عنوة صبحه الواضح ما كان اقبح
أسفرت غرته عن فتنة ذهل البادون منها والحضر
١٥ أورتهم بحر حرب زاخر وقليل منهم عت صدر

(١) في بن: قاتا .

(٢) في بن: بالدى .

(٣) في بن: صفر .

(٤) في بن: يلى .

(٥) في بن: لها (أو) لا .

غرقوا من هوله في لجج طاميات من دم قد ائهدر
والعدا في حريمهم قد فتحو باب غدر وسيلقى من غدر
/ واستهاب السلون حريمهم وبدا منهم ملال وضجر [١٨٩:ب]
وعلى الاغقاب ولّوا هربا والعدا امن خلفهم ' تقفو الاثر
قبها عن ' اللقا نوليّة ففى عداقه من إحدى الكبر ٥
لو ٢ هم كان ٢ شجاعا باسلا بقتال ذلك اليوم اشتهر
لمحى ' عن حوزة الدين الردا بالردينيات والمضب الذكر
وحى ثمر الهدى لكنه فى الدجا يعرف مقدار القمر
وبه كانت تنغات فرقة من عراب البر قد جاؤا زمر
ينصروا الإسلام لكن فى الوقا لم يكن نجاتهم إلا المفرد ١٠
وم كانوا عليه ضررا لا لكن* جنفرا أصل الضرر
غرّ بالعالم إذ أخرجهم للقا الأعداء عبّاد الصور
عارج الأبواب إذ فتحها وهو منه كان خطأ وغرر
لو على الاسوار أضى راكبا ثم ماخذق قد أجرى نهرا
كان للشعر وقاة والعدا لم قتل منه مدى الدهر وطر ١٥

(١-١) فى بن: منهم .

(٢) فى بن: عتد .

(٣-٣) فى بن: كان بهم .

(٤) فى بن: لها .

(٥) عن بن ، وفى بر: ولكن .

بل أضع المسلوب رأيه حين لا أسعده حكم القدر
لو أراد الله أن ينصره كان بالرعب له قد انتصر
لكن الله الذي أخذه وعليه للأعداء قد نصر
لم يكن في ذلك اليوم الذي شره كان على الناس استطر
ه نفع الإسلام سُور مانع أحكمت من حكم بانيه المرر
لا ولا دافع عنهم مدفع للعدا من فاره يرى شر
لا ولا أسلحة معتدة لقا الأعداء كانت تدخر
لا ولا إيران قط لا ولا منجنيق قد رى ثانی حجر
لا ولا جيش يقول من رأى في العدا حملاته لله در
١٠ لا ولا عبد تقى قد دعا بانتصار الدين في وقت السحر
فلكم سيف نبا من بعد ما كان في الصخر لحديه أثر
ولكم رمح طويل هزّه راح يبنى الطعان فانكسر
ولكم قوس رى^١ نحو العدا فأق في رميهم عنهم قصر
ولكم من قامه مفلوكة فلقنها البيض تغليق الشجر
[١٩٠ تألف] / ولكم رأس على وجه الثرى من على الأبدان تجرى كالآكر
ولكم من سابق فارسه إذ كبا من فوقه للأرض خر
كل هذا فعل ربّ قادر كل أمر منه يجرى بقدر
يا لها من كسرة يحيرهما من إذا ما شاء للكسر جبر

(١) مطبوعة في بن.

(٢) في بن: جرى.

بالقر الأشرف العالى الذى جوده كالشمس فى الأرض انتشر
 يلغا ليك الوفا من سيفه للطناة المارقين لم يندر
 فارس الإسلام ليك جاسر وهاب الليك يوما إن زار
 فهو للدين خير يفظ والسنى يخضر يحى ما خفر
 مُذ رَقَا ما قد جرى مسمعه حين واقاه من الشجر الحبره
 سار بالجيش مجداً قاصدا ساعة الوقت إليه ما فتر
 ملا البر جيوشا شوسها من أولى العزم صناديد غرر
 وخیول صافنات حُفّر للغا الأعدا لها كز وفر
 قادها الليك المصور^٢ يلغا من على الدين بمراء خفر
 يأخذ الثار من الأعدا فلم يلقى للأعداء فى الثغر أثر ١٠
 بل هم لما رأوا جيوشه أقبلت^٣ لحربهم مثل المطر
 أيقنوا^٤ أن لا^٥ نجاة لهم من عظيم حرب إلا السفر
 واستهابوا الثغر من سطوته ثم عنهم بعدوا^٦ مدا النظر
 لو على البر إليه نزلوا ما نجا من سيفه^٧ منهم قر^٨

(١) فى الأصل: أزر، وهو خطأ قلمى واضح، وصححه فى بن [١٣٧: الف] .

(٢) فى بن: بساعة .

(٣) فى بن: الحضور .

(٤) فى بن: قد أقبلت .

(٥-٥) فى بن: ألا .

(٦) مطموسة فى بر، ووردت فى بن .

(٧-٧) مطموسة فى بر، واردة فى بن .

وغدوا بالأسر في قبضته ونهى فيهم بما شاء وأمر^١
 واشتفت منهم قلوب حرّما^٢ لو على الصخر^٣ الأصم لاقطر^٤
 فهو سيف للمدا^٥ مجرّب^٦ حده دون السيوف محتر^٧
 ولقد أضمر في نصر المدي وسيقضي عن قريب ما ضم^٨
 لله^٩ قاله التعرش قد عوده منه بالنصر العزيز والظفر
 أيها المولى الأمير والذي من نداه وابل السحب انهم^{١٠}
 إن دين الله أنت سيفه وعلى نصرتك الدين اقتصر^{١١}
 وإذا ما لم تقسم في نصره طمع الافرنج فيه والستر^{١٢}
 لا تم عن نصره واجزو الكرى واسهر العين فذا وقت السهر^{١٣}
 [١٩٠: ب] / وأمر السفن كثيرا مثل ما ذلك^{١٤} الكلب اللعين قد عمّر^{١٥}
 وبها للعرب جمل^{١٦} عدد^{١٧} كي بها اللابس^{١٨} في الحرب يُسر^{١٩}
 لا تكن في حملها مختصرا فعدوا الله فيها ما اختصر^{٢٠}

(١) مطموسة في بر، وواردة في بن.

(٢-٣) مطموسة في بر وواردة في بن.

(٤) في بر: على العدا. وصحتها في بن كما أوردناه في النص.

(٥) في بن [١٣٧: اقب]: ذاك.

(٦) كذا في الأصول وقد تكون «حمل» بسقوط قط الجيم، وواضح أنه
 باليت فهو ضا ووزنه مكسور.

(٧) في بن: عددا.

(٨) في بن: اللبس - و اللغني غامض.

ولكن أبطالها مشهورة مثل سيف في الوغى^١ قد اشتهر
من كياة الترك كل بأسل ثابت عند القناخل ذكر
وتوجه بهم لقبرس واركز الصنق فيها فوق بر
وضع السيف ولا تترك سوى من لتوحيد الإله قد ذكر
واكر الصلبان واحرق قبرسا ثم لا تترك^٢ بناء من حجر^٣ ٥
وخذ السلطان مأسورا كما لحرم المسلمين قد أسر
واقترح ماشئت في تذييه^٤ فهو كلب للأنام قد عقر
ولأسرى المسلمين ردّمهم لحامم أيها المولى الأقر^٥
لتكون الآخذ الثار الذي لك في الدنيا له عظم الفخر
ثم لم يق بأرض ملك بسدها إلا لتلياك^٦ أقر^٧ ١٠
ويعود الثغر في الدنيا حمى بك يخشاه العدو إن حضر
لكن^٨ الآن غدت^٩ أحواله حزنا يكي عليها من نظر
أسف الدنيا على الثغر الذي كان لعلم الشرف مستقر
كان ركننا للهدى مشيدا^{١٠} ولأرباب انتهى فيه مقر

(١) في بن: الوغا .

(٢-٣) في الأصليين: مبنيا جبر . - ولا يستقيم بها الوزن .

(٤) في بن: تقيته .

(٥) كذا في الأصليين، وربما كانت الكلمة: الأغور .

(٦) في بن: لعيالك .

(٧-٨) في بن: الاعداء الاعداء... وهو غلط واضح .

(٩) في بن: سيدا .

كان فترا بالهنا^١ مقسما وله دون الثغور يفتقر
 كان للملك به جلالة وله غر به إذا اقتصر
 منه جيد الملك أضى عاطلا مثل قويس عطلت منه الوتر
 نكسب الإسلام فيه نكبة أرخت أخبارها الناس سير
 ٥ إن يكن حكم القضا أباده وعليه حادث الدهر جسر
 فله العقب بنصر عاجل من إله العالمين ينتظر
 وإذا ما أقد الله القضا لم يكن^٢ المخلوق فيه^٣ مفر
 وقد عارض هذه المروية الشيخ الفاضل أبو عبد الله محمد بن النضر بن مروة
 على قافيتها . وسأذكرها فيما يرد من هذا الكتاب^٤ إن شاء الله تعالى^٥ .
 ١٠ حدثني محمد بن طاهر الإنجيمي قال : لما كمل نظم هذه المروية
 كتبها بخط [١٩١ : ألف] حسن ، ومضيت بها إلى الأمير الأتابكي
 يلعبا الخاسكي ، فاستأذنته^٦ في قراءتها ليسمعا^٧ ، فأذن لي في ذلك .

(١) في بن : بالهنا .

(٢-٣) في بن : فيه مخلوق .

(٣-٣) وردت الجملة في بن بعد « وسأذكرها » . ثم زيد في بن
 [١٣٧ : ألف - ب] : وأولها :

خطر فاجأ الورى لما خطر أورت الناس الرزايا والخطر

قال المؤلف رحمه الله تعالى حدثني أبو عبد الله محمد بن طاهر الإنجيمي - الخ .

(٤) زيد في بن [١٣٧ : ب] : التي أولها حادث حل أرى العبر .

(٥) في بن : استأذنته .

(٦) في بن : مجلس حضرته .

قرأتها بمجلسه ١، فاهتز لها وبكى ٢ هو ومن كان حاضرا بمجلسه، فلما فرغت من قراءتها أخذها، فكانت سينا لقوة عزمه واجتهاده في عمارة ١ المراكب الحربية ٢ وعمل الأسلحة المثكية - انتهى كلامه .

[عمارة الاسطول المصري لغزو الفرنج]

ثم إن الأمير ١ يلينا جد في عمارة المراكب الحربية بمصر والشام، ٥
 تجهز منها مائة وخمسين مركبا، منها طرائد للخيال، وشوانى للغزو .
 فلما كملت ٤ المراكب المصرية ٥، وكانت مائة مركب، أفضنها بالرجال
 والابطال، والأسلحة الثقالة، وأمر الغزو أن تلبس الزرد التضيد،
 ومصفحات الحديد، بالبر فلبستها، وتساحت بأسلحتها، وركبت خيوطها
 والغز جمع غاز . ٦ ثم جذفت المراكب في النيل، وتبعنها الغزو بشاطئه ٦، ١٠
 فصار الجيوشان ٧ البحرى والبرى، كما قال ابن الفارض ٨ في قصيدته الثائية ٩:

(١) ساقطه من بن .

(٢) في بن : وبكا .

(٣) زيد في بر : بمصر والشام تجهز منها . - ثم شطبت الجملة لورودها فيما
 بعد بالنص .

(٤) زيد في بن : عمارة .

(٥) في بن : التي ببل مصر .

(٦-٧) ساقطه من بن .

(٧) في بر : لبلشيين . - وفي بن : لبلش البرى والبحرى .

(٨-٩) ساقطه من بر وواردة في بن .

وتنظر الجيشين^١ في البرمرة وفي البحر تهرى الفلك في كل لجة
لباسهم نسج الحديد ليأسهم^٢ وهم في حى حتى ظبا وأسنة
فأجناد جيش البر ما بين فارس على فرس أو راجل رب رجلة
فن ضارب بالبيض فكأ وطاعن بسمر القنا الصالة السمهرية
هـ ثم إن الأمير يلغا أمر باحزار رسل صاحب الكيتلان، لينظروا
الجيشين^٣ الذين^٤ هم كالنسور والعقبان، والاسد والغيلان. وكانوا
إذ ذا^٥ قد قدموا بسبب الصلح، وزعموا أنهم لم يكونوا اظهروا القبرسى
على المسلمين، ولا حضر أحد منهم وقعة الإسكندرية. فلما حضروا
نظروا^٦ لتلك المراكب الحرية، وإلى ما فيها من الهمم العلية، ورأوا
١٠ تلك الجنود، التي هي كالنود، قد تهيأت للقتال، والحرب والنزال،
'وقد جذفت'^٧ تلك الطرائد والغريان، الشبهة^٨ لالوان طيور^٩ الغريان
يحر النيل حادرة وصاعدة، تودّ لو أنها حيثئذ لجزيرة قبرس قاصدة،

(١) في بن: الجيش.

(٢) ساقطة من بن.

(٣) في الأصلين: الجيشان.

(٤) في بن: الاذان.

(٥) في بن: ذاك.

(٦) في بن: ونظروا.

(٧-٧) في بن: وجذفت.

(٨-٨) في بن: لونا بطيور.

بعد أن سترت جوانبها بالطوارق المدهونة، ويأطنها الأسلحة
المسنونة، وقد صارت برجال الحرب^١ مشحونة، والأعلام بالرياح
تنفق، والأبواق تزعق،^٢ والطبول تضرب، والنقط بناره ملتهب،
وقد ذمرت الزمور، وتهايات الأمور، لقتال كل طليج كفور^٣. وقد
اجتمع لرؤية تلك المراكب^٤ من الخلائق الألف^٥، صاروا على شاطئ
النيل صفوف صفوف^٦، ينظرون لتلك المراكب التي صارت من
أعجب العجائب، والقياد^٧ بمجاذيفها تجذف، تارة تستقيم في جريانها
وتارة [١٩١: ب] تنحرف. وقد صارت تلك المراكب من خفة
دورانها، كالقالب، وهي تجلي كالعرائس بزيتها التي حكمت انتشار
أجنحة الطواريس، وقد صارت كما قال بعضهم^٨:

١٠ فـهـ يـوما بشاطئ النيل مبتهجا تبدو الشواني فيه كالكراديس
تراهم طالعين النيل في قرن ونازلين به مثل القواديس
كأنهم وسيوف النصر تقدمهم وقد تحلوا بأنواع الملايس
غريان يبين على الأعداء تفرقهم لكنهم يننا مثل الطواريس
وكما قال بعضهم أيضا:
١٥ إذا زينوا ظهر الغراب بسدة غدا بازيا يُصمى الطريفة أشبا

- (١) زيد في بن: الشجان .
(٢-٣) في بن: والزماير ترمز وللأبطال بأصواتها والطبول تضرب، والنقط
بشراره ملتهب .
(٣-٤) في بن: ألوف ألوف .
(٤-٥) في بن: صفوف . غير مكررة، وصحتها صفوفوا تركناها كما هي للسمع .
(٥) في بن: والقواد .
(١) في بن: الشاعر الماهر .

وقد كان في جوف الصناعة حيّة فعاد بظهر البحر بالجذف عقربا
فعند ذلك انخلت قلوب الكيكلان من رؤية المراكب الحرية،
التي عمرت بسبب أخذ ثأر الإسكندرية، وسرعة عمارتها في عام
واحد، فتحققوا أن يلغوا لإخرا بقرس قاصد، وقالوا: ما في الممالك
ه مثل ملكة هذا الوادي، الذي حلالة مائة يروى ظلماً الصادي، ويذول
برؤيته من العين الرمد، وهو يجرى بالذهب والمسجد.

حدود مصر

وقد ذكر من له معرفة بالمساحة أن ٣ وادي مصر حده من
العرش إلى أرض برقة. قال الشاعر:

١٠ سقى واديا بين العرش وبرقة من الغيث هطال الشآبيب هتأ
وحى النسيم الرطب منى إذا سرى هُتلك أوطانا إذا قيل أوطان
بلاد إذا ما جئها جئت جنة لعينك فيها كل ما درت رضوان
تخيّل لي الأشواق أن تراها وحباءها^١ مسك يقوح وحقيان

(١) زيد في بن [١٣٨: الف]: رسل صاحب.

(٢) زيد في بن: تلك.

(٣) ساقطة من برو وادة في بن.

(٤) زيد في بن: سائر الجزيرة.

(٥-ه) في بن: ويمجرى ديماء (كذا) جبر المسجد.

(٦) زيد في بن: ولذلك.

(٧) في الأصلين: وحباءها.

المقيان الذهب او كذلك المسجد^{١٠} ولبعضهم في وادي مصر:
 واد به أهل الحبيب نزول حيا معاها الحيا والنيل^٢
 واد يفوح المسك من جنباته و يصح^٣ منه للنسيم^٤ طيل
 في مصر النيل

و لبعضهم في مصر و النيل تورية ، و التورية إظهار شيء يكون ه
 المراد به^٥ غيره يخفيه:

كأن لمصر^٦ ميرة بالنيل مذ ولى خلت
 كأنه بعل^٧ لها وبعده ترملت
 أى بنزول النيل انقطعت الميرة التى تأتى بها^٨ المراكب الكبار المعروفة
 بالدرامين - وأحدها درموة -^٩ يحملونها سائر الجيوب^{١٠} من صعيد
 مصر و^{١١} تنحدر بها إليها^{١٢} . معناه كأن النيل زوج لمصر ينفق عليها من

(١-١) ساقطة من بر، وواردة في بن .

(٢) الكلمة مطموسة بالتوهم في بن .

(٣-٣) في بن: فيه و النسيم .

(٤) ساقطة من بر، وواردة في بن .

(٥) في بن: بمصر .

(٦) في بن: لها .

(٧-٧) كذا في بن، والجلة في بر: يحملها لها .

(٨-٨) كذا في بن والجلة في بر: ويجريها إليها . وكلمة « تنحدر » في بن
 « تنحدر » .

حمل مراكبه الميرة إليها في أبان^١ زيادته كما ينفق [١٩٢ : الف]
 الزوج من كسبه ويحمّله إلى زوجته، فإذا طلقها صارت أرملة^٢ لعدم النفقة،
 وعند قص النيل عن مصر ترملت^٣، أى صارت رملا ناشفا لا تقطاع
 عنها نفقة النيل عليها^٤، كأن زوجها الذى كانت تمتاز منه مات عنها،
 فصارت كالأرملة من النساء^٥ التى مات عنها زوجها أو طلقها، فاقطعت
 النفقة^٦ والرمل ينطلق على الذكر والأنثى.

قال جرير من قصيدة مدح بها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز:
 هذى^٧ الأرامل قد قضيت حاجتها^٨

فمن لحاجة هذا الأرملة الذكر

١٠ فالأرمل الذى لا زوجة له، والأرملة التى لا بعل^٩ لها. وقال
 ابن السكيت: الأرامل المساكين من رجال ونساء - انتهى.

(١) في بن: أوان.

(٢) الكلمة ساقطة من بن.

(٣) زيد في بن: مصر.

(٤-٥) في بن: النيل عنها بنقصائه في زمن احتراجه.

(٥) زيد في بن: ينقل المراكب إليها ما يأتيها به فكأنه.

(٦-٧) العبارة ساقطة من بن.

(٧) زيد في بن: رضى الله عنه.

(٨) في بن: حاذى.

(٩) في بن: حاجاتها.

(١٠) في بن: زوج.

نود^٢ فلنذكر الآن ما قيل في روضة مصر^٢، أما جزيرة مصر التي
تسمى الروضة^٢ جهتها القبليّة تواجه مصر وجهتها البحريّة تواجه بلد
وسيم . قال علي بن عبد الله القصرى فيها :

ذات وجهين فيها قُسم الحسنُ فأصبحت بها القلوب تهيمُ
ذا بلى مصر فهو مصر وهذا يتولى وسيم فهو وسيم ٥
قد أعارت عصر الصبا صباها . أبادت فيها الغيوم الغيوم^٣
ولبعضهم^٤ في جزيرة^٥ الروضة المذكورة :

وروضة تحسن لا يرى مثل حسنها مساكنها مثل النجوم تلالا
أناها عباب النيل من بعد غايبة كزائر مشغوف يريد وصالا
فماققها من فرط شوق لحسنها . ومد يمينا نحوها وشمالا ١٠
فلنذكر ما قيل في أرض مصر^٦ عن كعب الأحبار أنه قال : من أراد
أن ينظر إلى شبه الجنة فلينظر إلى^٧ مصر إذا أخرفت وإذا أزهت وإذا

(١) ساقطة من بن .

(٢-٣) العبارة هنا ساقطة من بر، وواردة في بن، وقد جاءت بـ«د» وسيم في بر.

(٣) في بر : الغيوم . ومعناها ظاهرة في بن ولو أن الكلمة مطموسة جزئيا بها.

(٤) في بن : وقال معصم .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٧) في بن : قط مثلها .

(٧-٧) العبارة ساقطة من بر، وواردة في بن .

(٨) زيد في بن : أرض .

انطردت أنهارها، و تدلت ثمارها، وفاض خيرها، و غنى طيرها، بفنون
الالخان، على الأغصان، حين هبت نسائم الأشجار، على رياض
الازهار: تسبح بحمد ربها الملك القهار. و قد در القاتل حيث يقول
في حامة تفرد ٢.

رب و رقاء هتوف في الضحى ذات شجر صدحت في فنن
ذكرت ألفا و دهرها صالحا فبكت حوا فزادت حزني
فبكائي ربما أرتها و بكها ربما أرقني
فاذا سمعني أسعدا و إذا أسعدنا تسعدني
و إذا تشكو فأنهمها و إذا أشكو فأتقهنني
١٠ غير أنى بالجوى أعرفها و هى أيضا بالجوى تعرفنى
[١٩٢: ب] يا نديمى صف معانى حسنهم فمعانى حسنهم يطربنى
و إذا ما لاح من حيمهم بارق فى صحر فأذكرنى
ذلك الوادى و أيام موى ما أحىلا ذكرها فى أذننى

ع عبد الله بن عمر قال قال: «من أراد أن ينظر إلى الفردوس
١٥ فليُنظر إلى مصر حين ينضّر زرعها، و يزهر ربيعها، و تكتسى بالنوار»

(١) زيد فى بن: عيلان.

(٢-٣) العبارة ساقطة من بر، و واردة فى بن.

(٣) فى بن [١٣٨: ب]: فبكت.

(٤) فى بن: لشكو.

(٥) فى بن: تشكو.

(٦) كذا فى بن، و هى فى بر: بالنور.

أشجارها . قال الصنوبرى يصف فصل الربيع وزهرته :

ما الدهر إلا الربيع المستير إذا جاء الربيع أنار النور و النور
فالارض ياقوتة و الجو لؤلؤة و النبت فيروزج^١ و الماء بلور
من شم ريح^٢ رياحين الربيع^٣ يقل ما المسك مسك ولا الكافور كافور

و قال الصنوبرى فى المسك و الطيب و المهادة بهما :

الطيب يهدى و يستهدى طرائقه و أشرف الناس يهدى أشرف^٤ الطيب
و المسك أشبه شيء^٥ بالشباب ذهب^٦ شبه الشباب لبض العصبه الشيب
و الربيع^٧ يكون فيه الغيم و الصحو كما^٨ قال الشاعر :

اليوم يعذب ورد فيه تكدير و يستيق من الهجران مهجور

يوم أناك من الأيام ذى قصر و ما به من مدا^٩ اللذات تقصير ١٠

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) كذا فى بن ، و فى بر : فيروزجة .

(٣-٣) كذا فى بن ، و هى فى بر : الرياحين .

(٤) كذا فى بن ، و فى بر : به .

(٥) فى بن : الطيب .

(٦-٦) فى بن بالشباب هو .

(٧) فى بن : الربيع - بسقوط و او العطف .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) فى بن : مدى .

١ سمعو غيم يروق العين حسنهما فالصحو فيزوج و الغيم سمور
 ٢ قيل: إن مداومة النظر للسمور يقوى النظر . و السمور هو القرو
 الذي تجعل ٣ منه تجار الأحاجم رقابا لقراجيمهم .
 و بصعيد مصر بلدة ٤ يقال لها أسبوط . ذكر أنه صور للرشد
 ٥ الدنيا فما استحسن منها غير ٥ عمل أسبوط . فإن مساحته ثلاثون ألف
 فدان في دست واحد . و لو قطرت فيه قطرة ماء فاضت على جوانبه ،
 يدر فيه جميع الحبوب فلا يكون على الأرض بساط أعجب منه . من
 جانبه ٦ الغربي جبل أبيض على صورة الطليسان ، و يحيط به من جانبه
 الشرق النيل ، كأنه جدول فضة لا يسمع فيه الكلام من شدة أصوات
 ١٠ الطير . قال الشاعر فيه :

لله يوما في سيوط و ليلة قط الزمان بأختها لا يغلط
 بتنا و حمرا الليل في غلواته و له نور البدر فرع أشمط
 و الطل في سلك النصوص يثقلو رطب يخاله النسيم فيسقط
 فالطير يقرأ و الندير صحيفة و الريح يكتب و النعام ينقط

(١) في هامش بر : أسبوط .

(٢-٣) مساقطة من بن .

(٣) في بن : يتخذ .

(٤) في بر : بلدة .

(٥) في بن : دون .

(٦) في بن : جانب .

(٧) في بن : عمل .

و قال بعضهم فی روضة یانعة نزل هو وأصحابه بها فی يوم غیم :
[۱۹۳: الف] ولقد نزلت بروضة حزينة رتعت نواظرننا بها والاقص
لجعلتُ أعجب من تناهی حسنها والمسك من جنباتها یتنفس
ولبعضهم فی خلیج مصر :

لم أنس يوما بالخلیج وليلة أفیت فیها من عفا فی ما بقی ۵
واللیل بحر مزید بنجومه والسحب موج واللال کزورق
ولبعضهم فی نیل مصر :

یوما لنا بالنیل محضر ولكل وقت مرة قصر
والسفر تعلو کالخیول لنا فیه وجیش الماء منحدر
فکأنما أمواجه عکن وکأنما داراته سر ۱۰
ولبعضهم فی برکه ماء :

ولقد طربت علی محاسن برکه زرقاء تحسبها مئذاب الجواهر
قد کللت جنباتها ۳ بریعها تنفقد الابصار بهجة منظر

(۱) فی بن : جزيرة .

(۲) هذا القسم من النص إلى « کتب عمر بن الخطاب » ساقط من بر، ووارد

فی بن [۱۳۸ : ب - ۱۳۹ : الف] فأدخلناه فی النص .

(۳) الكلمة غیر واضحة وقد تكون کما اوردناه فی النص و یتنظم بها میزان
البيت ومعناه .

(۴) فی الأصل : فقتد . یتقص فی النقط ، وجائز أن تكون کما اوردناه بالنص .

فكأنما المرأة في تدويرها قد طوّقوها طوق شمع أخضر
[بن ١٣٩: الف] ولبعضهم في جداول ماء:

وجداول كأرقام حسابوها كبطونها وحبابها كالأظهر
الجداول واحدها جدول، والأرقام واحدها أرقم وهم الثعابين .
هـ ولبعضهم في جدول هب عليه النسيم ومالت عليه الفصون :
وجداول ترد الاغصان سلسله كورد ظلمات لم يصددا

كتب عمرو بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص وهو
والي على مصر: إن أرضك واسعة رفيعة وقد أعطى الله أهلها تجلداً
وقوة في بروجها وعلجتها القراصة وعللوا فيها عللاً محكما مع شدة
١٠ عتوم، فاكذب لي بصفة أرض مصر حتى كأني أظن إليها، والسلام .
فكتب إليه عمرو: إن أرض مصر تربة سوداء، و شجرة خضراء،
بين جبل أخضر، ورمل أصفر، وخطها مسيرة راكب شهر، كأنها
بين جبلها ورملها بطن آف، أو ظهر أجب بها نهر مبارك يسيل

(١) إلى هنا ينتهي الجزء الذي أوردناه بالنص من بن لطابعه الأدبي ما عدا الجملة
أو البيت الآتي الذي اقتصرنا في تسجيله على الهامش لما احتواه من خيل واضح
وهو كما يلي دون تحريف عن الأصل:

إذا وردا مالت عليه تريك الطعن سرعة فالبسته الصبا من صنتها وردا
بعدئذ يتأقف الكلام من بر .

(٢) في الأصول: أعطى .

(٣) زيد في بن: تعالى .

(٤-٤) في بن: وظهر أحذب .

بالذهب على الزيادة والنقصان كجاري الشمس والقمر ، تمدد عيون
الأرض و ينابيعها مأمورة بذلك حتى إذا زاد نيلها و اعلوا عباها
فكان القرى عما أحاط بها لا يوصل من بعضها إلى بعض إلا في السفن
و الزوارق ٢ . ثم لا يلبث إلا قليلا حتى تنقص جريته ، وتستين متون
أرضه ٣ . ثم تنتشر فيه أمة محصورة قد رزقوا على أرضهم بجلدأ و قوة ٥
فبذروا فيها من الحب ، ما يرجون به النماء من الشرب ، حتى تبدو
طواله ، و تظهر قنواته ، يسقيه من تحته مدرة سوداء ، إذا هي نجمة
زرقاء ، ثم غوطه خضراء ، ثم دياجة رقشاء ، ثم فضة يضاء . فتبارك الله
أحسن الخالقين .

و وصف بعض الحكماء مصر فقال : ثلاثة أشهر لؤلؤة يضاء ، ١٠
و ثلاثة أشهر مسكة سوداء ، و ثلاثة أشهر زمردة خضراء ، و ثلاثة
أشهر سيكة ذهب حمراء . فأما اللؤلؤة البيضاء فإن أرض مصر في شهر
أبيب و مسرى و توت يركبها النيل فترى الدنيا يضاء و ضياعها على

(١) في بن : السيون .

(٢) في بن : و زوارق .

(٣) في بن : الأرض .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : تبدوا .

(٦) في بن : إذ .

(٧) انظر « مروج الذهب » للسعودي ج ٢ ص ٢٥٦ .

رواني و تلال مثل الكواكب وقد أحاطت بها المياه من كل وجه فلا
 سيل لبعض إلى بعض إلا في الزوارق . وأما المسكة السوداء فإن في
 شهر ربه [و هاتور و كيهك - ١] يكشف الماء عنها وينصب عن أرضها
 قصير أرضها سوداء وفيها تقع الزراعات وللأرض روائح طيبة
 ٥ تشبه روائح المسك ٢ . وأما الزمردة الخضراء فإن في شهر طوبه
 وأشير و برمهات تلع^٤ و يكثر عشبها و نباتها قصير الأرض^٥ خضراء
 كالزمردة . و أما السيكه الحمراء فإن شهر برمودة و بشنس و بؤولة
 يبض الزرع و يتورد [١٩٣: ب] العشب و هو سيكه^٦ الذهب منظرا
 و منفعة . تبارك الله أحسن الخالقين .

١٠ و وصف بعضهم مصر فقال: نيلها عجب، و أرضها ذهب، و هي
 لمن غلب . و نهرها النيل من سادات الأنهار، و أشرف^٧ البحار، لأنه
 يخرج من الجنة .

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصول، ولا بد منه لاكتمال العبارة .

(٢) في بن: رائحة .

(٣) في بن: للسكة .

(٤) في بن: و تلع .

(٥) في بن: أرضها .

(٦) في بن: كسيكه .

(٧) في بن: وأسرات .

- أقال المؤلف رحمه الله تعالى: وقعت على كتاب الحيوان لأرسطاطاليس
 فرايته ذكر فيه كل شيء (٢) يتولد من صفوته الحيوان، ولهذا
 صار ما يتولد من الدود والفأر ٣ والثعابين والعقارب والزناير
 والذباب وغيرها بأرض مصر شيء كثير، فقد استبان أن المزاج الغالب
 على أرض مصر الحرارة والرطوبة الفضلية وأنها ذات أجزاء كثيرة ٥
 وأن هوائها وماءها ريان ٤ . وقعت في كتاب حيلة البره للجالينوس
 في دفع مضار الأبدان بمصر للشيخ الحكيم علي بن رضوان بن جعفر
 المصري فرايته ذكر فيه أن السكنى بمصر ينفى أن تؤثر [على -] غيرها لأن
 المضار التي تعرض للأبدان فيها يمكن زوالها لأن شرور ١ أنفس المصريين
 سرعة القبول للعلاج لأن شرورهم ٢ ضيفة غير مستحبة ٣ ، وجعل هذا ١٠
 [١٣٩: بن باه] الكتاب خمسة عشر بابا، الأول في صفة أرض مصر،
 الثاني في اختلاف هواء مصر وما يتولد فيها، الثالث في الأسباب المحيطة
 بالصحة والمرض بأرض مصر، الرابع في فصول السنة بأرض مصر،
 (١) هذا الجزء من هنا إلى «وروى ابن عباس» ساقط من بر، وأخذناه عن
 بن [بن ١٣٩: الف - ب] . (٢) الكلمة مطبوعة جزئيا في الأصل .
 (٣) في الأصل: النار - وهو خطأ قلبي أخطأنا فيه الفاء محل النون .
 (٤) كذا في الأصل، وتتلوها كلمة «يم» وهي زائدة وغير مفهومة فتجاوزنا
 عن ذكرها .
 (٥) ساقطة من الأصل، ولزومها واضح لاستقامة السياق .
 (٦) وربما كان المقصود بالكلمة المساوي بمعنى الأمراض .
 (٧) في الأصل: مستصنية، ووضح أنها خطأ قلبي .

الخامس في أن أكثر ما قاله ابن الجوزي الحكيم من أسباب مرض مصر ليس بصحيح، السادس في اختصاص المدينة اليوم بمصر وهوائها وجميع أحوالها، السابع في الوقوف على أسباب الوباء، الثامن في شرح أمر الأسباب، التاسع في حفظ الصحة ومداواة الأمراض، العاشر فيما ينبغي للطبيب أن يفعله في الأبدان بأرض مصر، الحادي عشر في تدبير الأبدان بمصر، الثاني عشر فيما يصلح رداة الهواء والماء والغذاء بأرض مصر، الرابع عشر في نسخ أدوية تستعمل في دفع المضار وحفظ الأبدان، الخامس عشر في أنه ينبغي أن تتحار السكنى بمصر وإن كانت تفعل في الأبدان رداة فان قيل إن أسعار مصر مرقعة فالجواب أن المكاسب فيها كثيرة وأيضا فان أرض مصر قليلة الثمن والحروب لسكون أنفسهم إلى من يسوسهم وضعفهم عن الجهاد - انتهى .

[في الخمسة الأنهار]

فلنذكر الآن ما قيل في الخمسة الأنهار . روى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنزل الله من الجنة خمسة أنهار، ١٥ سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل، والنيل أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة في أسفل درجة من درجاتها، فاستودعها الجبال وأجرأها في الأرض .

(١) يلاحظ أن الكاتب ذكر «الرابع عشر» بعد «الثاني عشر» مباشرة فهو إما أخطأ في التوالى أو سقط منه «الباب الثالث عشر» سهوا .
(٢) ها ينتهي القسم الذي أخذناه عن ابن لسقوطه من بر حيث يستأنف الكلام فيه بعد ذلك .

قال المسعودي^١ في تاريخه^٢: فأما سيحون^٣ فهو نهر أدنة^٤ ومخرجه من نحو ثلاثة أميال^٥ من مدينة^٦ ملطية^٧ ويجرى في بلاد الروم ويصب في البحر الرومي. وأما جيحون^٨ فهو نهر المصبية وهو من أعين تجري فيمر ببلاد الترمذ حتى يأتي بلاد خوارزم وغيرها ويستمر جريه إلى بلخ وهو يصب في البحر الرومي. وأما الفرات^٩ فبذوه^{١٠} من بلاد قالى قلا^{١١} من غور أرمينية ومصبه في دجلة. وأما الدجلة^{١٢} فانها تخرج من بلاد آمد من ديار بكر وينتهي^{١٣} جريانها^{١٤} إلى تكريت وسامرا وبنداد ومصبها في^{١٥} البطائح. قال بعضهم في ضوء الهلال في ماء دجلة: وكان دجلة حين ألقى^{١٦} ضوءه ما بين جسرهما الهلال الغارب

(١) انظر «سروج الذهب» ج ٢ ص ٣٥٨.

(٢-٢) ساقطة من بر، واردة في بن.

(٣) في هامش بر: سيحون.

(٤) في بن: اذنه.

(٥-٥) في بن: بمدينة.

(٦) وأيضا في هامش بر: جيحون.

(٧) وأيضا في هامش بر: الفرات.

(٨) في بر: فبداؤه، وفي بن: فبذوه.

(٩) في هامش بر: الدجلة.

(١٠) عن بن، وفي بر: تنتهي.

(١١) في بن: جريها.

(١٢) في بن: من.

(١٣) في بن: التا.

دَرَجُ الْكَتَبِينَ بِهٖ ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ وَمَدَادُ أَسْطُرِهِمْ تَبَرُّ ذَاتُهَا

وَلِبَعْضِهِمْ مَوَالِيَا فِي الْقَمَرِ وَقَدْ أُلْقِيَ ٢ جَرْمُهُ فِي الْمَاءِ :

لَمَّا بَدَأَ الْبَدْرُ شَبَّهَ النَّقْدَةَ النَّضْهَ ٣ كَسُوسَةَ عَطْرَةٍ فِي زُرْجَسَةِ خُضِّهِ

عَايَنَتْ أَنْوَارَهُ فِي الْمَاءِ مَنْقُضَهُ سَبِيلُ ٤ مِنَ الْتَبَرِ ٥ يَلْعَبُ فِي سَمَكِ فَضِّهِ

ه٥ وَأَمَّا النَّيْلُ ٦ فَانْ مَنَبَعُهُ مِنْ تَحْتِ جَبَلِ الْقَمَرِ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ عَيْنًا

فَتَجْتَمِعُ فِي بَحِيرَتَيْنِ كَالْبَطَانِحِ ٧ ، ثُمَّ تَنْشَعِبُ مِنْ كُلِّ بَطِيحَةٍ ثَلَاثَةُ أَهْجَارٍ

تَجْتَمِعُ مَعَ جَمِيعِهَا إِلَى بَطِيحَةٍ ، فَيُخْرَجُ مِنْ هَذِهِ الْبَطِيحَةِ نَيْلُ مِصْرَ .

ثُمَّ يَنْبَسُ بَيْنَ رَمَالٍ وَجِبَالٍ ، ثُمَّ يَخْتَرِقُ ٨ أَرْضَ السُّودَانِ عَمَا إِلَى بِلَادِ

الرَّيْحِ وَيَطُوفُ ٩ بِأَرْضِ النُّوبَةِ وَيَأْتِي إِلَى بِلَادِ أَسْوَانَ فَيَقْطَعُ النَّيْلُ الصَّعِيدَ

١٠ ثُمَّ يَمُرُّ بِسَطَاطِ مِصْرَ ثُمَّ ١١ بِأَرْضِ الْفَيُومِ .

[الْفَيُومُ]

١١ أَوْ قِيلَ : إِنَّ الْفَيُومَ ١٢ عَمَرُ فِي أَلْفِ يَوْمٍ ، فَلِذَلِكَ قِيلَ لَهُ الْفَيُومُ .

(١) فِي بَنٍ : دَرَجًا .

(٢) فِي بَنٍ : الْقَا .

(٣) فِي الْأَهْلِ بِرَ : النَّضْهَ . وَهُوَ خَطٌّ قَلْبِي صَحَّهِ مِنْ بَنٍ .

(٤-٥) فِي بَنٍ : شَمْسُ الْقَبْرِ .

(٥) فِي هَامِشٍ بِرَ : النَّيْلُ .

(٦) فِي بَنٍ : كَالْبَطَانِحِ .

(٧) فِي بَنٍ : يَخْتَرِقُ . (٨) فِي الْأَصْلِيِّ : وَيَطُوفُ .

(٩) سَاقِطَةٌ مِنْ بَنٍ .

(١٠) زَيْدٌ فِي بَنٍ : يَمُرُّ .

(١١) هَذَا الْقِسْمُ (الْفَيُومُ) بِكَامِلِهِ سَاقِطٌ مِنْ بَنٍ .

(١٢) فِي هَامِشٍ بِرَ أَيْضًا : الْفَيُومُ .

وقيل إن بنت فرعون كانت تنزل بلدا به يقال شانه ، و حجر اللاهون
من بناء يوسف الصديق عمره مالمحي . وكانت ملوك فارس تأتي إليه
لتبصره لأنه بنى بالحكمة . وللقيوم أخبار عجبة . من أراد الوقوف عليها
فليطالع كتاب المسالك والممالك لأبي عبد الله القرطبي .

[فروع النيل]

٥

نود^١ ، ثم يمر النيل هاجلا^٢ فينقسم خلجانا إلى أرض تيس
ودمياط وإلى الإسكندرية [١٩٤ : ألف] كل يصب في البحر الرومي
مذبح^٣ الإسكندرية الإسكندرية ، فيتصل بأسواقها ، ويمر في سككها
وقد بلطت مجاريه بالمرمر . ثم صار النيل الآن^٤ منهم على نحو يوم ،
وصار شريهم من الآبار المسربة التي يأتي إليها النيل من خليجها^٥ ، فتملا^٦
منها^٧ صهاريجها التي بديارها وشوارعها . والنيل يتشعب دون^٨ فسطاط
مصر شعبتين ، فتصير شعبة إلى وشيد بالقرب من الإسكندرية ، وتصير

(١) من هنا يستألف الكلام في بن .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) في بن : بتا .

(٤) في بن : الإسكندرية . مكررة بدل الإسكندر .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) عن بن ، وه من خليجها ساقطة من بن .

(٧) في الأصلين : فتمل .

(٨) في بن : مه .

شعبة أخرى إلى دمياط . و النيل إذا زاد غاضت له الأنهار و العيون
و الآبار ، و إذا ^١ غاض زادت ^٢ . و زادت ^٣ من غيظه و غيضا من
زيادته . و كل ^٤ نهر في الأرض مخالف للنيل لأنه يستقبل الشمس .
قال الشاعر :

٥ مصر ومصر شأنها عجب و نيلها تجري به الجنوب
و قال بعضهم يتشوق لأجابه :

ان رام غير حاكم أو ألم به او راق في سمعه من غيركم قيل
او بات يرعى ^٦ جمالا خير حسنكم فلا سقاء على حر الظما نيل
و اختلف الناس في الأنهار ^٧ فقالوا : إنها كالعروق في البدن ، و قال
١٠ آخرون : حق الماء أن يكون على سطح [الأرض] ^٨ . فلما اختلفت الأرض
فكان منها العالي ^٩ و الهابط ، انحاز الماء الى أعماق الأرض ، فلما انحصرت

(١) في بن : فاذا .

(٢) في بر : زاد . و صحتها من بن .

(٣) في بن : تزيدها .

(٤) في بن . كل .

(٥) في بن [١٤٠ : الف] و شأنها .

(٦) في بر : يرعا .

(٧) في هامش بر : الأنهار .

(٨) ساقطة من الأصولين ، و لزومها واضح من السياق .

(٩) في بر : العال . و صحتها من بن .

في الأعماق طلبت النفس بضغط الأرض من أسفل، فتنبثق حينئذ عيوننا وأنهارا .

[فيضان النيل و المقياس]

وليس في الأرض نهر يزيد و ينقص بترتيب غير النيل ' . وإذا أردت أن ' تلم عيار النيل فاحسب من يوم عيد ميكايل وهو ثاني عشر يؤوه ٢ كم يكون في الشهر العربي من يوم وزد فوقه تسعين يوما ، وخذ سدس الجميع ' يكون ذلك ' عدة أذرع النيل ' في تلك السنة . وفي سنة ثلاث و سبعين و سبعمائة فودي على النيل بمصر ستة أصابع من ذراع العشرين ، ثم سكت المتأدى بعد ذلك عن ذكر الزيادة ، وصار يقول كل يوم : يا قوم اتقوا الله من الجبل الى الجبل ' . وقيل ١٠ إن في بعض السنين زاد النيل عن ذراع العشرين فهدم بتلك الزيادة

(١) في هامش بر : زيادة النيل .

(٢) زيد في بن : ان .

(٣) في بن : يؤوه .

(٤) في هامش بر : مطلب ، قاعدة يعلم منها زيادة النيل كل سنة و مقدار أذرع .

(٥) في بن : تلك . و قد زيد عليها هنا ما يلي : الأيام التي هي سدس العدد المذكور .

(٦) في بن من .

(٧) زيد في بن : ولا ينطبق بزيادة أصلا .

العظيمة رباعا وديارا بمصر والقاهرة^١ والبلاد^٢.

حدثني رجل من أهل إيار قال: كان بها رجل عنده في تلك السنة من القمح ثلاث مائة^٣ أرديا مخزونا^٤ بداره، فسل أن يبيعها للناس حين غلاء الحب^٥، فلم يرض وطلب^٦ الزيادة^٧ في السعر الواقع^٨. هـ فلما زاد^٩ النيل احتاط الماء^{١٠} بتلك الدار^{١١} ودخلها، فأنحل طوبها اللبن^{١٢}، فوقعت وأخذ الماء القمح الذي بها ومضى به^{١٣}، فلم يتفزع صاحبه منه بشئ قدح واحد مع سقوط داره^{١٤}. و كان المسكين طلب الزيادة فوقع في كفه الخسران، فالشفقة على خلق الله تعظيما لأمر الله فبعدم شفقتة لم ينظر الله له برحمته وأرام فيه عبرته^{١٥}.

(١) زيد في بن: التي فضه النيل.

(٢) ساقطة من بن.

(٣-٤) في بن: أردب مخزونة.

(٤) زيد في بن: قيل واه النيل ستة عشر ذراعا.

(٥) زيد في بن: فيها.

(٦-٧) في بن: عن ذلك السعر التالي.

(٧) عن بن، وفي بر: على.

(٨) عن بن، وكلمة «الماء» ساقطة من بر.

(٩) زيد في بن: التي فيها القمح المخزون.

(١٠) زيد في بن: بالماء.

(١١) زيد في بن: عائما على وجهه.

(١٢-١٣) واردة في بن، وساقطة من بر.

قال المسعودى فى كتاب 'مروج الذهب ومعادن الجوهر' ،
 إن النيل [١٩٤ : ب] فى خلافة^٢ عمر بن عبد العزيز وصل عدة
 أذرع فى عمود المقياس بمصر ثمانية عشر ذراعا ، فتعجب الناس من
 تلك الزيادة العظيمة^٣ . وهذا يدل على أنه كان مقصرا عن هذه الزيادة
 فى الستين الماضية حتى حصل التعجب منه وأُرْخ^٤ . وفى سنة خمس
 وسبعين وسبعمئة قصر النيل عن ذراع ستة عشر لحصل بالديار المصرية
 فى تلك السنة^٥ غلاء حتى وصل^٦ القمح بالإسكندرية^٧ ثلاثمائة سودا
 بدراهمها والتخيز كل رطل جروى بدرهم ونصف وثمن أسود بدراهمها
 والرطل الجروى زنة ثلثمائة واثني عشر درهما^٨ ، وازداد سعر الحبوب
 كلها وحصل للناس الضرر الكبير بذلك ، وكذلك سائر بلاد مصر
 حصل بها الغلاء ، وحصل لحزّان القمح فى تلك السنة فوائد كثيرة
 فيه . ولم يزرع بأرض مصر إلا الأماكن المنخفضة ، والملاوى التى

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) زيد فى بن : أمير المؤمنين .

(٣) الخليفة الأموى وحكمه ٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧٢٠ م .

(٤) زيد فى بن : حتى كتبت فى التواريخ .

(٥) كذا فى بن ، وهى فى بر : وورخ .

(٦) زيد فى بن : والسنة التى بعدها .

(٧) فى بن : وصل ثمن .

(٨-٨) كذا فى بن ، والعبارة أوفى من بر حيث نصها : بالورق مائة وستين

الأردب والتخيز بدرهم أسود الرطل الجروى .

لم يركبها الماء شرقت^١ كلها وجاءت الصماليك ووقع فيهم الفناء فاتوا
جوعاً إلى أن تداركهم الله عزّ وجلّ برحمته في ستة سبيع وسبعين وسبعماية
بلغ النيل فيها^٢ ثمانية عشر ذراعاً فانحط السحر كثيراً^٣ - انتهى .

[النهر في اللغة والأدب]

٥ ٣ نود إلى ما قبل في الأنهار^٤ . النهر مفرد والجمع نُهرٌ وأنهار .
ويقال أن النهار^٥ يجمع على النُهر ، واستهر النهر إذا أخذ مجراه ،
وأنهرت الدم أسلته ، وأنهر الماء جرى ، ونُهر نَهر^٦ كثير الماء^٧ .
قال الشاعر .

أقامت به فابنت خيمة على قصب وفراتٍ نُهر

١٠ ونَهَرْتُ الرجل وأنهرته مثل زجرته ، والنهار ما بين طلوع الفجر
إلى غروب الشمس ، ورجل نَهر صاحب نهار . قال الشاعر .
وقد لبس النهر الدروع توقياً عذابة رى القطر من سحبه نبلا
ولبعضهم فيه^٨ .

والنهر سلسلة النسيم أظنه لم يستطيع^٩ الرقص صار يصفق

(١-١) [وردت العبارة في بن ، وسقطت من بر .

(٢) في الأصل : فيه .

(٣-٣) في بن : فلنذكر الآن الأنهار وما قيل فيها .

(٤) في بن : أنهار .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) كذا في الأصلين ، وربما كان صوابها : ما يستطيع .

و لبعضهم :

والنهر قد رقت غلالة صيفه وعليه من ذهب الأصيل طراز
تترقق الأمواج فيه كأنما عكن الحصور نعيمها الإعجاز
وما قيل في النهر ويوم الغيم :

والجو بين تغيم وتغيم وتبسم وتبسم وتستر
والنهر بين تفرج وتموج وتلجج وتلجج وتكسر
و لبعضهم في غدير ماء :

وفي صفو وقراق الغدير إذا حكي وقد جمده الريح ٣ صفحة مبرد
ونهر النيل يتكدر في الزيادة ويصفو في النقص . قال الشاعر :

أما ترى النيل يصفو في نقصه وما تكدر إلا في الزادات ١٠
وقال الآخر في مناه :

والبحر كالماء يبدى لي ضمائر مع الصفاء ويخفيها مع الكدر
أى إذا صافاك خليلك أظهر ما عنده ، وإذا دجاك أخفاه كالماء
إذا صفا رؤى ما تحته وإذا تكدر خفي .

(١-١) البيتان واردان في بن ، وساططان من بر .

(٢) في بن : رفرق .

(٣) في بر : النيل . و الأصح جاء في بن كما في النص .

(٤) في بن : نهر - يسقط واو العطف .

(٥) في بن : قصه .

(٦) في بن : دجاك .

حكى أن أبا الطيب المتنبى سمع عند انصرافه من صلاة الجمعة أعمى

خارج باب الجامع يقول : واضيعة الأدب ! هذا المتنبى يقول :

و من نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد
فقال المتنبى لبعض أصحابه : سلّه عن ذلك و قل له فكيف ! كان يقول .

قال ٢ : كان يقول : ما من مداجاته بد ، لأن الصفاء لا يكون إلا مع
الصداقة ، و المداجاة لا تكون إلا مع العداوة ، فالعدو أبدا لا يضاف ٣
بل ليسلم بمداجاته من شره . قال ٤ بعضهم [١٩٥ : الف] في معناه ٥ :
إنه الولد المشوم ٦ ، لأنه ما منه ٧ بد ، فلا يكون خلاص الوالد منه
إلا بموته عنه .

١ وقد جاء في الخبر ، تقول المرأة لزوجها : إن لم تطعنني ٨
وإلا طلقني ٩ ، ويقول العبد لسيده : إن لم تطعنني و إلا بنى أو اعتقى ،
و يقول الولد لو الده : إلى من تركني ؟ و يبنى لكل واحد أن يكثر من
حمد الله و شكره في السراء و الضراء ، ففي ذلك صلاحه إذا حمده و شكره ١٠ .

(١) في بن : وكيف .

(٢) في بن : فله قال .

(٣) في الأصلين : بصيافا .

(٤-٤) في بن : بعض الفضلاء .

(٥) في بن : المشوم .

(٦) في بن : من ملازمته .

(٧) في بن : فقد .

(٨) في بن : تطني .

(٩) مطموسة في بن .

(١٠) في بن : فإن من شكر البارئ عز وجل زاده من فضله و كرمه لقوله =

قال داود عليه السلام: يا رب! كيف أشكر نعمك؟ فأوحى الله إليه:
إذا علمت أن النعم التي عندك هي مني، فقد شكرتني. كتب عدى بن
أرطاة إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لما حضر لأهل البصرة 'نهر
عدى: يا أمير المؤمنين إني حفرت لأهل البصرة 'نهرًا عذَّب لهم مشربه،
واحزنت به أموالهم، فلم أر لهم على ذلك شكرًا، فإن رأى أمير المؤمنين
أن يأذن لي فأقسم عليهم ما اتفقته على النهر. فكتب إليه عمر: إني
لأحسب أهل البصرة حين حفرت لهم هذا النهر خلوا من أحد^٥ قال
الحمد لله، وأن الله عز و حل رضى به^٢ شكرًا من أهل حنته^٦ فارض
بها شكرًا من نهرك، والسلام^٧.

قال بعض العلماء^٨: من اكرى على متاع دواب إلى موضع، فاعترضه^٩
نهر في الطريق لا يجاز إلا على المركب قد عرف ذلك كالنيل^{١٠} وشبهه
تعالى "ولئن شكرتم لأزيدنكم" ومن شكراه تعالى وجب عليه شكر ثان اذ
ولله الشكر. وهذا شكر الشكر.

(١-١) ساقطة من بن.

(٢) في بن رجل.

(٣-٣) في بن: تعالى قد.

(٤) في بن: بها.

(٥) زيد في بن: حين قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن.

(٦) زيد في بن: انتهى. نورد، [١٤١: الف].

(٧) في هامش بر: مسألة قهية.

(٨) في بن: كالنهر.

أن جواز المتاع منه على صاحبها، وإن كان يُخاض في المخاض فاعترضه حملان لم يعلموا به فحمل المتاع على صاحب الدواب . وتلك جائحة نزلت به ، وكذلك إن كان^١ النهر شتوياً يحمل الأمطار إلا أن يكون وقت الكراه^٢ قد علموا جريه ، وعلى ذلك دخلوا ، فيكون كالنهر الدائم .

وقد ذكر الجاحظ أن نهر مهران السند من نيل مصر ، واستدل على ذلك بوجود التماسيح فيه . ذكر ذلك في كتابه المترجم لكتاب^٣ الأمصار و عجائب البلدان . انتهى .

[السمك المعروف بالاولال]

١٠ قال المسعودي^٤ : وبحر الزنج فيه السمك المعروف بالأوال^٥ ، طول السمكة نحو^٦ من أربع مائة ذراع إلى خمس^٧ مائة ذراع بالذراع^٨ العمري ، وهو ذراع أهل ذلك^٩ البحر . والأغلب من هذا السمك طوله

(١) ساقطة من بر ، وواردة في بن .

(٢) في بن : الكرى .

(٣) في بن : بكتاب .

(٤-٤) ساقطة من بر ، وواردة في بن .

(٥) في بن : بالاولال .

(٦) في الأصول : نحو .

(٧) عن بن ، وفي بر : الخمس .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) في بن : ذا .

مائة ذراع . ' وربما يمد البحر فيظهر طرفا من جناحيه ، فيكون كالقلع العظيم وهو الشراع ' . وربما يظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء ، فيذهب الماء في الجو أكثر من عم السهم . والمراكب تفرع منه بالليل والنهار ، ويضرب له بالحشب والدياباب لينفر من ذلك . ويحشر بذنبه وأجنحته السمك إلى فيه ، وقد فرقاه ، وذلك يهوى إلى هـ جوفه جريا ، فإذا نَفَتْ هذه السمكة بعث الله^٢ إليها سمكة نحو الذراع تسمى اللشيك ، فتلتصق بأصل أذنهما^٣ فلا يكون لها منه خلاص ، فتطلب قعور البحار وتضرب نفسها حتى [١٩٥: ب] تموت ، فتطفو فوق الماء ، فتكون كالجلبل العظيم . وربما تلتصق هذه السمكة المعروفة باللشيك بالركب ، فلا يدنو^٤ الآوال مع عظمها من المركب ، وتهرب ١٠ إذا رأت الصغيرة منها إذ كانت آفة عليها وقائلة لها . قال الشاعر :

لسكل شيء آفة من جنسه حتى الحديد سطا عليه المبرد

[التمساح وآفته]

وكذلك للتمساح^٥ آفة من دوية تكون في ساحل النيل وجزأره ،

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) ريد في بن : تعالى .

(٣) في بن : ذنبا .

(٤) في الأصليين : تطفوا .

(٥) في الأصليين : تدنوا .

(٦) في هامش بر : التمساح .

وهو أن التمساح لا يُدبر له وما يكون في بطنه يتكون دودا ، فإذا أذاه ذلك خرج إلى البر فاستلقى على قفاه فأغرا فاه ، فينقض طير الماء كالطيئوى والحضارى وغيرها من أنواع الطيور ، وقد اعتادوا منه ذلك ، فأكل ما يظهر في جوفه من ذلك الدود العظيم ، وتكون الدويبة قد كنت في الرمل تراعيه ، فثب إلى حلقه وتلج جوفه ، فيخط بنفسه الأرض ويطلب ٣ قعر النيل . ثم تخرق جوفه وتخرج ٤ ، وربما قتل نفسه قبل أن تخرج ، فتخرج بعد موته من جوفه . وهذه الدويبة تكون من ذراع على صورة ابن عرس ذات قوائم شتى ومخالب . وفي بحر الزنج أنواع من السمك ذو صور شتى .

[أنهار الأندلس]

١٠

وبالأندلس من الأنهار المنصة في البحر الرومى والبحر المحيط سبعة أنهار ١ ، منها نهر قرطبة وهو المعروف بنهر يطى ٢ ، ومساقفه ثلاثمائة ميل وعشرة أميال . نهر أنه ٣ ونخرجه بشرقى الأندلس ومصبه

(١) في بر : فاستلقا . وهى بالياء المقصورة فى بن .

(٢) زيد فى بن : تلك .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) زيد فى بن : منه .

(٥) فى بن : أنهر .

(٦) فى الأصول : نيطى ، وصححه « يطى من الاسم القديم Baetis باللاتينية

أو Batis باليونانية واسمه الآن Guadalquivir والعربية « الوادى الكبير » .

(٧) فى الأصول : أبه . وصححه « وادى أبه » وهو Gadiana .

في البحر المحيط باكشونيه^١ وعدة أمياله ثلاثمائة ميل وعشرون ميلا .
نهر تاجه ومخرجه من جبال شرق الأندلس بناحية تطيله^٢ ومصبه في
البحر المحيط وعدة أمياله ستائة ميل وعشرة أميال . نهر دويره^٣
ومخرجه من جبال البريون^٤ ومصبه في البحر المحيط بجليقية^٥ بين قلرية^٦
وبرطفال^٧ وعدة أمياله خمسمائة ميل وثمانون ميلا . نهر ديويه^٨ .
وهو وادي أرطة ومخرجه من جبال النش من بلاد إفريقية وعدة أمياله
تسمائة ميل وعشرون ميلا ، ويقال : إن هذا النهر أكبر أنهار الدنيا

(١) اكشونيه في التاريخ القديم هي Oesonoba وهي الآن Estombar في البرتغال .

(٢) في بن : نسطيه ، وقد يقصد بها طليطله وهي تقع على ذلك النهر داخل
الأندلس .

(٣) نهر Douro أو Duero قديما Durus .

(٤) في بن [١٤١ : الف] : البرنونه ، وهي غالبا جبال Sierra deurbion في منبع
نهر Duero .

(٥) مقاطعة Galicia - انظر حاشية سابقة ، وهي تمتد من شمال غربي الأندلس -
إلى البرتغال والمحيط .

(٦) لا يمكن أن تكون Almeria لأنها واقعة في شرق الأندلس ولا تعرف بلدة
بهذا الاسم عند مصب النهر في البرتغال .

(٧) المقصود بها طليط Portugal .

(٨) في بن : ديويه - لم نستطع تحقيق هذا الاسم بين أنهار الأندلس ، والغالب
أن المؤلف يقصد نهر الدانوب باعتباره من أكبر أنهار الدنيا ، ومنبعه طليط
في أواسط أوروبا بما يمكن تسميته في ذلك الوقت بلاد إفريقية .

وأكثرها ماء . نهر إبره^١ ومخرجه من جبل البينثو^٢ فوق ارنيط^٣
ومصبه في البحر الشامي^٤ القلي بناحية طرطوشه . وعدد أمياله مائتا
ميل وعشرة أميال . نهر مينوه ومخرجه من جبال انثية ومصبه في
البحر المحيط بجليقية^٥ وعدد أمياله ثلاثمائة ميل وعشرون ميلا -
ه انتهى .

[الماء العذب والملح]

^٨ قال المؤلف غفر الله له وللسلين أجمعين ، وسأذكر^٨ الآن ما قيل

(١) وهو نهر Ebro .

(٢) في بن [١٤١ : ب] : ينو- ويغلب أن تكون جبال Pena Labra وهي
من الجبال المعروفة باسم Cantabrian Mts .

(٣) ربما كانت مدينة Arnedo بمقاطعة Lagrono وهي واقعة على أحد فروع
نهر الأبرو واسمه Cidacos .

(٤) المقصود القسم الغربي من البحر الأبيض المتوسط أي الروم آكلذ وشره
ينتهي إلى بلاد الشام حيث يسمى باسمها .

(٥) مدينة Tortosa قديما Dertosa بمقاطعة Tarragona في شمال شرق
الأندلس .

(٦) المنطقة المعروفة باسم Galicia في شمال غربي الأندلس واسمها بالتاريخ
القديم Gallaecia .

(٧) واردة في بن وساقطة من بر .

(٨-٨) في بن : فلنذكر .

في الماء العذب والمالح أيهما أثقل ، ولما من أخبار النيل إن شاء الله تعالى . قالوا : إن الماء المالح أثقل من الماء العذب ، ^٢ والدليل على ذلك أن الماء المالح كدر غليظ ^٢ ، والماء العذب صاف رقيق [١٩٦ : الف] وأنه إن أخذ جزء من الشمع يعمل ^٣ منه إناء ، ثم سُدَّ رأسه وصير في ماء مالح من البحر ، وجد ذلك الماء الذي وصل إلى داخل الإناء ^٥ عذبا في الطعم خفيفا في الوزن ، ووجد الملح المحيط به على خلاف ذلك قد ازدادت مرارته واشتدت ملوحية ^٤ . وكل ماء جار فهو نير ^٥ وحيث ينبع الماء فهو عين ، وحيث يكون معظم الماء فهو بحر .

[ما قيل في بحر النيل و أصوله]

و أما ^٢ ما قيل في بحر ^٢ النيل ، فذكر أن عمران بن جابر صعد ^{١٠} فيه فأدرك غايته ، وعبّر البحر على ظهر دابة تعلق بشعرها ، وهي دابة البحر منها إلى أن ^١ يسير ^٢ إلى قوائمها تحاذي قرص الشمس من مبدأ ^٣

(١) زيد في بن : كدر غليظ .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) في بن : فعل .

(٤) في بن : ملوحيته .

(٥) في بن : نهر .

(٦) عن بن ، والكلمة ساقطة من بر .

(٧) كذا في بن ، وفي بر : مبداه .

طلوعها إلى حال^١ غروبها فافرة فاما نحوها لتبتلع عند قسها الشمس بزعمها . وإته^٢ عبر على ما ذكرنا من تعلقه بشعرها عند دوراتها ، فرأى النيل ينحدر في^٣ قصور الذهب من الجنة ، وأعطاه الملك العنقود ، وأنه أتى الرجل الذي رآه في ذهابه ، ووصف له^٤ كيف^٥ يفعل في وصوله إلى مبدأ^٥ النيل فوجده ميتا وخبر إبليس معه والعنقود العنب وغير ذلك من خرافات حشوية أصحاب الحديث ، وما روى أن قبة من الذهب وسط البحر^٦ الأخضر على أربعة^٦ أو كان من الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق ، ينحدر^٧ من كل ركن من هذه الأركان ماء عظيم من رشحه ، فينقسم ذلك الماء^٨ إلى جهات أربع في ذلك البحر الأخضر غير عخالط ولا ماع فيه ، ثم ينتهي^٩ إلى جهات من البر من سواحل ذلك البحر ، أحدها النيل والثاني سيحان والثالث جيحان والرابع الفرات . وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على^{١٠} النيل

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : لانه .

(٣) في بن : من .

(٤-٥) في بن : كيف له .

(٥) كذا في بن ، وفي بر : مبده .

(٦-٧) في بن : الأربعة على أربعة .

(٧) في بن : وينحدر .

(٨) في بن : يفتى .

١ بالسوانح والسواق، فالسوانح تسقى بها الأراضي بالترع وما أشبهها
والسواق تسقى بها أحواض البساتين والأقصاب الحلوة وما شابهها، فيسمع
لها في دوراتها حنيناً وأتينا وطرباً وشجوناً، وقد قال شرف بن أسد
الماجن المصري لغزاً ٢ في ساقية:

- وما شيء طويل الرأس ضخم له رأس بيكرة وحزّه ٥
إذا ما جاء جراً سدّ فاه ويسكب مائه في كل لكره
وكم غنّاجة ركزت عليه ورافق ركها في [البال] ركزه
لها عقد من المرجان قان بسلك أحكم النساج طرزه
فيخرقها إذا ما جاز فيها وتبكي بالدموع المستزه
ترخم غنّجها طوراً وطوراً ترققه بأخماس وفزه ١٠
تراها في تشوّقها إليه تدلّ لقربه من بعد عزّه
تصلب فوته الساقات حتى تسكنه فلا يستطيع رهزه
وبينهما شويخ ذو قرون عليه إن مشى خضر وبزه
يغمض عينه عن كل شيء ويظهر فيها عين المعزه
ترى في بيته "جمعا كثيراً" يناكهم بأواعد وهزه ١٥

(١) هذا القسم ساقط من بر، ووارد في بن [١٤١: ألف - ١٤٢: ب]

أخذناه في النص لطرافته وربما كان تجاوز ناسخ برعته واجبا لطبيعة التقزفيه.

(٢) في الأصل: لترع.

(٣) الكلمة مطبوعة في الأصل.

(٤) كذا في الأصل، وينكسر وزن البيت معها.

(٥-٥) في الأصل: جمع كثير.

فيخرج ذا ويدخله ١ فواى ومضى ثم بعض القوم جرزه
[بن ١٤٧: الف] فإدام الشويخ النحس باقى فأحوال الجماعة مستلره
ولان أسد الغاز كثيرة من هذا النوع فساخه الله تعالى .

[عود لفيضان النيل و المقياس]

٥ فلندكر الآن ابتداء النيل بالنقص و الزيادة ٢، و ابتداءه بالتفنى
و الزيادة ٣ بقية أيب و مسرى ، فإذا كان الماء زائداً زاد ٤ شهر توت
كله إلى انقضاءه ٥ . فإذا انتهت الزيادة إلى ذراع ستة عشر فقيه تمام
خراج السلطان و خصيب الناس الكافى ٦ ، و هو ضار بالبهائم لعدم المراعى
و الكلا ٧ . ثم الزيادات كلها ٨ النافعة للبلد كله ٩ سبع عشرة ذراعاً ، و فى
١٠ ذلك كفافها و رى جميع أرضها ، وإذا زاد على ١١ السبع عشرة الذراع ١٢
و بلغ ١٣ ثمانى عشرة ١٤ ذراعاً كانت ١٥ العاقبة فى انصرافه حدوث وباء بمصر .

- (١) فى الأصل : يدخل . و يصيح الكلمة يستقيم الوزن .
- (٢) فى النص « با » و بالهامش « يساعه » و قد أديجناهما فى « فساعه » و طاهر
أن الكلمة هى المقصود .
- (٣-٢) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .
- (٤-٤) فى بن : ابتداء النيل بالزيادة .
- (٥-٥) فى بن : إلى آخر شهر توت .
- (٦-٦) الجملة ساقطة من النص فى بر ، و وردت مضادة بما مشه .
- (٧-٧) فى بن : العامة النافعة لجميع البلاد .
- (٨-٨) فى بن : السبعة عشر ذراعاً .
- (٩-٩) فى بن : ثمانية عشر . (١) فى الأصح : كان .

والذراع من جملة أذرع بالعمود الرخام الذي هو قائم ١ في وسط ١
فسقية المقياس ، وكل ذراع منقوش عليه أصابع معدودة عدتها أربعة
وعشرون إصبعاً معرض الذراع القائم يقاس بتلك الأصابع ٢ ، فإذا بلغ
المائة ستة عشر ذراعاً ذهب الغلاء عن الناس وتباشروا ٣ بالرغاء وأخرجت
«خزان القمح» القمح للبيع ، وإذا أقصر* عن ذراع ستة عشر ذراعاً ٥
أمسك خزان القمح أيديهم على عتازتهم* واستمعوا من يمه* يطلبون
فيه السعر الكثير* . قال الشاعر في بلوغ النيل ستة عشر ذراعاً فصاعداً
على لسان حال النيل ، قال وقوله ملا* مسامي :

أذكر لمن طلب الغلا عمّ البلاد مناصي

١٠ وعيونهم بعد الوفا قلعتها بأصابي

أي عيون «خزان القمح» الذين يطلبون فيه* [١٩٦: ب] السعر قلعتها*

(١-١) في بن : توسط .

(٢) زيد في بن : المحفورة فيه .

(٣) في بن : واستبشروا .

(٤-٤) في بن : التلوان .

(٥) في بن : قصر .

(٦) زيد في بن : ومطاميرهم .

(٧-٧) في بن : يطلبوا فيه الغلاء .

(٨) زيد في بن : لكل .

(٩) زيد في بن : زيادة .

(١٠) في الأصلين : قلها .

أصابع الوفاء بتغليق الستة عشر ذراعا ٢ من أذرع عمود المقياس ،
فتنفس ٣ حيثئذ الفقراء ٤ وتعيش عيالهم ٥ بالرخاء .

[في القناعة]

قال بعض الصالحين : لو لم يكن من فضيلة الفقير إلا إرادته ٥ الرخاء
لناس ليجد بينهم ما يتبلغ به هو وعياله ، لكأن هذه الفضيلة والنية الحسنة ٦
كافية ، لأن الشفقة على خلق الله تعظيم ٧ لأمر الله . قال العتيبي : سمعت أعرابيا
كنا نختلف إليه نسمع من وعظه ، فكان إذا فرغ من خطبته قبض على
لحيته وقال : مسكين ابن آدم مكتوم اللسان ، مستور الأجل ، أسير الجوع ،
صريح الشبع ، ثم ينشد :

١٠ يا ميتا في كل يوم بعضه سدّ فيوشك أن تموت جميعا

فأهل القناعة رضوا بما قسم الله ٨ لهم ، فاستراحوا من التعب والنصب

(١) ساقطة من بر ، وورادة في بن .

(٢) في بن : بأصابع .

(٣) في بن : فتتنفس .

(٤ - ٥) في بن : ويفرحون هم وعيالهم .

(٥) في بن : اختياره .

(٦) « والنية الحسنة » عن بن ، وهي ساقطة بر .

(٧) في الأصلين : تعظيما .

(٨) زيد في بن : تعالى .

والمهموم والغموم . وفيه در القائل حيث يقول :

« إذا مضيت بميسور من القوت بقيت في التأس حرا غير بمقوت
ياقوت يومي إذا ما فر خلفك لي فليس آسى على در و ياقوت »
وقال ٢ بعض الصابرين ٢ :

نواب الدهر أدبني وإما يوعظ الأريب ه
قد ذقت حلوا وذقت مرا كذلك عيش الفقى ضروب
ما مرّ يؤس ولا نصيب إلا ولي فيها ٣ نصيب

(١-١) ورد مكان هذين البيتين ما يلي في بن [١٤٢ : الف] :

رضيت بما قسم الله لي وغرقت أمري على خالي
كما أحسن الله نبياً مضي كذلك يحسن نبياً بقي
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

ألا فاصبر على الحدث الجليل وداو جواك بالصبر الجليل
ولا تحزن فإن أعسرت يوماً فقد أسرت في الدهر الطويل
فلا تظن بربك ظن سوء فإن الله أولي بالجميل
فإن العزيت به يسار وتول الله أصدق كل قبل
قلو أن العقول تجر رزقا لكان الرزق عند ذوي العقول
فكم من مؤمن قد جاع يوماً سيروي من صهيقي السليل

كان أبو موسى الأشعري في اليوم الشديد الحر ويقول (الواو زائمة كذا في النص) : إن الله تعالى قضى على نفسه أن من عطش نفسه في يوم حار كان حقا على الله أن يرويه يوم القيمة .

(٢-٢) في بن : بعضهم .

(٣) في بن : فيها .

ولقاسم القصاب الجبلى:

لا تجزعن من الخطوب واصبر على نوب التوائب
ظربما ورد السرو ربحيت تنظر المصائب
قالهر قدما لم يزل يندى الغريب من العجائب

هـ فالعاقل من يعبر الدنيا ولم يعمرها ويتزود منها للآخرة بزد التقوى،

فان الليل والنهار يقرضان في عمر الإنسان . قال الشاعر:

يا عامر الدنيا تعمر منزلا لم يبق فيه مع المنية ساكن
الموت شيء أنت تعلم أنه حق وأنت تذكره مهان^٢
إن المنية لا توامر من أنت في نفسه يوما ولا تستأذن
واعلم بأنك^٣ لا أبالك^٣ في الذي أصبحت تجمعه لغيرك عازن
١٠
أو قال بعضهم:

خذ ترائك ما استطعت فانما شركاكك الأيام والوراث^٤
المال مال المرء ما بلغت به الشهوات واندفعت^٥ به الأحداث
ما كان منه فاضلا عن قوته فليوقن بأنه ميراث

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) في بن [١٤٣: ب]: وتذكره جهاون .

(٣-٣) في الأصل بر: لا بالك، ومحتها واضحة من بن .

(٤) هذا القسم بقصيدته ساقط من بر، ووارد في بن .

(٥) في الأصل: الوارث . ومحتها: الوراث . لاستقامة الوزن بها .

(٦) في الأصل: ودفعت . ومحتها كما ذكرنا لاستقامة الوزن بها .

مالى إلى الدنيا الغرور بحاجة فليخر ساخر كيدها النفاق
 طلقها ألفا لأحسم دامها وطلاق من عزم الطلاق ثلاث
 أم المصائب لا تزال تروعا منها ذكور نواب وأناث
 أنى لا يجب من أناس أمسكوا بملاق الدنيا وهن رثا
 كنزوا التدور وأعلقوا شهواتهم فالأرض تبع والبطلون غرا ٥
 أترام لم يعلموا أن التقي هو زادنا وديارنا الاجداث
 قال قائد بن سميع: سمعت أعرايا بمكة وقد أبرز زندا كحلة كأن جلدنا
 جلد ضب وهو يقول: عصيتك وأملود الشيعة يستمر ٢، وأطعتك
 وقوس الكبر قد انحنى، نزل المشيب فورد، وبان الشباب قنهب وقهقهة
 الايضاض ساميا لتقضى أياي، وضك أشرا (١) ٢ لتقريب حامى، فبا من ١٠
 يسور الأحكام يوايل الرباب، وأحيى مظلوم موات الربا بجود السحاب،
 لا تقضى بدق (١) الدنيا ولا تورذن موارد الاشقياء، فلست أصل سيا
 إلا بموتك يارب العالمين ٦ .

قال القمعاق الضبى: ذكر لى أن أعرايا من بنى زيد مائة انقطع
 إلى ربه، فخرحت فى طلبه، فوقمت عليه فى نصف نهار وقد استظل ١٥

(١) الكلمة غير واضحة تمام الوضوح لانطماس بعضها .

(٢) فى بن: معتصر .

(٣) كذا فى بر، وهى فى بن: أثرا .

(٤) فى بن: واحا . (٥) كذا فى الأصلين .

(٦) زيد فى بن: فانظر يا هذا إلى نصيحة هذا الأعرابى فى منطقه .

بني عساه ١ وهو يقول : الأرض بساطي و السماء سقني ، و أنا أسير
 بين يدي عدوي ، يا مدق فلاة الفلاة برهام ٢ متخرق الصفاة ، أجرتني
 من لُهب شواظ احتدام ٣ الحريق ، و هني على أخذود مدرجة [١٩٧ :
 الف] الطريق . قال فسلمت عليه ، فردّ عليّ السلام و قال : من أنت ؟
 ه فقلت : رجل قصدك أراد إناسك . فآقر مبتسما و قال : ما أصنع
 بأنيسك و قاصص الأرواح و سائق الأرزاق معي ؟ يحفظ الواحد منهما
 عليّ ٤ أجل إلى انقضاء مدته ، و يأتي الآخر برزقي عند بلوغ غايته ؟
 فقلت : عسى الله أن ينفعني بعلم من عندك . فقال : و لم ؟ فقلت :
 ضَعُفَ يقيني و قلّ صبري . فقال : ادن مني . فدنوت فجعل يضرب
 ١٠ يده صدري و يقول :

غلبتك قس غير متعظه قس مفرقة بكل عظه
 قس مُدبرة مصرقة مطلوبة في النوم و اليقظه
 الله حسبك من سواء كني راعي الرعاة و حافظ الحفظه

(١) في بن : عضاة .

(٢) في بن : و برهام .

(٣) في بن : احكام .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٦) كذا في الأصلين ، و سائر أن تكون الكلمة : مفرغة ، و هي في بن : مفرقة .

قال: فمرت ومرت برهة، ثم قصدت موضعه فلم أجد أثره .
اعلم^١ يا أخى أن الدنيا دار زوال وارتحال، فالقاتل^٢ يزهد فيها
على كل حال، لأنه لا بد له من الانتقال، لم يتخلد فيها أحد لكثرة ماله،
ولا نحوه ورجاله، بل يموت كما يموت الفقير، ويحمل على نفس السرير،
ويتساوى في الثرى هو والعبد الحقير .

[حكاية جعفر البرمكي والرشيد]

حكى أنه لما هم جعفر بن يحيى البرمكى التنفيع من الرشيد عند حجه،
ووصلا إلى مدينة الحيرة، ركب جعفر إلى كنيسة بها بعض الامر،
فوجد فيها حجرا عليه كتابة منقوشة لا تفهم، فأحضر ترجمة الخط وقال
في نفسه: قد جعلت ما فيه فالأ^٣ لما أعانه من الرشيد وأرجوه، فقرأ^{١٠}
فأذا فيه:

إن بنى المنذر عام انقضوا بحيث شاد البيعة الراهب
أضخوا ولا يزجرهم راغب يوما ولا يرهبهم راهب
تنفح بالمسك دفارهم والعنبر الورد له قاطب
فأصبحوا أكلا لدود الثرى^٢ واقطع المطلوب والطالب^{١٥}
لحزن جعفر لذلك . وكانت تجري على لسانه تلك الآيات مع الأحيان
ويقول: ذهب واقه أمرنا . فلما قتل هارون الرشيد جعفر وأوقع القتل

(١) في بن: وأعلم

(٢) في بن: فالزاهد .

(٣) في بن [١٤٣ : الف] : الفلا .

يقول ربى الله وقد جاءكم بالبَيِّنَات من ربكم - وهى اليد البيضاء والعصا .
 وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم به من
 العذاب^١ . ثم قال : ” يا قوم لكم الملك اليوم ” . يعنى فى الأرض أى نعمة
 أنعمها الله عليكم ، فيجب عليكم أن تشكروه ولا تكفروه ففرع فرعون
 ه من قول المؤمن ثم قال المؤمن : ” ما أرى إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل
 الرشاد ” . ثم خرفهم بعذاب قوم نوح وعاد وممود والذين من بعدهم^٢
 وأن الله أهللكهم بأنواع العذاب حين كذبوا رسلهم^٣ . ثم قال :
 ” يا قوم إني أعاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله
 من عاصم ”^٤ يعنى من مانع . قلنا سمع فرعون كلامه غضب عليه وقال :
 ١٠ كأنك يا حمويل ممن يؤمن موسى فارجع عن ذلك وإلا عاقبتك بأنواع
 العذاب . قال حمويل : ” مالى أدعوكم إلى النجوة وتدعونى إلى النار ،
 تدعونى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم ، وأنا أدعوكم إلى
 [١٩٨ : الف] العزيز الغفار لا جرم إنما تدعونى إليه ليس له دعوة فى
 الدنيا ولا فى الآخرة وأن مرَدنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار

(١) قرآن كريم : ٤٠ :

(٢) قرآن كريم : ٤٠ : ٨

(٣) نفس الآية فى الحاشية ١١ قة . ويريد بعدها فى بن : يعنى الحق .

(٤) نفس الآية السابقة .

(٥) فى بر : حتى ، وصحتها من السياق فى بن كما أوردناه فى النص .

(٦) عن بن : وهى فى بن : رسواهم .

(٧) قرآن كريم : ٤٠ : ٢٩ - ٣٠ ، ووردت فى بن بعد « التناد » جملة امتراضية
 يوم القيامة .

فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد^١“
يعنى عند معاناة العذاب تذكرون نصحي ثم قام من عند فرعون فلحق
بموسى وهارون وتبعهما على دينهما - انتهى .

[قصة قتل ابن البقي سنة ٧١٨]

- ٥ قيل لما أراد قاضى القضاة زين الدين بن مخلوف النورى المالكي
قتل الفقيه زين الدين بن البقي لما ثبت عنده كفره ، جلس خارج باب
المدرسة الصالحية بين القصرين بالقاهرة المعزية معه نوابه وأمير حاضره
معه ٣ بسبيته أيضا . قال قاضى القضاة المذكور للسياف : اضرب عنقه .
قال ابن البقي : ” أقتلون رجلا أن يقول ربي الله “ قال قاضى القضاة :
لا تعتذروا ، قد كفرتم بعد إيمانكم ، اضرب عنقه . فضرب السياف عنقه . ١٠
والبقي منسوب إلى قرية من عمل ماردين يقال لها بقة* وكان قتل
ابن البقي المذكور فى سنة ثمانى عشر* وسبعماية ، وفيها توفى قاضى
القضاة المذكور ودفن بقرافة مصر - رحمه الله تعالى .

[من أخبار مصر]

نعود إلى ذكر أخبار مصر . يروى أن أباذر الغفارى^٢ قال : مصر ١٥

(١) قرآن كريم : ٤٠ : ٤١ - ٤٤ .

(٢-٣) فى بن [١٤٣ : ب] : بالقاهرة .

(٣-٣) فى بن : بسبب قتله .

(٤) قرآن كريم : ٤٠ : ٣٨ .

(٥) فى بن : بقتله (٦) فى الأصليين : عشرة

(٧) زيد فى بن : انتهى . (٨) فى بن : الغفار .

أطيب الأرضين تراباً . روى ابن لهيعة عن ابن عباس أن كعب الأحبار سأل رجلاً يريد السفر إلى مصر ، فقال له : اهدأ لى تراباً من سفح جبلها المقطم . فأتاه^٢ بجراب ، فلما حضر كعب^٣ الوفاة أمر به قفرش فى لحده تحت جنبه . و المقطم تحت مقطع الحجارة ، وأن موسى عليه السلام كان يناجى ربه بذلك الوادى . و روى أسد بن موسى قال : شهدت جنازة مع ابن لهيعة ، فجلسنا حوله فرفع رأسه فنظر إلى الجبل المقطم فقال : إن عيسى بن مريم عليهما السلام مرّ بسفح هذا الجبل و عليه جبة صوف و قد شد وسطه وأمه إلى جانبه ، فالتفت إليها و قال : يا أمه هذه مقبرة أمّة محمد* . و بينا عمرو بن العاص يسير فى ١٠ سفح^٤ المقطم معه^٥ الملك المقوقس القبطى^٦ صاحب مصر^٧ بعد مصالحة المقوقس لعمرو على مصر ، فقال له عمرو : ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات كجبال الشام ، ولو شققنا فى سفحه نراها من النيل

(١) فى بن : اهدى . و كلمة « لى » بعدها ساقطة .

(٢) زيد فى بن : منه .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : لوقاة .

(٥) زيد فى بن : عليه السلام .

(٦) زيد فى بن : الجبل .

(٧) فى بن : و منه . و كلمة « المقوقس » وردت قبل « الملك » .

(٨-٨) ساقطة من بن .

وغرسناه أوتلا؟ فقال له المقوقس : [١٩٨ : ب] وجدنا في الكتب أنه كان أكثر الجبال اشجارا ونباتا وفاكهة ، وكان هو منزل المقطم بن مصر بن حام بن نوح عليه السلام ، فلما كانت الليلة التي كلم الله فيها موسى^١ ، أوحى إلى الجبال إلى مكلم نيا من أنبيائي^٢ على جبل متكن ، فسامت^٣ الجبال كلها و تشامت^٤ إلا جيل بيت المقدس فانه هبط وتضامل^٥ فأوحى الله^٦ إليه . لم فعلت ذلك ؟ وهو به أعلم . فقال^٧ : إعظاما وإجلالا لك يارب . فأمر الله^٨ الجبال^٩ أن يحبوه كل جل بما عليه من الثبت ، وجاد^{١٠} له المقطم بكل ما عليه من الثبت حتى بقي كما ترى ، فأوحى^{١١} الله تعالى^{١٢} إليه إلى معوضك على فلكك بشجر الجنة أو غراس الجنة . فكتب بذلك عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب^{١٣} رضي الله عنه ، فكتب إليه عمر : إلى لا أعلم شجر الجنة خير المسلمين ،

(١) في بن : وثيقا .

(٢-٣) في بن : موسى فيها .

(٣) في بن : الأنبا .

(٤) في بن : فست .

(٥) في بن : وفتاحت .

(٦) زيد في بن : تعالى .

(٧) في بن : قال .

(٨) زيد في بن : عز وجل .

(٩) ساقطة من بن .

(١٠) في بن : بغداد .

(١١-١٢) واردة في بن ، وساقطة من بن .

فاجله لهم مقبرة . قفل فتضب المقوقس و قال لمرو ابن العاص :
ما على هذا صلتى . قطع له عمرو قطيعة يدفن فيه النصارى^٢ .
اتهى .

[من دخل مصر من الأنبياء]

٥ و دخل مصر من الأنبياء^٣ عليهم السلام يعقوب وأولاده الاثنا^٤
عشر وهم يوسف ويهوذا ورويل ولاوى وزبالون^٥ وشمعون وسحرة
ودنيا ودانا وقتائيل^٦ وجاد^٧ وبنيامين . ودخلها موسى وهارون
وعيسى بن مريم عليهم السلام .

[من دخل مصر من الصحابة]

١٠^٨ و دخل مصر^٩ من الصحابة^{١٠} رضوان الله عليهم^{١١} الزبير^{١٢} بن
العوام^{١٣} والمقداد^{١٤} بن الأسود وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء
وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر وأبو ذر الغفارى ورافع بن مالك

(١ - ١) ساقطه من بن .

(٢) فى بن : القبط .

(٣) فى هامش بن : الأنبياء الذين دخلوا مصر .

(٤) فى الأصول : الاثنى .

(٥) فى الأصل بن : زبالون ، وفى بن [١٤٤ : الف] : زياتون .

(٦) فى « بر » : دعائيل ، وفى « بن » : دعائيل .

(٧) فى الأصول : حار .

(٨ - ٨) فى بن : ودخلها . وفى هامش بر : من دخلها من الصحابة .

(٩ - ٩) فى بن : رضى الله عنهم .

(١٠) فى بن : للمقداد . بدون واو العطف .

وعمر بن علقمة وشرحيل بن حصة وسعد بن أبي وقاص وعبد الله
ابن عمرو بن العاص وخارجة بن حذافة بن محمد بن مسلمة وأبو رافع
ومحمد بن مخلد وأبو أيوب ورويف بن مالك ومعاوية بن خديج وعمار
ابن ياسر وعمر بن العاص ومالك بن الوليد وغيرهم ممن صحب النبي
عليه السلام .

ووقف على إقامة^١ قبة المسجد الجامع بمصر ثمانون رجلا من
أصحاب النبي عليه السلام .

[من دخل مصر من العلماء]

^٢ ودخل مصر من العلماء الإمام الشافعي . سئل الأوزاعي : أيما
أفضل ؟ أنت أم الشافعي ؟ قال : الشافعي أفضل . قيل له : أيما أفضل ؟
الشافعي أم مالك بن أنس ؟ قال :
وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس
يعني أن مالكا أفضل من الشافعي^٣ . وجد^٤ على حائط مسجد مكتوب

(١-١) في بن : صلى الله عليه وسلم .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : الصلاة والسلام .

(٤-٤) في بن : ودخلها .

(٥-٥) ريدت الجملة في بن ، وهي ساقطة من الأصل بر .

(٦) في هامش بر بقلم غير قلم الناسخ : في استاد هذه الحكاية للأوزاعي نظر يعلم
من تاريخ زيارة الشافعي وموت الأوزاعي ولعل السؤال لغيره .

(٧) في بن : ووجد .

[١٩٩ : الف] مناقب الشافعي وفضله ، فكتب تحته أحد المتأريفة ، وكيف لا يكون كذلك وهو تليذ^١ لملك ؟

ودخل مصر من العلماء الشعي وابن علي ويزيد بن حبيب واليئ ابن سعد ، وله مذهب منفرد ، وهو الذي أخرج^٢ هارون الرشيد من ه يمينه التي هجر عنها^٣ قهواء الدنيا^٤ . وذلك أن الرشيد حلف أنه من أهل الجنة ، فاستقى الفقهاء في ذلك ، فكل توقف ولم يجبه^٥ بشيء تبرأ به يمينه^٦ . فأناه اليئ بن سعد وقال له : هل قدمت قط^٧ على معصية وامتعت من فعلها ؟ قال الرشيد^٨ : نعم قدمت في بعض الأيام على معصية ونهيت نفسي عنها فلم أفعلها .^٩ قال : لم يقع^{١٠} عليك ١٠ حن . قال : بماذا ؟ قال : قال الله تعالى : ” وأما من عاف من مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ه فإن الجنة هي المأوى ه “ . ففرح الرشيد بذلك وشكره ووصله بصلته^{١١} .

(١) في بر : تليذا . وصحته في بن كما أوردناه بالنص .

(٢) زيد في بن : أمير المؤمنين .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) زيد في بن : فيه .

(٥) في بن : يجيب .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧-٧) عن بن ، وفي بر : قال ليس وقع .

(٨) قرآن كريم : ٧٩ : ٤٠ - ٤١ .

(٩) في بن : بصلته .

ودخل مصر من العلماء عبد الرحمن بن وهب إمام في الفقه
والحديث والأخبار . ودخلها ابن القاسم^١ وأشهب وابن عبد الحكم
وربيع المؤذن وأحمد بن محمد الطحاوي والمزني ، كل واحد منهم^٢
٣ قد برع في مذهبه ، ونجم على أهل عصره ، ولكل واحد^٣ من الكتب
المصنفة ما يعجز عن نظيره سائر أهل الدنيا .

[من دخل مصر من الأولياء]

وكان بمصر من الأولياء والزهاد حياة^٤ بن شرح وسليمان بن
عمير وأبو الريس الزهراوي وأبو إدريس الخولاني وسعيد الأدي
وإبراهيم بن آدم ومنصور بن عمار والقاضي بكار^٥ بن قتيبة بن أسد
ابن أبي بردة بن عبيد الله بن بسر بن أبي بكرة قبيع بن الحارث مولى ١٠
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه . وكان القاضي بكار من
البكائين التالين لكتاب الله سبحانه وتعالى ، وكان قاضيا بمصر ، فإذا
فرغ من الحكم خلا بنفسه ، وعرض على نفسه قصص جميع من تقدم
إليه وما حكم به وبكى . وكان كثير الوعظ للنصوم إذا أرادوا الإيمان

(١) في بن : القسم .

(٢) زيد في بن : له .

(٣) بساطة من بن .

(٤) في بن : حيوة .

(٥) في هامش بر : القاضي بكار . وزيد في بن : وكنيته القاضي بكار

أبو بكرة وهو بكار .

يتلو عليهم قوله تعالى: "إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيمة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم".^١ و كان يحاسب أمناءه في كل وقت ويسأل عن الشهود في كل وقت . ولما كتب أمير المؤمنين جعفر ه المتوكل على الله^٢ إلى مصر يأمر ببناء المقياس الجديد من ٣ الجزيرة المعروفة بالروضة^٣ [١٩٩ : ب] سنة سبع وأربعين و مائتين ، و كان الذي يتولى أمر المقياس النصارى ، ورد كتاب أبي جعفر إلى القاضي بكار بأن لا يتولى ذلك إلا مسلم يختاره ، فاختار لذلك رجلا^٤ يقال له أبو الرداد^٥ ، و كان مؤذنا محدثا ، وأجرى عليه الرزق ، فاستمر ذلك ١٠ في ولده ، فصار العوام يقولون لمن يلى أمر المقياس من ذريته ابن أبي الرداد^٦ ، والله أعلم .

(١) قرآن كريم: ٣: ٧٧ . وبآية في بن أخطئه لفظية مثل « يكلم » بدلا من « يكلمهم » وأيهم » بدلا من « أليم » .

(٢) الخليفة العباسي وحكه ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م .

(٣-٣) في بن : جزيرة الروضة .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بر : رجل . و صحته في بن كما في النص .

(٦) في بن : أبو الرداد .

(٧) في الأصل : أبو . والكلمة مصححة إلى « أبي » بقلم أحدث ، والصواب

في بن وزيد فيها : أبي الرداد كذا قيل - والله تعالى أعلم .

[أحمد بن طولون والقاضي بكار]

و كان أحمد بن طولون^١ واليا على مصر من قبل خلفاء بني العباس،
 وكان كثير الصدقة و المعروف عن المملوك و الحلم على الجماه^٢، وكان يعظم
 القاضي بكارا و يكرمه و يميزه في كل سنة بألف دينار سوى الرزق الذي
 كان يتاوله على القضاء في كل شهر . فلما قسد ما بينهما قال له أحمد
 ابن طولون: أين جوازك؟ قال: بحالها . فأرسل أحمد بن طولون إلى منزل^٣
 بكار، فوجد فيه ستة عسر كيسا فيها ستة عتر ألف دينار بخواتم ابن
 طولون ما مسها^٤ . و انتهى أمر ابن طولون إلى أن يمن القاضي بكار
 بسبب أن ابن طولون^٥ جمع الفقهاء على خلع الموفق طلحة^٦ لما ولي الخلافة
 إلا القاضي بكار، فانه لم يوافق على خلعهم . فلذلك سمى ابن طولون،^{١٠}
 وأخذ منه تلك الجوائز . ولما اعتل ابن طولون راسل بكارا^٧ وقال له:

(١) و حكمه ٢٥٤ - ٢٧٠ هـ / ٨٦٨ - ٨٨٢ م .

(٢-٣) ساقطة من بر، و واردة في بن [١٤٤ : ب] .

(٣) زيد في بن: القاضي .

(٤) في بن: مسها .

(٥-٥) قلا عن بن، و العبارة في بر بها تكرار و نخل .

(٦) أبو أحمد طلحة للموفق ابن الخليفة التوكل على الله و كان في سنة ٢٥٨ هـ /

٨٧١ - ٨٧٢ م بدمشق .

(٧) في بن: القاضي بكار .

أنا أردك إلى منزلك^١ وأدفع عنك ما أردت منك . فقال القاضي بكار
 لرسول ابن طولون : قل له شيخ فان^٢ ، وعليل مدنف ، والملتقى قريب ،
 والقاضي الله عزّ وجأ^٣ . فلما عاد الرسول إليه قال له : ما قال لك
 القاضي بكار ؟ فذكر له ما قال ، فصار ابن طولون يقول : شيخ فان^٤ ،
 هـ وعليل مدنف ، والملتقى قريب ، والقاضي الله عزوجل . ويكرر^٥
 هذا الكلام كالمعظ بهذا القول لما انزعج وخاف منه ، فأمر بنقله
 إلى دار اكترت له . فلما توفي أحمد بن طولون لعشر خلون من ذي
 القعدة سنة سبعين ومائتين^٦ ، قيل للقاضي بكار : قد مات ابن طولون .
 ثم قيل له : انصرف إلى منزلك ، فأتى إلى منزله ، وأقام بكار بعد ابن
 طولون أربعين^٧ يوما ومات رحمه الله تعالى . وقبره بقراة مصر يعرف
 عنده باجابة الدماء . وكانت ولايته لقضاء مصر أربعاً وعشرين سنة
 وستة أشهر وستة عشر يوماً . وأقامت مصر بعده بغير قاض^٨ ثلاث
 سنين . ويقال إنه أحصى من قتله ابن طولون ومات بحبسه فكان

(١) في بن : منزلك .

(٢) في بر : فاني . وصحتها كما في بن والنص .

(٣-٣) في بن : فلما بلغ قوله ذلك ابن طولون كان يميكي ويكره - الخ .

(٤) الموافق ١٠ مايو سنة ٨٨٤ م .

(٥) في بر : اربعون . وصحته في بن كما في النص .

(٦) في الأصل بر : قاضي . وصحة الكلمة في بن كما أوردناها بالنص .

مبلغهم ثمانية عشر ألفاً .

وقيل : إن المزي ٢ أدى شهادة عند القاضي بكار ، فقال له القاضي بكار : من أنت ؟ قال : أنا المزي [٢٠٠ : الف] قال : أنت صاحب الشافعي ؟ قال : نعم . قال : ومن يشهد لك بذلك ؟ قال : هؤلاء الحاضرون ٣ . فشهدوا له قبال القاضي شهادته من غير أن يكلفه لتزكية .
لأن طلب القاضي منه التزكية سقوط منزله ٤ . فلبا خرج من عنده قال : سترني القاضي ستره الله .

(١) زيد هنا في بن : قال بعضهم رأيت أحمد بن طولون في النوم بعد موته فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال لي : لما قبضت سائقني سائق عفيف فمرت على جهنم وقد فصحت أبوابها وارتفع دخانها فمخفت خوفاً شديداً وأيقنت بالهلاك وإذا بجارية طيبة الرائحة جميلة المنظر قد أتت إليّ وهي تقول : لا تخف يا أحمد ! فإن الله سبحانه وتعالى وهبك ثم وقت يعني وبين النار ، ثم أقبلت جارية أخرى فقالت : أبشر يا أحمد ثم زجرت النار عني فكف لميها ، فقلت للأولى : من أنت ؟ قالت : أنا عفوك عن المملوك وبعليك على الباطل ، وقلت للثانية : من أنت ؟ قالت : أنا صدقتك التي كنت تخفيها يميناً وشمالاً وسباحاً ومسلماً ، ثم نادى مداد من تحت العرش : أدخلوه من باب المنفرة فأدخلت الجنة . فقلت له : فما هذه الكتابة التي ظهرت عليك ؟ فقلت : حيا بما كان (كذا في الأصل) .

(٢) و أيضاً في هامش بر : المزي .

(٣) في بر : الحاضرين . مصححة بقلم آخر وهي مصححة في بن .

(٤) في بن : لمنزله .

(هـ) العبارة ساقطة من بن .

والمزني هذا هو إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمر بن إسحاق، صاحب ١ الإمام الشافعي من أهل مصر، وكان ٢ عالماً زاهداً مجتهداً عجاظاً غويصاً ٣، وهو ٣ رئيس الشافعيين ٤ وأعلمهم بطرقه وفتاواه ٥ وما ينقله عنه، صنف كتباً كثيرة منها الجامع الكبير والجامع الصغير ٥ ومختصر المختصر وغير ذلك. وقال الشافعي في حقه: المزني ناصر مذهبي. وكان المزني إذا فرغ من مسألة وأودعها مختصره قام إلى المحراب فلي ركعتين شكراً لله.

[من دخل مصر من الأدباء]

ودخل مصر من الأدباء والشعراء نصيب وجميل بثينة وابن قيس ١٠ الرقيات ٦ والأحرص وأبو ذؤيب ملاً ٧ الطائي ٨ ودعبل الخزاعي ٩ وأبو صمصمة وأبو نجاد وكثير عزة وأبو نواس ٩.

(١) في بن: صاحب.

(٢-٣) في بن: زاهداً عالماً - وبقيّة الجملة مطموسة.

(٣-٤) في بن: إمام الشافعية.

(٤) عن بن، وفي بر: فتاويه.

(٥) زيد في بن: تعالى.

(٦) في بن: الرقيات.

(٧) في بن: وملاً.

(٨-٩) ورد الاسم في بن بعد أبي نجاد.

(٩) وردت هنا زيادة طويلة في بن [١٤٥ : الف - ١٤٦ : ب] وهي ساقطة =

قال أبو العباس: كان أبو محمد عبد السلام الملقب بديك الجن ماجنا خليما حاكفا على اللهو والقصف مُتلفا لاله^١، فلما قصد أبو نواس السفر من بغداد إلى مصر اجتاز بجمص، فأتى إلى دار ديك الجن المذكور^٢ فطرق الباب واستأذن عليه، فقالت الجارية: ليس هو هنا. فقال لها أبو نواس: قولي له اخرج فقد فنت أهل العراق^٣ .

= من بر . وتشمل هذه الزيادة بعض قصص التيمين مثل قصة جميل وبثينة ثم قصة كثير وعزة ثم قصة قيس بن ذريح ولبنى كما وردت بها أيضا قصيدة في هجو الخليفة المأمون من جميل الخراشي حيث يقول :

إني من القوم الذين سيوفهم نزلت أذاك وشرتك بمقد
شادوا بذكرك بعد طول تحوله واستندتكم من الحضيض الأوهـد

غير أن أكثر الأشعار الواردة في بقية القصص بها نقص و سقط و خيل في المعنى والميزان فأثرتا التجاوز عنها والابقاء على ما اكتفى به ناسخ بر .
(١-١) العبارة ساقطة من هـ .

(٢) في بن [١٤٦: ب] : وأما أبو نواس فانه لما قصد - الخ .

(٣) في بن: المشهور .

(٤) وردت هذه الحكاية بوفيات الأعيان (ج ١ ص ٤١٥) في ترجمة ديك الجن والأبيات كالآتي :

بها غير معدول فداه نهارها وصل بمجالات التوق إجكارها
ونل من عظيم الوزر كل عظمة اذا ذكرت خاف الحفيظان نارهـا

وبقية الأبيات كما وردت في النص مع اختلاف لفظي طفيف مثل (قسام تكلا الكاس) و كذلك (وظلنا بأيدينا تصنع روحنا) . وديك الجن ولد سنة ١٦١ هـ وتوفي سنة ٢٣٥ هـ أو ٢٣٦ هـ أي ٧٧٧ - ٧٧٨ / ٨٤٩ - ٨٥٠ م .

بقولك :

مودة من كف ظلي كأنما تناوها من خده ١ فأدارها
فلما سمع ديك الجن خرج إليه واجتمع به فأضافه ٢ . وهذا البيت من
جملة أبيات وهي :

هـ بها غير معدول فداو ٣ خمارها وصل بجالات الغبوق ٤ ابتكارها
وقم أنت فاحش ٥ كأسها غير صاغر ولا تسق إلا خمرها وعقارها
فقام يكاد الكأس يحرق كفه من الشمس أو من وجته استمارها
ظللتنا بأيدينا نتمتع روحنا ٦ فتأخذ من أقدامنا الروح ثارها
مودة من كف ظلي كأنما تناوها من خده فأدارها
١٠ [٢٠٠ : ب] فتشبهه ٧ الساق بالظلي لحسن لفته وتكحيل مقلته .

[الاصمعي والاعرابي وخبر ظليتين]

٨ وسأذكر هنا ٩ خبر ظليتين أصيدتا ١٠ بالسمي على القدمين لا يبازين
ولا يكليين . وهو ما ذكره الاصمعي قال : حدثنا بعض مشايخنا قال :

- (١) عن ابن ، وى بر : خدها .
- (٢) فى بن : وأضافه .
- (٣) فى بن : فداوى والكلمة فى ابن خلكان : فداو .
- (٤) فى بن : البروق .
- (٥) فى الأصل : فاحش (٦) فى بن : روحها .
- (٧) فى بن : تشبه .
- (٨-٩) فى بن : فلذكر الآن - ويهاش بر : نكتة حسنة .
- (٩) فى بن : اصطيدتا .

خرجنا إلى بعض المنازل، فإذا نحن بأعرابي قد أقبل ومعه ظيئة له فقال:
 بكم تتباعونها مني؟ قلنا: بكذا. قال: بل بكذا. فواقته من ثمنها
 على ستة دراهم، ثم نظرنا فإذا ليس بها أثر صيد، وكأنا اتهمناه أنه
 سرقها من بعض البيوت، فقلنا: يا أعرابي والله ما نرى بها أثرا،
 ولا نرى معك كلابا ولا جوارح، فتقول إنك اصطدتها^٢ بها، وكأنك
 أوضحت التهمة في قلوبنا، إنك سرقها من بعض البيوت. قال: لا والله
 يا بني عم^٣ ما سرقها، ولكني سميت عليها بأقدا من فصدتها يدي،
 فهل لكم أن تتباعوا مني غيرها؟ قال فنظر بعضنا إلى بعض وقلنا: والله
 ما نظرنا منظرا أحسن من هذا. فضى بنا إلى أكمة، ثم أشرف منها
 على قطيع من ظباء^٤، فإذا فيها ظيئة جاء، فقال: اختاروا أيها^٥ شتم. ١٠
 قلنا: الجاء. قال: والله لقد اخترتموها أوسمها منخرا وأرجها جوقا،
 فبكم^٦ تتباعونها مني؟ قلنا: بعشرة دراهم. قال: فاجمعوا العشرة في

(١) في بن: وكأنا.

(٢) في بن: من أثر.

(٣) في بن: اصطفتها.

(٤-٥) مطموسة في بن.

(٥) في بن: حمى.

(٦) في بن: الظبي.

(٧) في بن: أيهم، مصحت بقلم آخر وهي كذا في بن.

(٨) في بن: أنيكم.

كف رجل منكم قملنا ، فلما نظر إليها أخرج إزارا له ١ فأنزله ، ثم أرسل نفسه ٢ كأنه البرق الخاطف ، ثم لم ير شيئا ، ثم إذا نحن به قد أقبل بالظلية وهي تضغوة ٣ ، وهو يقول :

كيف ترى الجماء تروى جدها تروم شدى وأروم شدها
لا تمد من شد غلام ردها

هلم ٤ العشرة دراهم . ثم قال : أتعجبون ؟ واقه ما ضمت اليداء ولا حوت الأخية أيسر ولا أغنى منى لاصطيادى للظباء ، ويصلى لها على رؤس الملاء . قال فمجنا من صيده للغزلان على أقدامه ٥ وسعيه خلقها برجليه ٥ وقبضه عليها يديه . وكذلك كان يصطاد بجمريه المهابة ٦ . والمهابة بقرة الوحش ، وقد شبهت المرأة بالمهابة ، أى كأنها مثلها وحشية لنفارها بسبب صيانتها ، قال الشاعر :

أردنا أن نصيد به ٧ مهابة قطعت الحبائل والحبالا

(١) ساقطة من بن .

(٢) في الأصولين : تصنوا . [بن ١٤٧ : الف] .

(٣) في بن : لم .

(٤) في بن : قدسيه .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : الها .

(٧-٧) عن بن ، وفي ير : نصيب بها .

[أفصح من سبحان وائل وأعيا من باقل]

و سأذكر ما قيل في باقل وخطيته ، و ذلك أن باقل كان رجلا من العرب معروفا بالمعنى ، اشترى ظبية بأحد عشر درهما وجاء بها [٢٠١: الف] إلى أمه ، فسألته عن ثمنها ، فتر ٣ يديه ، و فرق بين أصابعه و أخرج ٤ لسانه ، و خلا ٥ عن الظبية ، فهربت ٦ بسبب فعله ذلك يريد ٥ أحد عشر درهما ، فضربت العرب به المثل فقالوا : ٨ أفصح من سبحان وائل ٩ و أعيا من باقل ٩ .

سبحان وائل اسمه زفر الوائلي يقال إنه وفد إلى أمير المؤمنين معاوية بن أبي يوسف (كذا) فدخل عليه و عنده خطباء القبايل ، فلما رأوه خرجوا لملهم بقصودهم عنه ، فقال سبحان :
لقد علم الحى اليماون أننى إذا قلت أما بعد أتى خطيبها

١٠

(١) في بن : فلندكر أيضا .

(٢) في بر : بالسعى وى بن : بالمعنى . وهو خطأ قلبى واضح فى كليهما .

(٣) في بن : فشر . (٤) في بن : وخرج .

(٥) في بن : وخل . (٦) في بن : ضربت .

(٧) في بن : عشرى .

(٨-٨) واردة في بن ، و ساقطة من بر .

(٩) زيد في بر : انتهى . - و قد أسقطنا الكلمة لنقل عن بن [١٤٧: الف - ١٤٨: ألف] نسباً مطولاً بدأ بالكلام من سبحان ثم انتهى عند استئناف الحديث فى بر عن مكين الدارمى - و هذا الاسم برمه ساقط من بر و قد أثره لإبراهه فى النص لاحتوائه مادة لها طابعها التاريخى .

فقال معاوية: أخطب . فقال: انظروا لى عصا أقیم بها من أودى . قالوا: ما تصنع بالعصا وإنا بحضرة أمير المؤمنين؟ فقال: ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه عزّ وجلّ؟ وأخذها وتكلّم من الظهر إلى أن قارب العصر ما ينحس ولا ابتداء فى معنى فخرج منه وقد تمثرت عليه بقية . فقال معاوية^١: الصلاة . فقال سبحان: إن الصلاة أمامك^٢...
 ٥ فى تحميد وتمجيد، وعظة وتذكير ووعد وعيد . فقال معاوية^٣: أنت أخطب العرب . فقال: العرب وحدها، بل أخطب الجن والإنس . قال معاوية^٤: كذلك أنت . وتوفى سنة أربع^٥ ٣ وخمسين من الهجرة - رحمه الله تعالى .

١٠ [من أخبار الامويين الأول وبعض الصحابة]

وكان صخر بن حرب الأموى أبو معاوية^١ لم يزل على الشرك يقود الجيوش لقتال النبی صلى الله عليه وسلم إلى أن أسلم يوم فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم^٢، ثم حسن إسلامه وشهد اليرموك تحت راية ابنه يزيد، وابنته أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفى ١٥ عليه السلام وأبو سفيان عامله على نجران . وكان أبو سفيان^٣ من أشرف قريش وشهد الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورى يوم ذلك بهم قد ثبت عينه الواحدة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
 (١) فى الأصل: معاوية .

(٢) هنا كلمة مطموسة جزئياً وجاز قراءتها «لنا» أو «السا» أو «العا» ويصعب استقامه السياق بأياها فأثرتا ترك مكانها بإضمار بالنص .

(٣) فى الأصل «أربع» ساقطة، والمعروف أن عحيان توفى سنة ٥٤/٦٧٤ م فأدخلها فى النص .

(٤) فى الأصل: سفين .

وعينه في يده: أيما أحب إليك عين في الجنة أو أدعوا الله أن يرددها عليك؟ فقال: بل عين في الجنة. ورمى بها إلى الأرض، وأصيبت عينه الأخرى يوم اليرموك. وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين مائة من الإبل وأربعين أوقية ذهب وزنها له بلال، وأعطى ابنه معاوية مثل ذلك. فقال أبو سفيان: فأنك لكريم فذاك أبي وأمي لقد حاربتك ففعم المحارب كنت، ثم سألته ففعم المسلم كنت حراك الله خيرا. وقال ثابت البناني: إني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن" لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أودى بمكة دخل دار أبي سفيان فأمّن. وكان أبو سفيان قاضي الجماعة يوم اليرموك يسير فيهم ويقول: الله! الله! عباد الله! انصروا الله ينصركم، اللهم أزل نصرك على عبادك، يا نصر الله اقرب، يا نصر الله اقرب. وتوفي (و) سنة ٣ هـ هـ وتبعه وتسعون سنة، [ن ١٤٧: ب] وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان أسلمت قديما وهاجرت هي وزوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فتصّر زوجها هناك وبقيت هي على دين الإسلام، ومات زوجها هنالك، فلما تأيئت من زوجها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة أن يزوجه إياها فزوجه إياها وبعث بها إليه. وقيل: إن النجاشي أهداها من ماله ثلاثمائة دينار وبعث بها إلى النبي

(١) في الأصل: معاوية. (٢) في الأصل: سفيان.

(٣) واو العطف ساقطة من الأصل ولزومها واضح.

(٤) بمعنى أنها مكنت زماها بدون زوج.

صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة . ويرى أنه لما جاء أبوها
عام الفج إلى المدينة وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزيد في
هدية الحديبية . فلم يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام فدخل
على ابنته أم حبيبة فقالت عنه فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ه فقال لها : والله يا بنية ! ما أدري أرغبت بهذا الفراش أم بي عنه ؟ فقالت :
بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس . فقال :
والله يا بنية ! لقد لقيت بعدى شرًّا . وكانت هذه أم حبيبة من العابدات
الورعات رضي الله تعالى عنها . قالت عائشة رضي الله عنها : دعني أم حبيبة
عند موتها فقالت : قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر . فقلت : ينفر الله
١٠ لي ولك ما كان من ذلك كله ويتجاوز عنك ويمالك^١ من ذلك . فقالت :
سررتني^٢ أسرك الله . وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك . وتوفيت
في ثالث عشر المحرم . وأما عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي فانه أسلم
قديمًا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما . هاجر إلى الحبشة وإلى
المدينة وآخى^٣ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع
١٥ وشهد بدرًا وما بعدها ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد
الثمانية السبعين إلى الإسلام وأحد الستة أصحاب الشورى . قال معمر
عن الزهري : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشطر ماله فكان أربعة آلاف درهم ، ثم تصدق بأربعين ألف
دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راجلة في سبيل الله

(١) في الأصل : لقيت . (٢) في الأصل : حبيب . (٣) في الأصل : يجاوز .

(٤) في الأصل : وحالك . (٥) في الأصل : سررتني . (٦) في الأصل : وآخا .

(٧) في الأصل : له .

وكان عامة ماله من التجارة. وقال الامام ابن حنبل في مسنده قال بينما عائشة رضي الله تعالى عنها في بيتها اذ سمعت رجلة في المدينة قالت: ما هذا؟ قالت: قافلة لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل كل شيء وكانت سبعماية بعير، قالت عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قد رايت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة جواً، فبلغ ذلك ٥ عبد الرحمن فقال: إن استطعت لادخلها قائماً، فجعلها بأقايها وأحمالها في سبيل الله. ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل بقى من أهل بدر بأربعمائة دينار و كانوا مائة فمر حتى عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كبير. وكانت عائشة تقول: سقاها الله من السلسيل. وأعتق جميع عياله ثم ترك بعد ذلك ١٠ مالا جزيلا وذلك ذهب قطع بالفؤس حتى كلفت أيدي الرجال. وترك ألف بعير ومائة فرس وثلاثة آلاف شاة. وكن نساؤه أربعاً فصولحت إحداهن عن ربع الثمن بثمانين ألف دينار، ولما مات صلى عليه أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وحمل في جنازته سعد بن أبي وقاص، ودفن بالبقيع عن خمس وسبعين سنة، كان عبد الرحمن بن عوف أبيض مشرباً ١٥ بحمرة حسن الوجه رقيق البشرة أعين [ر ١٤٨ : ألف] أهدب أشفار العينين لا يغير شبه - رضي الله تعالى عنه .

و كان عقيل بن أبي طالب أحسن ولد أبي طالب بعد طالب، وكان بين وبين طالب عشر سنين، ثم بينه وبين جعفر بن أبي طالب عشر سنين، ثم بين جعفر وبين علي بن أبي طالب عشر سنين ر كان ٢٠

(١) في الأصل: عثن . (٢) في الأصل: أربع .

أصغرهم ستاً وأقدمهم إسلاماً . خرج عقيل يوم وقعة بدر مع المشركين مُكرهاً فشهدا وأسر قتلاه عمه العباس ثم أتى مسلماً قبل وقعة الحديبية وشهد غزوة مودة . وكان عقيل بن أبي طالب أنسب قرش وأعلمهم بأبائهم ، ولكنه كان مبغضاً إليهم لأنه كان يمدّ مساويهم ، وكان له دار بالمدينة المذكورة ، وكان له طنفسة تطرح في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون عليها ، ويجتمع إليه في علم النسب وأيام العرب ، وكان أسرع الناس جواباً وأحضرهم مراجعة في القول وأبلغهم في ذلك ، وكان الذين يتحاكم إليهم ويوقف عندهم في علم النسب أربعة : عقيل بن أبي طالب وعمره بن نوفل وأبو جهم بن حذيفة وحويط بن عبد العزى وعقيل أكثرهم ذكراً لمثالب قرش فنادوه لذلك وقالوا فيه الباطل ونسبوه إلى الحق واختلقوا عليه أحاديث مزورة ، وكان بما اعطاهم عليه مغاضبته لأخيه عليّ وخروجه إلى معاوية وإقامته عنده بدمشق ، وقال معاوية^٢ يوماً بمحضرتة : هذا أبو يزيد لولا عليه بأني خير له من أخيه عليّ لما أقام عندنا وتركه . فقال عقيل : أخى خير لى في دى ١٥ وأنت خير لى في دنياى وقد آثرت دنياى وأسأل الله خاتمة خير . وكان عقيل لما التحق بمعاوية بالغ معاوية في بره وإكرامه إرضاءً لعلى ابن أبي طالب ، فلما قتل عليّ وأستقل معاوية بالامر قتل عليه أمر عقيل فكان يسمعه ما يكره لينصرف عنه ، فينأى هو في مجلس حفل بأعيان الشام إذا قال معاوية^٣ : أترفون أيا لى الذى أنزل الله فى حبه "تبت ٢٠ يدا أبى لى" من هو ؟ فقال أهل الشام : لا ! فقال : هو عم هذا

(١) فى الأصل : الدى . (٢) فى الأصل : عبد القوى . (٣) فى الأصل : معاوية .

وأشار إلى عقيل . فقال : عقيل : أترفون امرأته التي قال الله تعالى في حقها " و امرأته حمالة الحطب في جيده جبل من مسد " . فقالوا : لا ! قال : هي عمه هذا . وأشار إلى معاوية ، وكانت عمته أم جميل بنت حرب بن أمية - انتهى ٢ .

٥ [خبر مسكين الدارمي]

فلنذكر الآن خبر مسكين الدارمي ٣ مع بعض التجار بأكساد بضاعته ٤ . وذلك أن بعض التجار قدم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حمل من الخمر السود فلم يجد لها طالبا فكسدت عليه وضاق صدره ، فقيل له ما ينفعها لك إلا مسكين الدارمي وهو من مجيدي الشعراء الموصوفين بالظرف والخلاعة ، فقصده فوجده قد تزهد^٥ وانقطع في ١٠ المسجد ، فقص عليه القصة فقال : وكيف أعمل^٦ وأنا قد تركت الشعر واتكفت على هذا الحال ؟ فقال له التاجر : أنا رجل غريب وليس لي بضاعة سوى هذا الحمل ، وتضرع إليه ، فخرج من المسجد وأعاد لباسه الأول ، وعمل هذين البيتين وأشهرهما وهما :

(١) الأمل : معاوية .

(٢) هنا ينتهي القسم المستخرج من بن ، ويبدأ بعدئذ استئناف الكلام

من بر [٢٠١ : الف] .

(٣-٤) ساقطة من ر ، واردة في بن .

(٤) في بن : تزهد .

(٥) في بن : أصنع .

قل للليخة في الحمار الأسود ماذا أردت بناسك متعبد
قد كان شمر لفلاة إزاره حتى وقفت له ياب المسجد
فشاع بين الناس أن 'مسكين الدارمي قد رجع' إلى ما كان عليه
وأحب واحدة ذات خمار أسود، فباع التاجر الحبل الذي كان معه
ه بأضعاف ثمنه لكثرة رغبتهن فيه، فلما فرغ منه عاد مسكين إلى تعبده
واقطعاه .

'و مسكين الدارمي لإسمه ربيعة و لقب بمسكين لقوله :
أنا مسكين لمن أنكرني و لمن يرقى جدد نطق
لا أبيع الناس عرضي لو أيسعُ الناس عرضي ما نطق
و إذا الفاحش لاقى^٢ فاحشا فهناك وافق شرَّ الطبق
إنما الفحش و من يفتي به كفراب الشر ما شاء نطق
أو حمار السوء إن أشبعته رمح الناس و إن جاء نهق
[بن ١٤٨: ب] أو غلام السود إن جوعته سرق الناس: أن يشبع فسق
أيها السائل عما قد مضى هل جديد مثل ملبوس خلق^٢

١٥ و من شعر التوخي في الحمار المذهب :

قل للليخة في الحمار المذهب أفست نك أعا التقي المترب
نور الحمار و نور خدك تحت عجباً لوجهك كيف لم يتذهب
و جمعت بين المذهبين فلم يكن الحسن عن ذهبيهما . من مذهب

(١-١) في بن [١٤٨: الف] : مسكيناً عاد .

(٣-٢) هذا الجزء ساقط من بر، و وارد في بن [١٤٨: الف - ب] .

(٣) في الأصل : لا قا . (٤) في الأصل : التقا .

(٥) في بن : مذهبيهما .

وإذا أتت عين لتسرق نظرة قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي
من أحسن ما سمعت^١ في هذا المعنى لبعض الشعراء:

لها في سماء الوجه سبع كواكب من الحسن حراس على كل مرقب
فإن رام إنسان ليسرق نظرة كلعة برق أحرقه بكوكب

٥ [من أخبار القاضي التتوخي]

^١ قال القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان في تاريخه ٢: وكان
القاضي أبو علي التتوخي من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم
وحسن الشيم وكان كأقراءه في فضل الصاحب بن عباد إن [٢٠١: ب]
أردت فسبعة ناسك ، وإن أحببت^٢ فتفاحة فأتك ، وإن اقترحت^٣
فدرعة راهب . وكان تقلد قضاء البصرة والاهواز بضع سنين ، ١٠
وكان • الوزير المهلبى وغيره من وزراء العراق يميلون إليه ويتعصبون له
ويعدونه ربحانة الندماء وتاريخ الظرفاء ، وكان من جملة الفقهاء والقضاة^٤ ،
الذين ينادمون الوزير المهلبى ويحتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على

(١) في بن: قيل .

(٢-٣) ساقطة من برو واردة في بن .

(٣) في بن: أردت .

(٤) في بن: انتصرت .

(٥) في بن: فكان .

(٦) ساقطة من برو واردة في بن .

اطراح الحشمة والبسط في القصف والخلاعة، و هم القاضي أبو بكر بن
 قريمة و ابن معروف و التوخي المذكور^١ و غيرهم و ما منهم إلا أيضا
 اللحية طوليلها، و كان كذلك الوزير المهلب، فاذا تكامل الأتس،
 و طالب المجلس، و لذ السمع، و أخذ الطرب منهم مأخذه، و خلوا
 ٥ ثوب^٢ الوار للعقار، و تقلبوا في أعطاف العيش، بين الحقة و العليش^٣،
 وضع في يد كل واحد منهم طاس ذهب زنه ألف مثقال مملوءا شرابا
 عتيقا قطريلا أو عكبريا^٤ مزوجا^٥ بالسكر الطبرزد، فيمسخ كل واحد
 منهم لحية فيه و يتقمعها حتى تشرب و يرش بها بعضهم بعضا، و يرقصون
 بأجمعهم و عليهم المصبغات و مخاقق المتور، فاذا أصبحوا^٦ عادوا
 ١٠ كهيتهم^٧ في التور و التحفظ بأبهة^٨ القضاء و حشمة المشايخ الكبراء.
 قال السري الموصل فيهم :

يجالس رقص القضاء بها إذا انتشوا في مخارق البرم^٩

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : اثواب - أو : أبواب .

(٣) في بن : والطين، والصواب بهامشه .

(٤) في بن : عكبريا .

(٥) في الأصلين : مزوج .

(٦) ساقطة من بر، و واردة في بن .

(٧) في بن : كهيتاتهم .

(٨) عن بن ، و في بر : بأبهة .

(٩ - ٩) ساقطة من بر، و واردة في بن .

- ١ من صاحب يخطط المحزون لنا نصيبه خلو من العُثم
يخضب الراح شيه عبثا حتى يرى مثل حرة العثم
وقد ذكر ابن الريب في تاريخه أن هؤلاء المشايخ يعرفون بشيوخ
المهرمة، فانهم كانوا إذا طربوا يقولون هرهر . وكان منهم أبو الفرج
الاصبهاني صاحب كتاب الألفاظ و ابن حجاج الشاعر المحتسب ببغداد .
و من شعر التوخي أيضا قوله :

وراح من الشمس مخلوقة بدت لك في قدح من نهار
كأن المدر لها باليمين إذا مال للسقي أو باليسار
تدرج ثوبا من الياسين له ٣ فردكم ٣ من الجلنار

- ١٠ و مما قاله يزيد بن معاوية في الخمر :

مدام كتبر في إثناء كنفنة وساق كبدر والندامى كأمهم
لما جب من فوق شباك لؤلؤ كتشفة دينار على دور درهم
نشير إليها بالبنان كأنما نشير إلى البيت العتيق المحرم
فان حرمت يوما على دين أحمد نخذها على دين المسيح بن مريم

- ١٥ و لبعضهم فيها :

(١-١) ساقطة من بر . و واردة في بن .

(٢) في بن : تدرج .

(٣-٣) في الأصل بر : فن دكم . و هو في بن مع مطابته على ما ورد بونيات

الأعيان كما في النص .

(٤) في الأصلين : و النداما . (٥) في بن : في الخمر .

أسقياني حتى أموت مكانى وادفني في طين روس الدنان^١
 واكتبوا من دمي على لوح قبرى رحم الله ميتا سكران
 [٢٠٢: الف] فانظر إلى هذا التغالى في الحر المحرمة . فلو كانت حلالا
 ما تناولوا فيها هذا التغالى ، ولكن لما مُنعوا منها تولعوا بها كما
 قال بعضهم :

منعت شيئا فأكثر الولوع به أحب شيء على الإنسان ما منعنا
 وسيأتى ما قالته الشعراء فيها من الشعر وامتحن بعضهم بها وهاجمهم
 عليها وما قاله صاحب كتاب زهر القريش فى الخشيش . انتهى ٢٠

[من دخل مصر من الحكماء]

١٠ ودخل مصر من الحكماء اعانيون و فيثاغورس ٣ تلامذة
 هرمس الحكيم ، لهم من العلوم صناعة الكيمياء . قال بعضهم فى محبوه
 المتولع بصناعة الكيمياء :

تعلمت علم الكيمياء لجهه بجسمى ماء أضحى بعينه من سقم
 أخذت قراع الحب لطلعت نارها وركبت إنيق القرام على رسم
 ١٥ فصعدت أقامسى وقطرت أدمى فصح من التدبير تصفيرة الجسم
 انتهى .

(١) فى بن : الدنان .

(٢) ساططة من بن .

(٣) فى بن [١٤٩ : الف] : فيثاغورت .

(٤-٤) فى بن : فظمت .

(٥) فى بن : بالجسم .

ولهم أغنى الثلاثة الحكماء من العلوم أيضًا النجوم والسحر و علم
الروحانيات والرباني والطلسمات و أسرار الطبيعة و أحصا الجن
بالمنازل المنصورة ١ .

[بعض ما قيل في الجن و الشياطين]

- ٢ و سأذكر هنا ٢ ما قيل في الجن و الشياطين و إبليس و عرشه ٥
و شعره إن شاء الله تعالى . عن عبد الله بن عباس قال : سمعت علي بن
أبي طالب يقول : خلق الله الجنان من نار السموم و خلق من جنبه زوجته
الجنية ، فغشيها فاضت إحدى و عشرين يضة ، فحضنت واحدة فخرجت
منها قطربة فهي أم القطارب . و قالت : يا قطربة . قالت : إيه . قالت :
احضني هذا البيض . قالت : لذلك خلقت . فحملت خمسا فحضنت عليها ١٠
بجناحها بين مسقط عين الشمس و مطلع سهيل ، فخرجت منها أمة من
الجن يقال لها الزهارس ٢ ، ثم حملت خمسا فحضنت عليها بين مسقط
سهييل و مطلع عين الشمس يقال لها النهارس ، و حضنت خمسة ٤ في
البر فخرجت منها أمة يقال لها التكار ، و حضنت خمسة في البحر يقال لها ٥

(١) في هامش بن : الجن و الشياطين .

(٢-٢) في بن : ولقد ذكر الآن .

(٣) في بن : السعارس .

(٤) في بن : خمساً .

(٥-٥) العبارة ساقطة من بن .

التكاثر . فسل عن الجن قال : كانوا قبل الجن أظهروا غرورا فسلط الله عليهم الملائكة فأبادتهم إلا الأقل . وسألت ' عصفان نساء الجن : هل تحفظ لأبليس شعرا ؟ فأثبتت :

لما ذا سلامة من أخت مطية ٢ موقرة بين أهل الحرص والحسد

ه فأوحشت جنة الفردوس من شبهي وأوحش الخلد مني آخر الأبد

ب / ٢٠٢ / يا ليتني قبل إدباري بمصيصي كنت النسي خلال الروح والجسد

* وكان عبد الله بن عباس راوى هذا الخبر قد شاب مقدم رأسه

وشابت له ، وكان جسيما إذا قعد أخذ مكان رجلين ، وكان جميل

الوجه له وفرة تخضب بالحناء ، وقيل لسواد حسن الوجه يلبس ملبوسا

١٠ حسنا ويكثر من الطيب بحيث أنه كان إذا مرّ في الطريق تقول النساء

هذا ابن عباس جاز ، ولما عى اعترى لونه صفرة يسيرة . ويروى أنه

رأى رجلا مع النبي صلى الله عليه وسلم (قال) : أرايته ؟ قال : نعم !

قال : ذاك جبريل أما أنت ستفقد بصرك ، وفي ذلك تقول :

إن يأخذ الله من عيني نورهما فنى لسانى وقلبي منها نوره

١٥ قال قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل وفى فى صارم كالسيف ماثوره

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) فى بن : لا .

(٣) فى بن : مطية .

(٤) فى بن : هذا .

(٥) هذا القسم قلاع بن ، وهو ساقط من بر الى « قال صاحب كتاب العجائب » .

(٦) فى الأصل : ماثور . وتقتضى القافية إضافة الماء .

ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل . قال عكرمة: لقد رأيت من ابن عجلس مجلساً لو أن جميع قريش غثرت به لكان لها غزراً . رَوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم ألف حديث وستائة وستين حديثاً . عن مسروق أنه قال: كنت إذا رأيته قلت أحلم الناس ، وإذا تكلم قلت أفصح الناس ، وإذا حدث ه قلت أعلم الناس . ولما وضع في نعشه ليصلى عليه رأى ابن مهران طائراً أبيض وقع على اكفائه ، ثم أدخل القبر فالتمس فلم يوجد ، فلما سَوَى عليه التراب سمعنا من سمع صوته ولا يرى شخصه يقرأ: "أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في [بن ١٤٩: ب] عبادي وادخلي جنتي ٣" - انتهى . ١٥

فلنذكر الآن ما قاله ٢ صاحب كتاب العجائب: زعموا أن في البحر الأخضر عرش إبليس يحمله نفر من الأباليس ٣ و العفاريت العظام ، ويحيط به سائر أصناف الجن ، فمنهم من لا يفارقه من حجابيه ونوابه ٤ ،

(١) في الأصل: جميعاً .

(٢) في الأصل: وستون .

(٣) قرآن كريم ٨٩: ٢٧ - ٣٠ .

(٤) هنا ينتهي القسم المأخوذ عن بن والساقط من بر وفيه يبدأ الكلام بالفتلة « قال » استبدلناها بالفتلة « قاله » من بن لربط الجملة بما سبقها .

(٥) في بن [١٤٩: ب] : الأباليس . وبهامش بر: مكان عرش أبليس .

(٦) في بن: وخلفه .

ومتهم من يصرف بأمره في فتنة الناس و كيدهم وتضليلهم ،
وله جزيرة اتخذها سجنا لمن يخالف من الجن أمره . ولما حشرت الجن
والشياطين لسلطان عليه السلام أقبلوا يقولون : ليك ! ليك ! ليجل
ينظر إلى اختلاف صورهم ، فتمهم صفر و شقر وبيض و بلق ،
٥ و منهم ' ما هو على صورة الخيل والبغال والحمير والمواشي والوحوش
والسباع والكلاب ، فلما نظرت إليه الجن خرت ساجدة ، فغم سليمان ؟
على أعناق الجن بخاتمه وفرّتهم إلى مساكنهم ، وصقّد مرّدتهم بالحديد
وفرّتهم في الأعمال المختلفة من قطع الأشجار والصخور وبناء القرى
والمدن والحصون ، وأمر نساءهم أن يغزلن الإبريسم والشعر والقطن
١٠ ونسج البُسُط والتساوير والتماثيل ، وأمرهم باتخاذ القدور الراسيات
والجفان التي هي كالجوابي يأكل من كل قدر ألف إنسان . واشتغل طائفة
منهم بالفوص في البحر وإخراج الأصداف والجواهر ، وأمر بعضهم
بحفر الأنهار والآبار وبعضهم بإخراج الكنوز من تحت الأرض .
وسأني فيما يرد من هذا الكتاب ذكر مطابخ سليمان وموائده ٢ وصفة
١٥ كرسيه ٢ - ان شاء الله تعالى .

[خبر أمية بن أبي الصلت والساحرة]

فلنذكر الآن خبر أمية بن أبي الصلت التقى مع العجوز الساحرة * ،

(١) في بن : ومنها (٢) في بن : سليمان .

(٣-٤) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٤) ساقطة من الأصليين ، وأمّية بن أبي الصلت شاعر مرموق من بني قتيبة .

(٥) الكلمة واردة في بن وساقطة من بر . وفي هامش بر : قصة العجوز الجنية .

وهو أنه خرج الى الشام في نحو من ثيفه وقرش وخرم ، فلما قتلوا
 راجعين نزلوا منزلا واجتمعوا لعشائهم اذ أبلت حية صغيرة حتى ذلت
 منهم ، فخصبها بعضهم بشيء في وجهها فربصت ، وشدوا سفرتهم ثم
 قاموا فشدوا على إبلهم وارتحلوا من منزلهم ، فلما برزوا عن المنزل
 أشرفت عليهم عجوز من كتيب رمل متوكة على عصا لها^١ فقالت: ما منعكم
 أن تطعموا وحيمة الجارية الييمة التي جاءكم عشية؟ قالوا: وما أنت؟
 قالت: أم العوام أريمت^٢ منه منذ أعوام أوامًا ورب العباد لتفرقن في
 البلاد . ثم ضربت بصاها الأرض فأثارت بها الرمل وقالت: أطيلى
 إياهم ، و نقرى ركا بهم [٢٠٣ : الف] فوثبت الإبل كأن على ذروة
 كل بئر شيطانًا^٣ ما نملك منها شيئًا حتى تفرقت في الوادي . فجمعناها
 من آخر النهار إلى ما^٤ غد ولم نكد جمعها ، فلما ألتخناها لترحلها طلعت
 علينا العجوز فمادت بالمصا كفعلها أولا وعادت لمقاتها الأولى ، فخرجت
 الإبل ما نملك منها شيئًا فجمعناها من غد .^٥ فلما ألتخناها لترحلها فطلى
 مثل فعلتها في الأولى والثانية ففرت الإبل وأمسينا في ليلة مقمرة

(١) في بن : أشرفت .

(٢) عن بن ، والكلمة ساقطة من بر .

(٣) في بن : أوتيت .

(٤) في بن : شيطان .

(٥) في بن : من .

(٦-٧) ساقطة من بن .

وَقَمِينَا مِنْ ظَهْرِنَا . قُلْنَا لِأُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ : أَيْنَ مَا كُنْتَ تَجْعَلُهُ مِنْ
 نَفْسِكَ ؟ فَتَوَجَّهَ إِلَى ذَلِكَ الْكَثِيبِ ، الَّذِي تَأْتِي فِيهِ مِنْهُ الْعَجُوزُ حَتَّى هَبَطَ
 مِنْ تَاحِيَةِ أُخْرَى ، ثُمَّ صَحَّدَ كَثِيبًا آخَرَ حَتَّى هَبَطَ مِنْهُ ، ثُمَّ رَفَعَتْ لَهُ
 كَنِيْسَةً فِيهَا قَنَادِيلُ ، وَإِذَا رَجُلٌ مُضْطَجِعٌ مُعْتَرِضٌ عَلَى بَابِهَا ، وَإِذَا رَجُلٌ
 جَالِسٌ أَيْضًا ٢ الرَأْسَ وَالْحَيَةَ ٣ . قَالَ أُمِيَّةُ : فَلِمَا وَقَعْتَ عَلَيْهِ رَفَعْتَ
 رَأْسَهُ فَقَالَ : إِنَّكَ لِمَتَبَوِّعٌ . قُلْتُ : أَجَلٌ . قَالَ : فَمَنْ أَيْنَ يَأْتِيكَ صَاحِبُكَ ؟
 قُلْتُ : مَنْ أَذْنَى الْيَسْرِى . قَالَ : فَأَيُّ الثِّيَابِ يَأْمُرُكَ ؟ قُلْتُ : بِالْأَسْوَدِ .
 قَالَ : هَذَا خُطِبَ الْجَنِّ كَدْتُ وَلَمْ تَفْعَلْ وَلَكِنْ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ تَكَلَّمَهُ
 فِي أُذُنِهِ الْيَمْنَى وَأَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَيْهِ الْبَيَاضُ ، فَمَا حَاجَتُكَ ؟ لِحَدِيثِهِ حَدِيثُ
 الْعَجُوزِ فَقَالَ : صَدَقْتَ وَليْسَتْ بِصَادِقَةٍ ، هِيَ امْرَأَةٌ يَهُودِيَّةٌ هَلَكَ رُوحُهَا
 مِنْذُ أَعْوَامَ ، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَصْنَعُ ذَلِكَ بِكُمْ حَتَّى تَهْلِكَكُمْ إِنْ اسْتَطَاعَتْ .
 قَالَ أُمِيَّةُ : فَمَا الْحِيلَةُ ؟ فَقَالَ ٦ : اجْمَعُوا ظَهْرَكُمْ فَإِذَا جَاءَتْكُمْ فَعَمَلْتُ كَمَا كَانَتْ
 تَفْعَلُ فَتَقُولُوا لَهَا سَبْعًا مِنْ أَسْفَلِ : يَا سَمْعَكَ اللَّهُمَّ ، فَضَعُوا ذَلِكَ فَلَمْ تَضُرَّهُمْ . فَلَمَّا
 رَأَتْ الْعَجُوزُ الْإِثْلَ لَا تَتَحَرَّكُ قَالَتْ : قَدْ عَرَفْتُ صَاحِبَكُمْ لِيَبْيَقَنَّ أَعْلَاهُ
 وَابْيَسُودَ أَسْفَلُهُ . وَسَارُوا ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُمُ الصَّبِيحُ نَظَرُوا إِلَى أُمِيَّةَ وَقَدْ تَبَرَّصَ

(١) فِي بَرٍّ : طَهْرَتَا ، وَالْأَصْحَحُ فِي بَنٍ كَمَا أوردناه فِي النِّصْسِ .

(٢) سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلَيْنِ . رَاجِعِ الْخَاشِيَةَ ٤ ص ٣٠٨ .

(٣-٢) فِي بَنٍ . الْحَيَةُ وَالرَّأْسُ .

(٤) فِي بَنٍ : مَتَبَوِّعٌ .

(٥) فِي بَنٍ : السَّوَادُ .

(٦) عَنْ بَنٍ [١٥٠ : ٩] ، وَفِي بَرٍّ : قَالَ .

في عذاره وزقته و صدره و اسود أسفله ١ - انتهى .

[سقراط و أرسطاطاليس و بطليموس من حكماء مصر]

نعود إلى ذكر ٢ الحكماء . و من حكماء مصر ٢ سقراط صاحب الحكمة ،

و منهم أفلاطون صاحب السياسة و النواميس ، و كان أرسطاطاليس

معلم الإسكندرية أحد تلامذته . ٣ و منهم ارسطاطاليس صاحب المنطق ٥

و الآثار العلوية و الحس و المحسوس و الكون و الفساد . ٣ و منهم

بطليموس الصعدي صاحب الرصد و المساحة و الحساب و تركيب

الأنفلاك و حركة الشمس و القمر [٢٠٣ : ب] و الكواكب المتحركة

و الثالثة و صور تلك البروج و كتاب جغرافيا في مساحة الأرض و أقاليمها

و البحار و ألوانها و الأنهار و العيون و ابتدائها و انتهائها و صفة الأمم ١٠

(١) زيد في بن عبارة بعضها غير واضح لا يؤدي معنى وهي : ابتكر حوا من

الأولاد ، و أقدم العالم في البلاد ، عرك ممدود إلى التتاد ، غيرتنا بحديث عاد ،

و مبتدأ مرعون ذو الأوتاد ، يجوز عظمة الأكباد ، قد صمرت أمية في الواد ،

و برمه و أثر السواد . لعنت لعنا يشبه الحداد ، و صيرت في خزي و أنكاد ،

ملعونة بالسنة العباد .

(٢-٢) في بن : من كان بمصر من الحكماء منهم .

(٣-٣) كذا في بروهي ساقطة من بن . و الجملة في مجموعها بحاجة إلى تعديل

و لكن تركناها كما هي في النص ، و بما كان الأصح فيها نقل « أحد تلامذته »

إلى ما قبل بطليموس و حذف « و منهم أرسطاطاليس » زائدة .

(٤) مكررة في بن .

(٥-٥) في الأصلين : و ابتدائها و انتهائها .

الذين يعمرن وجه الأرض وأن المسور في الأرض أقل من الثلث وأكثر من النجم، وأما الذي لا يعمر من الأرض ولا يكون فيه حيوان ولا نبات فهو ما كان من الجنوب عرضه عن خط الاستواء تسع عشرة درجة ٢، لأن الشمس إذا صارت في السبلة في خمس درجات ٣ إلى أن تبلغ خمس درجات ٣ من الحوت قربت منه وثبتت عليه فأحرقت كل شيء. وكذلك كل ما كان في الشمال بعده عن مدار رأس السرطان تسعون درجة لأن الشمس إذا صارت إلى البروج الجنوبية لا تطلع عليه ستة أشهر، فتعقد البخارات هناك ولا ترتفع، فلا يكون هناك حيوان ولا نبات، وفي نهاية العمران من خلف معدل النهار في الجنوب المسمى 'يمين معدل النهار' على المواضع المتساوية ١٠ الأبعاد تكون الحيوانات الشاذة الخلق العجيبة التركيب كالقيلة والطير. قال رجل من قریش: كنت على ضفة البحر المحيط بأرض المغرب فأصبح على أحد بيوت ذلك الموضع طائر قد وقع على البيت فانهدم البيت بوقوعه عليه، ودخلت في حوصلة خشبة من خشب البيت فمات، وكان من طرف جناحه إلى طرفه الآخر 'ثمانون' شبرا - انتهى .

(١) في بن: وأما .

(٢) في بن: درج .

(٣-٣) ساقطة من بن

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) في بن: ٩ .

(٦-٦) في بن: الشارة .

(٧) في بن: الثاني .

(٨) في بن: ثمانين . وصحتها من بن .

(٩) ساقطة من بن، وبعدها زيد فيها: وكان سرموق ملك مصر كاهنا وكان -

[ما أحدثه 'حكاة الهند']

فلنذكر الآن هنا ما أحدثه ١ حكاة الهند، وذلك أنهم أحدثوا في أيام البرهمس وهو الملك الأكبر كتاب السندهند وتفسيره دهر الدهور ومنه فرعت الكتب ٢ ككتب الازجهر والمجسطى، قرح من الازجهر الاركنند ومن المجسطى كتاب بطليموس ٥. ثم عمل منها بعد ذلك الزيجات وأحدثوا التسعة أحرف المحيطة بالحساب الهندى. وكان بطليموس أول من تكلم في أوج الشمس وذكر أنها سبعون ألف هازردوان، وأن العالم إذا قطع هذه المدة عاد الكون وأظهر النسل وسرحت البهائم وتقلقل الماء ودب الحيوان - قاضيا على الكهنة وعمل الصور فيها صورة منها البراميث من مدينة مصر وعمل صورة الطير للدعوى بشرط وكان يؤذى أهل مصر في زروعهم، وكان إذا غزاه أحد من الملوك أخذه الرعاف هو ومن معه حتى يموت فإن ذهب قيل أن يحمل به الرعاف فامتعت المملوك من غزوه وحاجته ملوك الصين والنبط على بعض ما منه وكان عليه ظلم الرعاف ودفعه بمصر فم له ذلك له المهابة والمحبة في قلوب الرعية فأطاعته الروحانية بتلك النواحي ومن أراد الوقوف على صنيعه التي عملها حكاة مصر في اليرابي وغيرها فليطالع كتاب المدخل رسالة الطلاسم لباليتاس الحكيم.

(١) في الأصلين : أحدثته .

(٢) زيد في بن [١٥٠ : ألف] : قال للسعودى في كتاب مروج الذهب .

(٣) ساقطة من بر، واردة في بن .

(٤) في الأصل : المجسطى . والجملة بين «المجسطى» و«من المجسطى» ساقطة من بن .

(٥) في بن الأحراف .

(٦) في بن : ظهر .

و توبل المشب و خرق النسيم الهواء . فأما أكثر الهند فأنهم قالوا بكون منصوبة على دوائر يتبدى القوى متلاشية الشخص موجودة القوة منتصبة الذات وحدوا لذلك أصلا ضربوه^١ . وقتا [٢٠٤ : الف] نصبوه ، وجعلوا الدائرة العظمى والحادة الكبرى وسما ذلك^٢ بمر العالم ، وجعلوا المسافة ه بعد البدء والانتها^٣ ستا^٤ وثلاثين ألف ستة مضرورة في اثني عشر ألف عام ، وهذا عندهم الهازروان وأنه الضابط بقوى الأشياء والمدرك لها ، وأن الدوائر تقبض وتبسط جميع المعاني التي تستودعها^٥ ، وأن الأعمار تطول في أول الكرة^٦ لانفساح الدائرة وتمكن^٧ القوى من المجال ، وتقصر الأعمار في أواخر الكرة^٨ لضيق الدائرة وكثرة ما يعرض فيها من ١٠ الاكدار البارة للأعمار . وذلك أن قوى الأجسام وصفوتها في أول الكرة^٩ تظهر^{١٠} وتسرح^{١١} لأن الصفو يسابق الكدر والصافي يادر الثقل ،

(١) في بن [١٥٠ : ب] : تبدى .

(٢ - ٣) مطموسة بترسيم هامش بن .

(٣) عى بن : وفي بر : بذلك .

(٤) في بن : البدء والانتها ، وفي بر : والانتها ، ساقطة .

(٥) في بن : ستة .

(٦) في بن : وان .

(٧) في بن : تستوعبها .

(٨) في بر : الكر - وصوابها في بن كما أوردناه في النص .

(٩) في بر : بقاء المضارعة ، وفي بن : بالقاء وهو الأصح .

والأعمار تطول بحسب صفاء المزاج و تكامل القوى المؤدية إلى الإخلاق
الكائنات الفاسدات المستحيلات الباديات ، وأن آخر الكرة ' الأعظم
وغاية البدء الأكبر تظهر الصور متشوهة والنفوس ضعيفة والامزجة
مختلطة ، وتتناقص القوى وترد المواد في الدائرة منعكسة مزدحمة
فلا يحضن^١ ذروا الأعصار بتمام الأعمار . وذكر بطليموس أيضا أن
مدن الأرض في عهده^٢ أربعة آلاف مدينة و مائتين و تمانين مدينة -
انتهى^٣ .

نعود إلى ذكر ولد البرهم الملك الهندي ، و ذلك أن ولده
يعرفون^٤ بالبراهمة و الهند تعظمهم و هم أعلا أجناسهم و أشرفهم ،
ولا تتغذى بشيء من الحيوان ، و في رقاب الرجال و النساء منهم خيوط ١٠
حفر متقلدين بها كحماثل السيوف فرزاً^٥ بينهم و بين غيرهم^٦ من أنواعهم
و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب لمع^٧ من أخبارهم ان شاء الله تعالى^٨ .

(١) في الأصول : الكر .

(٢) في بن : يحض - و لعله « يحظى » .

(٣) في بر : عدة . و هي كذلك في بن .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بر : يعرفوا . - و الصواب في بن .

(٦) في بن : تميزا .

(٧-٧) العبارة ساقطة من بن .

(٨) في الأصلين : لما .

فأرجع إلى ذكر حكماء مصر . فتنهم أيرن^١ وله الهندسة والحيل
الروحانية وعمل التنكيات^٢ والآلات لقياس الساعات . ومنهم فيلون^٣
وله عمل الدواليب والآرجية والحركات بالحيل اللطيفة . ومنهم
ارشميدس^٤ صاحب عمل المجانيق ورمى الحصون والحيل على الجيوش
ه . والساكر بر^٥ وبحرأ ، وكل هؤلاء الحكماء كانوا يسكنون مصر في الدهور
الماضية والأمم^٦ السالفة ، فآغيرت ذهن واحد منهم ولا أضرت بعقله .

[قارون وهامان وبخت نصر]

ومن أهل مصر قارون وكان ابن عم موسى عليه السلام . فقال الله
تعالى : "وَأْتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ"^٧ .
١٠ . وكان قارون [٢٠٤ : ب] أيسر أهل الدنيا . ومنهم هامان^٨ قال
فرعون : "يأياها الملا" ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي ينهارن^٩ على
الطين فاجعل لي صرحاً^{١٠} . ومنهم يديس^{١١} والد بخت نصر من أهل

(١) في بن : إيزن . . وجأز أن الصواب « ايرون » .

(٢) في بن : التنكيات . ومعناها غير واضح على كل حال .

(٣) في بن : فيلون . - وهو Philon .

(٤) في الأصلين : ارميسيدس . والقصود واضح في Archimedes .

(٥) في بن : والأمود . وصوابه في بن .

(٦) قرآن كريم ٢٨ : ٧٦ .

(٧) قرآن كريم ٢٨ : ٣٨ . وزيد على بن : وسيأتي ذكر الصرح وهدمه إن شاء الله تعالى .

قرية يقال لها سيسروا من كورة أرمنت ، وكان رجلا من أهل العلم
فنظر في علمه فإذا هو يخرج من صلبه رجل يخرج مصر وأرضها ،
فأعطى الله عز وجل موثقا أن لا يتكح امرأة أبدا ، وخرج إلى الشام
ثم إلى العراق فأقام بقرية يقال لها نصر ، وكان لملك تلك القرية ابنة
بها جنون ، فوصف ٢ المصري لدوائها فدخل عليها فجري بينهما أسباب
إلى أن حملت منه فوضعت بخت نصر ، فجري خراب مصر على يديه ،
وأقامت مصر مدة أربعين سنة يجري نيلها ويذهب ولا يتفع به لعدم
من يزرع أرضها . وفي عصره ٣ كان دانيال ، فسار البخت نصر وهو
مرزبان العراق من قبل ملك فارس إلى بيت المقدس ، وكان يومئذ يبلخ ،
وكانت بلخ قصة الملك ، فأمن البخت نصر في القتل لبنى إسرائيل إلى
العراق ، وأخذ التوراه وما كان في هيكل بيت المقدس من كتب والأسر
وحملهم الأنبياء وسير الملوك فطرحة في بئر . وحمد إلى تاوت السكينة
فأودعه بعض المواضع من الأرض . فيقال : إن الذي كان عدة من سبا

(١) في بن : ٢٥ .

(٢) ريد في بن [١٥١ : الف] : له .

(٣) في بن : عصر .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : هذه .

(٦) في بن : سى .

من بنی اسرائیل ثمانیۃ عشر ألفاً، وقیل: کان البخت نصر 'مرزباناً لیستأسف'
الملك الفارسی، والمرزبان عند الفرس ملك على ربع من أوباع الملك،
وكان قد دوخ الأرض و ذلل الملوك من كل أرض^۲ أمة للملك فارس.
وسار البخت نصر إلى مصر فقتل فرعون الأعرج، وسار نحو المغرب فقتل بها
ملوكاً وافتتح بها مدائن، وقد كان ملك فارس تزوج 'جارية من' بنی اسرائیل^۱
فأولدها ولداً، فلما كبر الولد قالت له أمه: قل لأبيك الملك یرد أسارى
بنی اسرائیل^۱ إلى أرضهم. فردم إليها، ولما رجع^۲ بنو اسرائیل إلى بیت
المقدس ملكوا^۳ عليها زربابیل بن سلساب، فابتنی^۴ مدينة بیت المقدس

- (۱) نبوخذ نصر (Nebuchadnezzar Nebuchadrezzar) الثاني الذي ورد
بالعهد القديم وقد عاش في القرن السادس ق الميلادی ملكاً على بابل.
(۲) يغلب أنه هستاسبس Hystapes وهو ابن Arsames ووالد دارا الأول Darius I
ملك فارس وجاء ذكره في هيرودوت حاكماً على Parthia وملحقاً بها في
أيام قيصر في القرن السادس قبل الميلاد.
(۳) ساقطة من .

(۴) في بر: زوج، والأصح في بن .

(۵) زيد في بن: سبأيا .

(۶-۷) العبارة ساقطة من بن .

(۷) في الأصلين: رجعت .

(۸) في الأصلين: ملكت .

(۹) في: بن قانتا - وهي كدك في بن .

و عمر ما كان خربده، وأخرج^١ بنو إسرائيل التوراة التي أوردوها موسى عليه السلام، وتلك سُجِّرت، و بُدلت، وأن المحدث لهذه التي بأيديهم هذا الملك المذكور لأنه كان^٢ جمعها عن كان يحفظها^٣ من بني إسرائيل، وأن التوراة الصحيحة هي ما في أيدي^٤ السامرية دون غيرهم.

[٢٠٥: الف] و كان سبب مسير بخت نصر إلى بيت المقدس^٥ و سببه ٥
 لبني إسرائيل أنه كان يبايل ملك يقال له حزقيا^٦، فأظهر عبادة الرحمن و أمر بكسر الصلبان^٧، و في ملكه سار سنحاريب^٨ من بابل^٩ إلى بيت المقدس، فكانت له حروب كثيرة مع بني إسرائيل، فسبى^{١٠} من الأسباط عددا كثيرا، ثم ملك بعد حزقيا^{١١} ولد له يقال له منشا^{١٢}، فعم شره سائر

(١) في بن: أخرجت .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن، محفظه .

(٤) ساقطة من بر: و واردة في بن .

(٥) زيد في بن: و أخرا به لما .

(٦) في الأصلين: حزقيل - من ملوك اليهود مذكور بإسفار العهد القديم

. Hzekiah

(٧) ملك أشور Sennecharih و حكمه من ٧٠٥ إلى ٦٨١ ق م .

(٨) في بن: ياب .

(٩) في الأصلين: قبا .

(١٠) في الأصلين: ميشا، و الغالب أن صحته منشا Manassch كما أوردنا بالنص

وهو من ملوك اليهود الطغاة حوالي القرن الثامن وأوائل السابع قبل الميلاد =

أهل مملكته وهو الذي قتل شعيا النبي عليه السلام، فبعث إليه قسطنطين^١
 ملك الروم يتوعدّه، فسار إليه في الجيوش فهزم قسطنطين^٢ جيوشه
 وأسره . فأقام أسيرا في أرض الروم عشرين سنة ، وأقطع عما كان
 عليه وعاد إلى مملكه فأقام إلى أن مات . ثم ملك بعده ولده له يقال
 له امون بن منسأ^٣، فأظهر الطغيان وكفر بالرحمن وعبد التماثيل والأصنام .
 فلما اشتد بنيه سار إليه فرعون^٤ الأعرج^٥ من مصر^٦ في الجيوش، فأمن
 في القتل وأسره فرعون . ومضى به إلى مصر هلك هنالك . وملك بعده
 أخ له يقال له^٧ فوقيم^٨، وفي عصر هذا الملك سار البخت نصر إلى
 بيت المقدس فمل بها ما تقدم ذكره . وقيل أن بخت نصر عاش سبعماية
 سنة ، . الله أعلم . انتهى .

ومعروف أن حكمه كان أطول حكم في تاريخ مملكة اليهود حيث بلغ طوله
 ٥٣ عاما .

(١) ربما كان هنا خطأ في الأسماء والعصور في تاريخ الرومان ، كما حدث بعدئذ
 في عرضه لتاريخ الاسكندر ووضعه بعد المسيح .

(٢-٣) العبارة ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : امورابن ميشا - وهو من ملوك اليهود بالعهد القديم وحكمه
 تقريبا ٦٤٠ - ٦٢٨ ق م .

(٤) ليس من السهل تحقيق اسم هذا الفرعون ولكن المفهوم أنه أحد ملوك
 الأسره السادية الثانية والعشرين وتاريخها من ٦٦٤ إلى ٥٢٠ ق م على وجه
 التقريب .

(٥) لم تستطع تحقيق هذا الاسم وهو كذلك في الأصلين .

(٦) زيد في بن : تعالى .

[الإسكندر وتأسيس الإسكندرية]

ومن أهل مصر الإسكندر ، وكان بعد المسيح في الفترة . وهو الذي بنى مدينة سمرقند وبنى الأبراج والمناظر على بحيرة طابس في آخر الهارة التي بالشمال وفعل بالعراق الأفاعيل غضبا لما فعل ٢ بخت نصر بمصر وأرضها . وهو الذي بنى الإسكندرية ، وذلك أن الإسكندر ٥ لما استقام ملكه في بلاده صار يختار أرضا صحيحة الهواء والترية والماء ، فسار ٣ إلى موضع الإسكندرية فأصاب في موضعها أثر بنيان وعمد كثيرة من الرخام ، وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المستند ، وهو القلم الأول من أقلام حير وملوك عاد : أنا شداد بن عاد بن شداد ابن عاد ، شددت ٦ ساعدي البلاد ، وقطعت عظيم العماد ، من الجبال ١٠ والاطواد ، وأنا بنيت إرم ذات العماد ، التي لم يكن مثلها في البلاد ، أردت أن أبى مدينة ههنا ٧ كإرم ، وأقل إليها كل ذى قدم وكرم ، من جميع العشائر والأمم . وذلك أن لا ٨ خوف ولا هرم ، ولا إغتمام

(١) زيد قبلها في بن : نمود ، وبهامش بر : الإسكندر .

(٢) في بن : فعله .

(٣) عن بن ، وفي بر : نصار .

(٤) في الأصلين : كثير .

(٥) في بن [١٥١ : ب] : ابن .

(٦) في بن : شدد .

(٧) عن بن ، وفي بر : هاهنا .

(٨) ساقطة من بن ، ولا يمكن قراءتها « بلا » .

ولاسقم ، فأصابتني ما أعجلني^١ عما أردت وهي حال مع وقوعها طال
 همي وشغبي ، وقلّ نومي وسكني ، فارتحلت بالأمس عن داري لا أقهر
 ملك جبار ، ولا خوف جيش جرار ، ولا على رغبة ولا على^٢ صغار ،
 [٢٠٥: ب] ولكن لتمام المقدار ، واقطاع الآثار ، وسلطان العزيز
 ٥ الجبار ، فن رأيت أثرى ، وعلم خبري ، وطول عمري ،^٣ ونفاذ بصري^٤ ،
 وأشد حذري ، فلا يغتر بالدنيا بعدى - وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع
 من الاعتزاز بها ، والسكون إليها . فقول الإسكندر مفكرا يتدبر هذا
 الكلام ويعتده ، ثم بحث فحشر الصنائع من البلاد وخط الأساس وجعل
 طولها وعرضها أميالاً ، وحشر إليها العمود والرخام وأتت المراكب
 ١٠ فيها الرخام وأنواع المرمر والأحجار من جزيرة صقلية وبلاد إفريقية
 وإقريطش وأقصى بحر الروم . وأمر الإسكندر الفعلة والصنائع أن
 يدوروا بما رسم لهم من أساس سور المدينة ، وجعل على كل قطعة من
 الأرض خشبة ، ثم جعل من الخشبة إلى الخشبة حبالاً مربوطة^٥ بعضها
 إلى بعض ، وأرسل جميع ذلك بعمود من الرخام ، وكان أمام مضروبة^٦ ،
 ١٥ وعلق على العمود جرساً عظيماً مصوتاً ، وأمر الناس والقوام على الصنائع
 والبنائين والفعلة أنهم إذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال

(١) في بن : إجمعي . (٢) في بن : عن .

(٣-٤) كذا في الأصلين ، ولعل الجملة : ونفاذ بصري .

(٤) عن بن ، وفي بر : متوسطة .

(٥) كذا في بر ، وفي بن : مضربه همودا .

وقد علق على كل قطة منها اجرسا صغيرا عرسوا على أن يضعوا
 أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها . وأحب الإسكندر أن
 يجعل ذلك في وقت يختاره ، وطالع سعد يأخذه ، تخفق^١ نوما برأسه ،
 وأنذته نومة في حال ارتقابه الوقت المحمود ليأخذ فيه الطالع ، فجاء
 غراب مجلس على جبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فخرقه وخرج
 صوت الجرس ، وتحركت الجبال ونفق ما عليها من الاجراس الصغار ،
 وكان ذلك معمولا بحركات فلسفية^٢ وحيل حكيمة^٣ ، فلما رأى الصناع
 تحرك^٤ الجبال وسموا تلك الأصوات وضعوا الأساس دفعة واحدة
 وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس ، فاستيقظ الإسكندر عن رقدته
 وسأل^٥ الخبر ، فأخبر بذلك وعجب وقال : أردت أمرا وأراد الله
 غيره وبأي الله إلا ما يريد ، أردت طول بقائها ، وأراد الله سرعة
 فاتها وخرابها وتداول الملوك إياها . وإن الإسكندر لما أحكم بناءها
 وثبت أساسها ، وجنّ الليل عليهم ، خرجت دواب^٦ البحر فأتت على
 جميع ذلك البنيان فأخربته^٧ ، فقال^٨ الإسكندر حين أصبح : هذا

(١-١) في الأصلين : جرس صغير .

(٢) زيد في بن : الإسكندر .

(٣-٣) في بن : وحكم جليلة .

(٤) زيد في بن : تلك .

(٥) زيد في بن : عن . (٦) زيد في بن : من .

(٧) ساقطة من برو واردة في بن .

(٨) في بن : قال .

بدء^١ الخراب في عمارتها، وتحقيق مراد الباري في زوالها، وتعليق
من فعل الدواب فلم يزل البناء يعني في كل يوم ويحكم [٢٠٦: الف]
ويوكل به من يمنع الدواب إذا خرجت من البحر فيصيحون وقد أخرج
البيان. فخلق الإسكندر لذلك وراعه ما رأى، فأقبل يفكر ما الذي
ه. يصنع وأية حيلة يوقع في دفع الأذية عن المدينة، فسحت له الحيلة
في ليلة عند خلوه بنفسه وإبراده الأمور وإصدارها. فلما أن^٢ أصبح
دعى^٣ بالصناع، فأتخذ^٤ له تابوتا من الخشب طوله عشرة أذرع في
خمسة^٥، وجعل فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها^٦ حشب التابوت،
وقد أمسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الأظلية الدافعة للآلئ حذرا
١٠ من دخوله إلى التابوت، وقد جعل فيها^٧ مواضع للرجال، ودخل^٨
الإسكندر التابوت ورجلان من كتّابه مع له علم باتقان التصوير ومبالغة
فيها (كذا)، وأمر أن يُسد عليه الأبواب^٩ وأن تغطي بما ذكرنا

(١) في الأصول: بدو.

(٢) ساقطة من بن.

(٣) في بن: دعا.

(٤) في بن: فأخذ.

(٥) في بر: خمس، وفي بن: عرض خمسة.

(٦) في بن: به.

(٧) في بن: [١٥٢: الف]: فيه.

(٨) في بر: وذكر. وصحته في بن كما أوردناه بالنص.

(٩) في بن: التابوت.

من الاطية ، و أمر فأتى بمركين عظيمين فأخرجهما إلى لجة البحر ، و خلق على التابوت من أسفله منقلاات الرصاص والحديد والاحجار لتهدى بالتابوت سفلا ، إذ كان من شأنه لما فيه من الهواء أن يطفو فوق الماء ولا يرسب^١ سفله ، وجعل التابوت بين المركين ، وأصقها بحسب ما^٢ بينهما لتلا يفرقان^٣ ، وشد جبال التابوت إلى المركين وطولها ، ه ففاس التابوت حتى انتهى إلى قسار البحر ، فظهر إلى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف في صفه ماء البحر ، فاذا بصور شياطين على مثال الناس رؤوسهم^٤ على مثال رؤوس^٥ السباع ، وفي أيدي بعضهم القوس^٦ ، وفي أيدي بعضهم المناشير والمقامع ، يحكور بذلك صنّاع المدينة والفعلّة وما في أيديهم من آلات البناء . فأثبت ١٠ الإسكندر ومن معه تلك الصور وحكوها بالتصوير في القراطيس على اختلاف أنواعها ونشأة خلقها وقدردها وأشكالها ، ثم حرك الحبال ، فلما أحس بذلك من في المركين اشتقوا^٧ التابوت ، فلما خرج الإسكندر عن التابوت وسار إلى مدينة الإسكندرية ، أمر صنّاع الحديد والنحاس

(١) كذا عن بن ، والكلمة في بر : يرب . وزيد بعدها في بن : في .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) كذا عن بن ، والكلمة في بر : يفرقا .

(٤) في الأصلين : رؤوسهم .

(٥) في الأصلين : رؤوس .

(٦) في الأصل : القوس .

(٧) في بن : استقوا .

والحجارة ، فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صورّه الإسكندر
وصاحبه . فلما فرغوا منه وضعت تلك التماثيل ' على العمدة بشاطئ
البحر ، ثم أمرهم فبنوا . فلما جنّ الليل وظهرت تلك الدواب والآفات
من البحر ،^٣ فنظرت إلى صورها على المُمَدَّ^٢ مقابلة للبحر ، رجعت إلى
البحر ولم تعد . [٢٠٦: ب] فعند ذلك تم بناء الإسكندرية وشيدت^٥ ،
وأمر الإسكندر^٦ أن يكتب على أبوابها : هذه الإسكندرية أردت
أن أبنها على الفلاح والنجاح واليمن^٧ والسرور ، والثبات على الدهور ،
فلم يرد الباري عز وجل ملك السماوات والأرض أن أبنها لذلك فبنيتها
وأحكمت بناءها وشيدت سورها ، وأتقنى الله من كل شيء علما وحكما
١٠ وسهّل لي وجوه^٨ الأسباب فلم يتعذر عليّ في العالم شيء مما أردته^٩ ،
ولا امتنع عني شيء مما طلبته لطفًا من الله عز وجل وصنعا لي وصلاحا

(١) في بن : الصور والتماثيل .

(٢) عن بن ، والكلمة في بر : لشاطئ .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤-٤) في بن : فسر ذلك ثم بنى .

(٥) في بن : وشيد .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) زيد في بن : واليه .

(٨) عن بن ، وفي بر : وجود .

(٩) في بن : أردتها .

لعباده^١ من أهل عصرى ، والحمد لله رب العالمين لا إله إلا هو رب كل شئ^٢ .

[أخبار أهل الفترة^٣]

فلنذكر الآن من كان فى الفترة^٤ إن شاء الله تعالى^٥ . قال المؤرخون : كان فى الفترة أصحاب الكهف ، وقد تقدم ذكرهم^٦ فأغنى^٧ عن اطاعتهم ، وسيأتى أيضا ذكرهم^٨ فى أخبار الروم^٩ بخلاف ما تقدم . وقد كان فى الفترة جرجيس عليه السلام^{١٠} ، وقد أدرك بعض الحوارين فأرسل إلى ملك الموصل يدعوه إلى الله فقتله ، فأحياه الله فأمر بنشره^{١١} فى الثالثة^{١٢} وإحراقه وأدراه^{١٣} فى الدجلة ، فأهلك الله ذلك الملك وجميع أهل مملكته . وقد ذكرت خبره ههنا^{١٤} بجملاً ، وسأذكر^{١٥} خبره مفصلاً فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

ومن كان فى الفترة حبيب النجار ، وكان يسكن مدينة أنطاكية من أرض الشام ، وكان بهاملك^{١٦} مُتَجَبِّر يعبد التماثيل والصور ، فسار إليه إثنان من تلاميذ

(١) فى بن : اخباره .

(٢) زيد فى بن : انتهى ما قيل فى الإسكندرية . و بهامش بر هنا : من كان فى زمن الفترة .

(٣) و اوضح أن المقصود بالفترة « الجاهلية » أو بالتحقيق الفترة الواقعة بين ظهور المصحية والإسلام .

(٤-٥) هذه الجملة ساقطة من بن .

(٦) فى بن : و ادراه . و يلاحظ أن بهذا القسم سقطا كبيراً فى اللفظ والمعنى من بن . (٧) فى الأصل : هاهنا .

المسيح قدعواه إلى الله ، فحبسهما وضرهما فمزهما الله^١ بثالث اسمه بالرومية بطرس و اسمه بالعربية سمعان وبالسريانية شمعون الصفاء ، وقيل اسمه بولس^٢ والاثنتان المتقدم^٣ ذكرهما اللذين أودعا الحبس هما توما و بطرس ، لهما مع ذلك الملك خطب طويل فيما أظهرهما من الإعجاز والبراهين ومن إراء الأكثمة والأبرص وإحياء الموتى ، و حيلة بولس عليه لمداخلته إياه واستنقاذ صاحبيه من الحبس ، فجاء حبيب التجار صدقهم لما رأى من آيات الله ، وقد أخبر الله بذلك من أمرهم في كتابه بقوله : ” إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعزنا بثالث^٤ “ - إلى قوله : ” جاء من أقصى المدينة رجل يسمى^٥ “ . وقتل بطرس و بولس بمدينة رومية^٦ ١٠ و صلبا متكوسين ، وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك ، ثم جملا بعد ذلك في [٢٠٧ : الف] أخزنه اللور و ذلك بعد ظهور النصرانية . وقد تقدم^٧ خبر الكيستين اللتين هما بهما مدفونان^٨ بمدينة رومية^٩ ، الواحد بالكنيسة الشرقية مها^{١٠} و الثاني بالكنيسة الغربية فأغنى ذلك عن

(١) زيد في بن : تعالى .

(٢-٣) في كل من برو بن [١٥٢ : ب] : و الاثنتين المتقدمين .

(٣) قرآن كريم ٣٦ : ١٣ .

(٤) قرآن كريم ٣٦ : ١٩ .

(٥) زيد في بن : في هذا الكتاب .

(٦) في الأصلين : مدفونين .

(٧) في بن : رومه .

(٨) في بن : منها .

الامادة .

وكانوا هؤلاء تلامذة المسيح من الحواريين ، وكانت الحواريون^١
 اثني عشر ، وهم شمعون و بطرس وتوما ومتى ويوحنا ويعقوب وبولس
 وجرجيس و ماسرجيس و جرجس و أيوب و يوحنا أيضا . و سألت
 بنو إسرائيل عيسى عليه السلام يوما أن يزل عليهم مائدة ، فلبس^٥
 عيسى عليه السلام المسوح و فرش^٢ و دعا الله و هو قائم يصلي فقال
 في دعائه : " اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لا ولنا
 و آخرها^٣ " الآية . فأنزل الله عز وجل مكتلا فيه ثلاث سمكات و ثلاثة
 أرغفة ، و السمكات مشويات ليس عليها شوك و لا فلول . فقال له
 بنو إسرائيل : لو دعوت الله فأحي^٤ لنا هذا السمك ! فدعى عيسى^٥ و
 فاضطربت سمكه و عاد لها فلول ، ثم دعى^٥ الله عز وجل فعادت إلى
 حالتها الأولى فقالوا : يا روح الله ! كن أنت أول من يأكل^٦ منها . فقال
 عيسى : إنما يأكل منها من سال ذلك . فأكلوا فصدر عن الارغفة
 و السمك ألف إنسان و هي لم تنقص شيئا ، ورفضت المائدة و هم ينظرون
 و استغنى كل فقير أكل^٧ منها ، و استشفى كل مريض ، و بقيت المائدة^{١٥}

(١) في هامش بر: عدة الحواريين و أسماءهم .

(٢) زيد في بن : الرماد .

(٣) قرآن كريم : ١١٤ : ٥ .

(٤) في بن : فأحيأ .

(٥) في بن : دعا .

(٦) في بن : أكل .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

نزل عليهم أربعين يوما صباحا فلا تزال موضوعة يؤكل منها حتى إذا كان المساء ارتفعت إلى السماء وهم ينظرون . وشك فيها جماعة من الناس ووقعت الفتنة وارتابوا و مسح الله منهم خمسة آلاف وخمس مائة على فرشهم ونسأهم فأصبحوا قردة و خنازير .

و عن كان في الفترة أصحاب الأخدود^١ ، فكانوا في مدينة بنجران اليمن في ملك ذي نواس^٢ الحميري ، وكان على دين اليهودية ، فبلغه أن قوما بنجران على دين المسيح ، فسار إليهم بنفسه . فحفر لهم أحاديث في الأرض وملاها جبرا وأضرعها نارا ، ثم عرضهم على اليهودية ، فمن تبعه تركه ، ومن أبى قذفه في النار ، فأتى بامرأة معها طفل ابن سبعة أشهر ، فأبت أن تتخلي عن دينها ، فأدبنت من النار لمجرت ، فأطلق الله الطفل فقال : يا أماء^٣ أمضى على دينك فلا نار بعد هذه . فالتقاهما في النار^٤ ، وكانوا مؤمنين موحدين [٢٠٧: ب] لا على رأى النصرانية في هذا الوقت ، قضى رجل منهم يقال له ذو ثعلبان إلى قيصر ملك الروم يستجده ، فكتب له إلى^٥ التجاشي ملك الحبشة لأنه كان

(١) زيد بن : عند .

(٢) في هامش بن : مطلب يذكر فيه أصحاب الأخدود .

(٣) في بن : ذنواس .

(٤) في بن : فاحضر .

(٥) في بن : يا أمة .

(٦-٦) في بن : فالتقاه في النار و ابنها .

(٧) الكلمة ساقطة من .. و بها يضير المعنى .

أقربهم دارا ، فكان من^١ أمر الحبشة و عبورهم إلى أرض اليمن و تغلبهم عليها إلى أن كان من أمر سيف بن ذي يزن الحيرى و استنجاهه الملوك إلى أن أنجده أنوشروان^٢ ، فكان^٣ من أمره ما تقدم ذكره فى هذا الكتاب .

- و من كان فى الفترة قس بن ساعدة^٤ بن زياد بن نزار بن معد بن هـ
عدنان ، و كان حكيم العرب ، و كان مقرا بالبعث و النشور ، و هو الذى يقول : من عاش مات ، و من مات ، فات و من فات كانت له الأرض كفات ، و كل ما هو آت آت . و قد ضربت العرب بحكمته و عقله الأمثال و قدم على النبي صلى الله عليه و سلم وفد من زياد فسألهم عنه فقالوا : هلك . فقال : رحمه الله كأن أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل ١٠
أحر و هو يقول : أيها الناس اجتمعوا و اسمعوا^٥ و عوا ، من عاش مات ، و من مات فات ، و كل ما هو آت آت ، أما بعد فإن فى السماء نجرا ، و أن فى الأرض لعبرا ،^٦ أبجر تموج ، و نجوم تنور^٧ ، و سقف مرفوع ، و مهد موضوع ، أقسم بالله قس^٨ قسما أن الله دينا هو ارضى
- (١) فى بن : من .
(٢) زيد فى بن : ملك الفرس .
(٣) فى بن : و كان .
(٤) فى هامش بر : مطلب يذكر فيه خبر قس بن ساعدة .
(٥) الكلمة ساقطة من بن [١٥٣ : الف] .
(٦-٧) فى بن : بحر يمور ، و نجوم تنور .
(٧) ساقطة من برو واردة فى بن .

من دين أنتم عليه ، ما بال التلس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالإقامة
فأقاموا ، أو تركوا فناموا ؟ سبيل مؤتلف ، وعمل مختلف . وقال أبياتا
لا أحفظها ، قال أبو بكر الصديق : أأأ أحفظها يا رسول الله ! فقال :
هاتها . فقال :

- ٥ في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردنا للوت ليس لها مصادر
ورأيت قوى نحوها تمضي الأوائل والآواخر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر
أيفنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر
١٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأرجو أن يبعث الله أمة واحدة .

[ذكر ملوك مصر الكفار]

فلنذكر الآن بعض ملوك مصر الكفار . فتنهم فرعون موسى
عليه السلام ، اسمه الوليد بن مصعب ، وهو الرابع من فرائعة مصر السبعة ،
ذكرهم أبو عبيد القرطبي في كتاب الممالك والممالك ، وذكر كل

(١) في بن . ما .

(٢) في بن : تمام

(٣) زيد في بن : رضى الله تعالى عنه قال .

(٤) عن بن ، وفي بر : واحدة ، وزيد هنا في بن : انتهى .

(٥) في هامش بر : مطلب ذكر ملوك مصر الكفار .

[٢٠٨: الف] فرعون وسيرته ١ في جملة ملوك مصر قبل الطوفان وبعده . ومن ملوك مصر الكفار قراوش الجبار ، وهو أول من اتخذ المصانع وعمل الطلسمات والأقرونيات ٢ ، وأقام الأساطين ورمز التواريخ عليها ، وبني المدن ، وهو الذي حفر النيل و كان من قبل ينقطع ويستتفع . ومنهم قرناش ، حارب أمة من الجن حتى دخلوا في ٥ طاعته بالعزائم الشداد . ومنهم مصرم الجبار ٣ الذي ذل الأسد فركبها وركب الوحوش الصعبة ، وهو أول من عمل الحمام . وبمصرم هذا سميت مصر ، وبلغ بسحر كهاته ما لم يبلغ أحد من ٤ قبله ولا بعده . ومنهم غرناق ٥ ، وفي وقته نزل هاروت وماروت ٦ ، وكان من حديثهما ما رواه ابن عمر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشرفت ١٠ الملائكة على الدنيا فرأت بنى آدم يعصون ، ما أقل معرفة هؤلاء بظلمتك ! فقال الله عز وجل : لو كنتم في سلاحهم لمصيتموني . قالوا : كيف يكون هذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : فاختاروا منكم ملكين فاختاروا هاروت وماروت ، ثم أهبطا إلى الأرض ، وركبت فيهما شهوة بنى آدم

(١) وردت الجملة من « وذكر » في بن بعد الطوفان وبعده .

(٢) في بن : الأقرونيات .

(٣) في هامش بر : مصرم الجبار أول من عمل الحمام .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : غرناق .

(٦) في هامش بر : مطلب وذكر هاروت وماروت .

فأخصها حتى واقعا المعصية ، فغثروا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ،
فاختاروا عذاب الدنيا وهما مسلسلان منسكان في بئر بأرض بابل إلى يوم
القيامة ، وفي رواية أخرى : وركبت فيهما شهوات بني آدم ، ومثلت
لها فاعصها حتى واقعا المعصية ، فغثروا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ،
فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال : ' ما تقول ؟ فقال : أقول : عذاب الدنيا
ينقطع وعذاب الآخرة لا ينقطع . فاختارا عذاب الدنيا ، فهما اللذان
ذكرهما الله تعالى ٢ في كتابه ٢ : " وما أنزل على الملوكين يابل هاروت
وماروت ٣ " . وفي رواية أخرى قال الله لهما : إني أرسل رسولا إلى
الناس وليس نبي وبينكما رسولا ، أنزلا ولا تشركا في شيثا ولا تقتلا
١٠ ولا تزنيا ولا تسرقا . قال كعب : فاستكلا يومهما الذي نزلا فيه حتى
أتيا ما حرم الله عليهما - انتهى ٤ .

• وكان من ملوك مصر الكفار الملك غرناق ، عمل بمصر عجائب
كثيرة ، وكان منهمكاً في الشراب والفسوق ، ويشرب في كل ليلة
مائة رطل ، ويتعصب النساء على أنفسهن ، ولا يسمع بامرأة حسنة

(١) زيد في بن : له .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) قرآن كريم ٢ : ١٠٢ .

(٤) ساقطة من بر ، واردة في بن [١٥٣ ب] .

(٥) زيد قبل هذه العبارة في بن : تعود إلى ذكر ملوك مصر الكفار .

(٦-٦) في بن : بامرأة حسنة .

إلا قلها إليه . ومنهم مرسال^١ وفي أيامه ولد نوح عليه السلام ،
 [٢٠٨ : ب] وبعد سنة من ملكه تجلّت عليه روحانية الكواكب
 فيما يزعمون^٢ ، فحبته^٣ عن أعين الناس فلم يُعلم خبره^٤ . ومنهم شهلوق ،
 وهو الذي قسم ماء النيل أقساما ، وأقام لأسباب^٥ الضرر طلبات
 يرفضها^٦ ، وكنز من الكنوز خمسة^٧ وأربعين كنزا . وتفسير الطلبات^٨ هـ
 عقد لا تتحل ، ومفردها طلسم وهو عقدة^٩ لا تتحل^{١٠} . ومنهم سويد بن
 صاحب الأهرام^{١١} - والأهرام قبور الملوك . وبناء الأقرونيات المهلكات^{١٢}
 للعالم ، وأبقى من الحكمة والعلم ما لم يُسبق إليه ، وكان أكثر اهتمامه

(١) في بن : مرسال .

(٢) في بن : زعموا ، وفي بر : يزعموا .

(٣) في بن : تحمته .

(٤) في بن : خبر .

(٥) في بر : أسباب ، ومحتها في بن كما أوردناه بالنص .

(٦) في بن : يرفضها .

(٧) كذا في بن ، وهي في الأصل بر : خمس .

(٨) في هامش بر : مطلب ، الطلسم .

(٩) في الأصل : عقد .

(١٠) في الأصل : يتحل .

(١١) في هامش بر : مطلب ، الأهرام .

(١٢) في بن : المهلك .

بعمل الادوية والعقاقير والنواميس ودفع المضرات^١ بالطلسمات وكل ما^٢ فيه صلاح للناس . و سياتى فيما يرد من هذا الكتاب صفة بناية الأهرام^٣ إن شاء الله تعالى . ومنهم مناوش ، فظلم وسفك الدماء واختصب النساء واستخرج كثيرا من كنوز الملوك^٤ فبنى بها قصورا ورصمها بالجواهر ، وعمل فساقى وصب فيها الجوهر وأرسل عليها المياه ، ومنهم أقروش ، فعل عجائب منها قبة لطخها بلطوحات ، فاذا كان الليل اشتعلت نارا تترى على البعد واتقدت إلى الصبح . فاذا طلعت الشمس ارتفع ذلك الوقيد ، وطلب هذا الملك النفس من ثلاثمائة امرأة ، فلم يقدر عليه لأن أرحام النساء عصمت .

[خبر نوح والطوفان]

١٠

وفي زمنه شاع خبر نوح عليه السلام وإنكاره للأصنام . وكان من أمر الطوفان ما كان ، وذلك أن العباد لما كثروا في الأرض واشتدت

(١) في بن : المضار .

(٢) في بن : و الطلسمات .

(٣) زيد في بن : كان .

(٤) زيد في بن : و الأقرونيات و النواميس وغير ذلك . أنظر أيضا مخطوط

القاهرة (ق ١٦٨) : ذكر ملوك الكفار الطعام و عبادة التماثيل و الأصنام في البرابي و الأقرونيات و النواميس و الهياكل و الأهرام و الطلاسم . وكذلك

(ق ١٧١) : صفة الأهرام و النواميس و الهياكل و البرابي صنعتها الأوائل .

(٥) في بن : الأرض .

طياغي^١ الكفر، قام نوح في الأرض داعيا إلى الله، فأبوا إلا طغيانا وكفرا، فدعى الله عليهم، فأوحى الله إليه: أن اصنع الفلك بأعيننا، وحينا، فلما فرغ من السفينة أناه^٢ جبريل بتايوت آدم فيه رثته، وأقام نوح ومن معه في السفينة على ظهر الماء، وقد غرق الله^٣ الأرض خمسة أشهر، ثم أمر الله الأرض أن تنفض الماء والسماء أن تقلع، واستوت^٤ السفينة^٥ على الجودي- والجودي جبل من بلاد الموصل بينه وبين الدجلة ثمانية فراسخ، وموضع السفينة على هذا الجبل إلى هذه الغاية، وزل نوح من السفينة ومعه أولاده سام وحام ويافث، وأزواج أولاده الثلاثة وأربعون رجلا وأربعون امرأة، فساروا إلى سفح هذا الجبل فابتنوا مدينة وسموها: ثمانين. ودثر عقب هؤلاء الثمانين نفسا، وجمل ١٠ نسل الخليفة من أولاد نوح الثلاثة، وقد [٢٠٩: ألف] أخر الله تعالى ذلك^٦ بقوله: "وحملنا ذريته هم البقين"^٧،. وقسم نوح الأرض بين ولده أفساما. وخص كل واحد منهم بموضع، ودعا على ولده حام

(١) كذا في الأصلين، ولعل للقصود « طغاة » .

(٢) في بن: فأناه .

(٣) زيد في بن: جميع .

(٤) في بن: فاستوت .

(٥) سافطة من بن .

(٦- ٧) في بن: عز وحل بذلك .

(٧) قرآن كريم ٢٧: ٧٧ .

لأمر كان معه مع أبيه فقال: ملعون حام عبد عبيد يكون لاختوته .
 وقال: مبارك سام ، و يكثر الله يافث ، و يحل يافث في مسكن سام .
 و اتطلق حام و تبعه ولده ، فزلوا في مساكنهم من البر و البحر ، فأما
 سام فسكن وسط الأرض من بلاد الحرم إلى حضرموت إلى عمان
 ٥ إلى عالج . ٢ من ولده إرم بن سام و أرغش بن سام ٢ . و من ولد إرم
 بن سام عاص بن عوص بن إرم . و كانوا ينزلون الأحقاف من الرمل ،
 فأرسل الله إليهم هود ٣ فكان من أمرهم مع هود ما اتضح أمره ، و اشتهر
 خبره ، و ثمود بن عاد بن إرم ، و كانوا ينزلون الحجر بين الشام و الحجاز
 فأرسل إليهم أنعام صالحا ، فكان من أمرهم مع صالح ما اتضح أمره ،
 ١٠ و اشتهر خبره . و طسم : جد يس أبا لاولاد إرم ، و كانوا ينزلون
 اليمامة : البحرين . : سبأ خبرهما فيما يرد من هذا الكتاب إن
 شاء الله تعالى .

و كان أخو طسم و جد يس يقال له عمليق بن إرم في قبيلته ، فزل
 بعضهم الحرم : بعضهم الشام . و منهم العماليق تفرقوا في البلاد . و كان
 أخو عمليق و طسم و جد يس يقال له أميم بن لاود ، نزل أرض فارس ،

(١) في بن : الأرم .

(٢ - ٢) ساقطة من بن .

(٣) زيد في بن : عليه السلام .

(٤) زيد في بن [١٥٤ :] : و فئاؤهما على السيف .

(٥) في بن : أخوهم .

ونزل نوح عميل بن عوص 'أخو عاص بن' عوص مدينة الرسول عليه السلام . ومن ولد سام بن نوح ماش بن إرم بن سام ، نزل بأرض بابل فولد 'نمرود بن ماش' ، وهو الذي بنى 'الصرح بابل' وجسر بابل على شاطئ الفرات ، وملك خمسمائة سنة 'وهو ملك' النبط . وفي زمانه فرق الله الألسن^٥ ، فجعل في ولد سام تسعة عشر لسانا ، وفي ولد حام^٥ سبعة عشر لسانا ، وفي ولد يافث ستا وثلاثين^٦ لسانا . وتشعبت بعد ذلك اللغات وفرقت الألسن . وقحطان بن غابر أبو اليمن كلها ، وهو أول من تكلم بالعربية لإعرابه عن المعاني وإبائه عنها . ويقظان بن غابر هو أبو جرم^٧ ، وجرم ابن عم يعرب^٨ وكانت جرم عن سكن اليمن ، تكلموا بالعربية . ثم نزلوا مكة فكانوا بها ، وقلطورا بنوعم^٩ جرم . ١٠ . ثم اسكن الله تعالى اسماعيل عليه السلام مكة فتزوج [٢٠٩ : ب] في جرم

(١ - ١) في بن : أخى ابن .

(٢) في بن : قترك .

(٣) في الأصلين : با .

(٤ - ٤) مكردة في بن .

(٥) في هامش بن : مطلب تفرق الألسن .

(٦) كذا في بر ، وهي في الأصل بن : ثلاثون .

(٧ - ٧) في بن : بنوعم يعرب ، وفي هامش بر : مطلب أول من تكلم بالعربية .

(٨) في بن : بنو « ققط » و « عم » ساطعة .

فهم أحوال ولده . و ما ذكرنا^١ من العرب فهم العرب العاربة ، و لهم أخبار^٢ يطول ذكرها^٣ ، و يتسع شرحها . و أما يافث بن نوح فولده الترك و غيرهم . و قيل لما قسم نوح على أولاده البلاد أعطى^٤ سام الشام و جزائر العرب و اليمن ، فهو أبو العرب . الأنبياء و الروم . هـ . و أعطى^٥ حام السند و الهند و الحبشة و النوبة . . أعطى^٦ يافث بلاد المشرق ، هو أبو الترك و الديلم و الصقالبة و ياجوج و ماجوج و فارس و اقح^٧ أعلم - انتهى .

[ملوك مصر القبط]

[بن ١٥٤ : الف] 'سعود ، و كانت ملوك مصر من القبطيين ١٠ مرادهم العدل و الانصاف من أنفسهم . الطلب لمعاني الأمور و كراهية الجود و الغضب (كذا) . و سملون الملك الأول من ملوك القبط بمصر ، إذا وقف إليه رحلان يتحاكان عنده علم الظالم من المظلوم منها أخرهما دلي صنما حتى كأنه شاهد حالهما . و كأن بالظالم يصرن من نفسه

(١) في س : ذكرها .

(٢-٣) في بن : مطولة ذكرتها .

(٣) في الأصول : أعطى

(٤) زيد في بن : تعالى .

(٥) واردة في بن و ساطعة من بر .

(٦-٧) هذا القسم بأكمله ساقط من بر و وارد في بن ، وقد ادخلناه في النص

كما هو ، و واضح غرابة مادته .

ولا يتحاكم إليه خشية الفضيحة . وكان الملك سردون القبطي يحكم بين الخاصة والعامة ولا يتكل على أحد من أهل بيته ، ذلك انتهازا منه العدل و طلبا للحق . وكانت بدورة أخت الملك يزدشير كاهنة ، وهي التي عملت الأصنام الناطقة ، وقد عملت طلسمات منعت الطير والوحش أن يشرب من ماء النيل فأت أكثرها عطشا . وهي صاحبة البناء العظيم في قصة هلاكها ، ويقال : إن الروحانية رجعت إليها فأهلكتها ، وإن قطنوا أحد ملوك مصر أكب على كتاب اليمون الروحاني أربعين سنة وعرف ما فيه ولم يجتج إلى حكيم يفسر له المعاني . يخبره بالحقيقات التي فيه ، وكان ذلك بتدبيره وهنئته وكثرة مواظبته درس كتب الحكماء .

١٠

[فضائل مصر]

[بر ٢٠٩ : ب] ذكر ٣ ضل مصر وكثرة خيرها ٣٢ ومعادن

رزقها وطيب عيشها ' ورخص سعرها ' وغير ذلك من عجائبها .

(١) في الأصل : هلكها .

(٢) بالقط على الكلمة في الأصل خيل ، وأغلب الظن أن صحته أوردناه بالنص .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) في بن فقط : ورزقها .

(٥) في بن : وعجائبها .

مصر خزانة الله في الأرض^١ كلها، و سلطاتها سلطان الأرض كلها^٢ .
قال الله عز وجل^٣ على لسان^٤ يوسف عليه السلام: " اجعلني
على خزان الأرض إلى حفيظ عليم"^٥ . ولم تكن تلك الخزان بغير
مصر فذكرها الله بخزان الأرض . وأغاث الله مصر وخزائنها كل
ه حاضر وباء^٦ في جميع الأرض . وكان الغلاء أقام في زمنه سبع
سنين^٧ ، ولولا تدبير يوسف عليه السلام هلك^٨ أهل مصر . وجعل
الله عز وجل مصر متوسطة الدنيا في الأقاليم الثالث والرابع، فطاب
هواها ، وضعف حرها وبردها . وقد اكتفتها معادن رزقها ، وقرب
تصرفها ، وطيب عيشها ، ورحس سرها . وهي أم البلاد ، وغوث
البلاد ، وذكر أن مصر صورت^٩ في كتب الأوتل ، وسائر البلاد
مادة أيديها إليها تستعلمها . و روى عقبه بن مسلم يرضه: إن الله تعالى^{١٠}

(١) في بن : أرضه .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : تعالى .

(٤) زيد في بن : حال .

(٥) قرآن كريم ١٢ : ٥٥ .

(٦) في بن : وبأدى .

(٧) في هامش بر : مطلب اقليم مصر .

(٨) في الأصل : هلكت .

(٩) في بن [١٥٤ : تب] : مصودة .

(١٠) في بن : تبارك و تعالى .

يقول يوم القيامة^١ لساكني مصر فيا يمدد^٢ عليه من نعمه: ألم
أسكنكم مصر تشبعون من خيرها^٣؛ وتشربون من مائها^٤؛ وقال كعب
الأحبار: لو لا رغبتى فى سكنى الشام لسكنت مصر . قليل : ولم ذلك
يا أبا إسحاق؟ قال : لأنى أحب مصر وأهلها لأنها بلد معافاة من
القتل وأهلها أهل عافية ، فهم بذلك معافون ، ومن أرادها بسوء^٥
كبه الله على وجهه ، وهو بلد مبارك لا علة^٦ فيه . وقيل : مكتوب فى
التوراة^٧ : بلد مصر خزانة الله^٨ من أرادها بسوء قصمه الله . وقال
سليمان^٩ السائح : نعم البلد مصر ، يجمع منه دينارين ، ويفزى^{١٠} منه
بدرهمين . يريد الحج فى بحر القلزم والقفز إلى الإسكندرية وسائر
سواحل مصر . وقال [٢١٠ : نف] يحيى بن عثمان^{١١} : بُجِلت الدنيا^{١٢}
ورأيت^{١٣} بناء كسرى وقصر وغيرهما من ملوك الأرض ، ورأيت

(١) فى بن : القيمة .

(٢) فى بن : يمدده .

(٣) فى بن : خيرها .

(٤) فى بر : لأمله . وصحته فى بن كما أوردنا بالنص .

(٥) فى بن : التوريه .

(٦) واردة فى بن وساقطة من بر .

(٧) فى بن : سليمان .

(٨) كذا فى بن ، وهو فى بر : يفزا .

(٩) فى بن : عثمان .

(١٠) زيد فى بن : آثار الأنبياء والحكام ورأيت .

آثار سليمان عليه السلام وما بنه الشياطين فلم أرَ مثل بريات أهل مصر ولا على حكمتها ولا على ' مثل الآثار التي للملكها ولحكمتها . قال عبد الرزاق بن عبد الله : أخبرني بعض من مرَّ بصعيد مصر أنه مرَّ بقبر عظيم عليه أرسام مخططة بالحجارة فسأل عن ذلك ، قيل : هـ هذا قبر الوليد الخيري ، وكان أحد ملوك حمير ، وإنه طاف البلاد شرقاً وغرباً ، ووزن المياه فلم يجد موضعاً يصلح له ألا صعيد مصر ! فلما كان في أقام برهة من الزمان ، قلبا حضرته الوفاة أمر أن تخط هذه الآيات على قبره ، فإذا هي :

أما الملك المعظم في البرايا ملكت الناس من حام وسام

١٠ وجلت الأرض أقطبها ببليل إلى أن عاقى ريب الحمام

فلم أر مثل مصر لساكنيها لشيخ أو لكهل أو غلام

ومن خواص مصر ومجائبها جبلها المقدس ونيلها المبارك ، وبها الطور

حيث كلم الله^٢ موسى عليه السلام . وبها كان ملك يوسف عليه السلام ،

^٣ وبها أتى موسى عصاه فإذا هي^٤ حية تسعى . وبها كان بحيرة فرعون

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) في بن : حملتها .

(٣) زيد في بن : تعالى .

(٤-٤) وردت الجملة في بن بعد « برة » .

الذين أصبحوا كفرة فآمسوا إلا وهم، بررة . و بها ولد موسى و هارون^١
عليهما السلام . وفيها النحلة التي أرضعت مريم تحتها عيسى بأشمون .
وكان السبب في سفر مريم بعيسى إلى مصر أنه لما بلغ ملك^٢ بنى إسرائيل^٣
الجبار وضع عيسى عليه السلام همّ بقتله و بقتل^٤ مريم ، وذلك أنه
دعى بنى إسرائيل فقال لهم: من هذه المرأة فيكم في بطنها ولد يكلمها؟^٥
ثم لما وضعته تكلم بكلام^٦ لم يتكلم به مرضع قبله^٧ قال تخافوا على مريم
منه^٨ فقالوا: أيها الملك إنها امرأة مجنونة والذى في بطنها حنى^٩ فلذلك
يتكلم . تخاف زكريا وأرسلها من بيت المقدس إلى مصر مع يوسف
النجار ، وكان من ذوى عارهما ، فينها هم في الطريق اذا^{١٠} هم بأسد عظيم
تخافوا منه فقال عيسى: قريو^{١١} إلى الأسد ولا تقربوا أنتم . فقرب^{١٢}
إلى الأسد فقال له عيسى: أيها الوحش ما وقوفك على قارعة الطريق؟
فقال الأسد: ثور يمر لا بد لي منه . فقال عيسى: [٢١٠: ألف] أيها

(١) في بن: و هرون .

(٢-٣) في بن: ساسان ، وبين السطور تصحيح جزئى إلى « بنى » و بقيت
« سان » كما هي .

(٣) في بن: و قتل .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بن .

(٦) في بن: فإذا .

(٧) في بن: من .

الأسد إن الثور لقوم مساكين ، ولكن انطلق إلى برة كذا فسترى
 بجلا ميتا فكله . ففنى الأسد نحو الميتة فأكلها . فساروا حتى بلغوا
 بلاد مصر وأقاموا هنالك . ويقال إن عيسى عليه السلام لما اشتد
 نزل مع الصبيان يوما ، فوثب غلام منهم على آخر قتلته ، لجأه أهله
 ٥ تعلقوا بالصبيان وفيهم عيسى فرغموا للقاضي فقال لهم القاضي : من
 قتل هذا الغلام ؟ فقالوا : عيسى . فقال لميسى : لم قتلته ؟ قال عيسى : أراك
 حاكما جهولا ، كان يجب أن تقول : أقتلت أم لا ؟ ثم دنى ٣ إلى الغلام
 وهو رميم ، فاستوى الغلام جالسا وقال له : من قتلك ؟ قال : فلان .
 فنزل عيسى عليه السلام ، ولم يزل هو وأمه مقيمين بمصر حتى ملك ملك
 ١٠ بني إسرائيل . فبعث ذكريا إلى مريم يأمرها بالرجوع إلى بيت المقدس
 فرجعت ٦ .

وبمصر مسجد أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوصت
 أن يبنى بها مسجدا فبنى . وبمصر من الأبنية والآثار الحكيمة والبرابي
 والآهرام ، وليس على وجه الأرض بناء باليد حجرا ٦ على حجر أطول
 ١٥ منه ٧ ، وجاء في الأخبار أنها قبر هرمس وأغاثيون ، والصابغة

(١) في بن : فأقاموا .

(٢) في بن [١٠٥ : الف] : فرغمهم .

(٣) في بن : دنا .

(٤) في بن : قال .

(٥) في بن : مقيما . وفي بن : مقيان .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) في بن : منها .

تحتها من حران ، و بأرض مصر منارة الإسكندرية و العمود الضخم القائم على قاعدته ظاهراً الإسكندرية . و بها حائط المجوز من العرش إلى أسوان ، و هذه المجوز ملكت مصر بعد غرق فرعون و جنوده ، و هي التي صنعت البرابي^١ و أحكت آلات البحر ، و لها أخبار يطول ذكرها ، من أرادها^٢ فليطالع كتاب أخبار الزمان ، و بمصر مجمع البحرين^٥ و هو البرزخ الذي ذكره الله عز وجل فقال : ” مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغي^١ “ . و قال عز وجل : ” وجعل بين البحرين حاجزاً “ و هما بحر الروم و القلزم إلى الصين ، و الحاجز بينهما مسيرة ما بين القلزم و الفرما ، و ليس يتقاربان في بلد من البلدان أقرب منها^١ بهذا الموضع ، و بينهما في السفر مسافة^٢ شهر . و ليس^٤ في الدنيا^{١٠} بلد يأكل أهلها^١ صيد البحر طرأ غير أهل لـديار مصر . و بها الثياب

(١) في بن : قائم . و المقصود عمود السوارى (Pompey's Pillar) .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : من اراد الوتوف عليها .

(٤) قرآن كريم ٥٥ : ١٩ - ٢٠ .

(٥) قرآن كريم ٢٧ : ٦١ .

(٦) في بن : منها .

(٧) في بن : مسيرة .

(٨-٨) في بن : بالدنيا .

(٩) في بن : أهله .

الصوف والأكسية المرعز العسلي وليس هي بالدنيا إلا بأرض مصر .
 وذكر بعض أهل مصر أن معاوية أمير المؤمنين لما كبر كان لا يدقأ ،
 فأجمعوا على ' أنه لا يدقه إلا أكسية تعمل بمصر من صوفها المرعز
 [٢١١ : الف] العسلي الغير مصبوغ ، فعمل له منه ' أكسية فاحتاج
 ه منها ' إلا ' إلى واحدة .

واعلم أن الصوف المرعزى صنف و فراء ٣ الخرقان صنف واحد .
 ولا يضم في التسمية فراء ٣ معمولة إلى فراء ٣ غير معمولة بعد اختلافها .
 ' ومن الملابس أيضا فراء ٣ السمر ، الفلك و المنجاب و فراء ٣ الثعالب
 و فراء ٣ الأراب ٠٠٠ ' و القطن و الكتان صنف ، و الحرير و الخز صنف ،
 ١٠ و قد تقدم ذكر ' صفة الخز و الأبريسم و الديباج و السقلاطون و العتاني
 و الدقيق و أسماء الحرير الشعر فأغنى عن أعاده - انتهى .

[عن الإبل]

نمود ، و العراب و البخاني * جنس لصدق اسم الإبل عليها ، وكذلك
 الجواميس نوع من القر ، و الضأن مع المعز داخلة تحت اسم الغنم .

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) في بن : منها .

(٣) في بن : و فرى .

(٤-٤) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن و بآخرها كلمتان مطموستان
 جزئيا و يصعب تحقيقها فتركنا آخر العبارة بإضا .

(٥) في بن : و البخت .

(٦) في بن : داخلا .

والحوار لا يتصل منه بشئ^١ ابن الخاض بل بينهما من التفصيل لأن ولد الناقة يسمى حوارا إلى أن يفصل ، فإذا فصل سمي فصيلا ، وابن الخاض بعده والدليل على بعديته قول الفرزدق الشاعر :

وجدنا نهشلا فضلت قريبا كفضل ابن الخاض على التفصيل
والقلائص جمع قلوص ، والقلائص من الإبل لا تكون إلا أنثى ، هـ
واستشهد على تأنيها بقول الشاعر :

لا تشرب لبن القلوص وعندنا ماء الزجاجة واكف المصار
ولا يقال للذكر : قلوص ، وتبين هذا^٢ أن يقال^٣ إن الجمل بمنزلة الرجل ،
والناقة بمنزلة المرأة ، والبعر بمنزلة الإنسان يقع على الذكر والأنثى ،
وفي كلامهم : صرعتني بعيري ، وحلبت بعيرا لي . قال أبو عمرو بن العلاء : ١٠
سمعت أعرابيا يمانية يقول : فلان لغوب جاءته كتابي فاحترقها . قلت :
تقول جاءته كتابي والكتاب مذكر وليس بمؤنث ؟ قال : أليس
بصحيفة ؟ قلت : ما اللغوب ؟ قال : اللاحق ، واللغوب أيضا التبع^٤ ،
قال :^٥ أنا ساعيا - لا غا أي جائنا تعباً ، قال الله تعالى « وما مسنا من
لغوب » - انتهى .

١٥

(١) في بن : لسن .

(٢-٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) زيد في بن : والمشقة .

(٤-٥) زيدت العبارة في بن فأوردناها بالنص وهي ساقطة من بر .

(٥) قرآن كريم ٥٠ : ٣٨ .

١. والحق قلة التنبه لطريق الحق ، و الجنون هو طارض يعم العقل ،
وقد عظم الحق ما لا يعظم الجنون . و قيل الوقاحة وهو أن يرتكب
الناطق و يراه صورة الحق و يدب عنه فيورثه قساوة القلب كما قال الله
تعالى : " ثم قست قلوبكم بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة " .
هـ و قيل : الرقيق الذي يلصق بقلبه كل حال ، و الأرض الذي يأتي بما
يخرج عن الصواب - انتهى ١ .

نمود ، و اعلم أن البكر بمنزلة الفتاة ، و الجمع قلاص و قلص .
و قلص النعام فراخها ، و قلص الجبارى ولدها . و الكوماء الناقة العظيمة
السام ، قال ٢ الفرزدق :

١٠ و كوم تنعم الاضياف عينا و تصيح في مداركها ثقالا

الكوم جمع كوماء ، و هي الناقة العظيمة السام ، و المعنى أنه يصف نوقا
سمانا كثيرة اللبن ، فكأنه يقول : رب كوماء تنعم عين الاضياف بكثرة
لبنها ، و أنهم يرثون منها ، و تصيح ثقالا باحتفال ضرورها ، و عظم
(١-١) هذا الجزء ساقط من بر و وارد في بن [١٠٠ : ب] ، وفيه و وردت
كلمة « و الأحمق » بدلا من « و الحق » فصححتها لأن المصدر لازم لاستقامة
العبارة .

(٢) قرآن كريم ٢ : ٧٤ .

(٣) هذا القسم من الكلام ساقطة من بر . و وارد في بن [١٠٠ : ب] ،
و يبدأ من « قال » و نهايه كلمة « شىء » و بعدئذ يستأنف الكلام من بر .
خلفها

خلفها . و المبارك معاطن الإبل ، و هي بمنزلة المراح للغنم . قال بعضهم :
 قدمنا البحرين فلقطنا أعرابي على ناقه له صغيرة قد أكل الجرب جنبها
 و معنا إبل لم ير الناس مثلاً . قلنا : يا أعرابي أتبعنا ناقك يعض
 هذه الإبل ؟ قال : و الله لو أعطيتوني بها جميع إبلكم ما بعتم . قلنا :
 فلك بها مائة دينار . فأبى ، و نحن في كل ذلك نهزأ به . فقال : ه
 لو ملأتم جلدك ذهبا ما بعته . قلنا : فأرنا من مسيرها شيئا ! قال :
 نعم ؟ فسرنا فإذا نحن بحمير وحش ٣ قد عنت ٢ . فقال : أي ٢ الحمير
 منها تريدون آتيكم به ؟ قلنا : نريد حمار كذا ؟ فلم يزل يرشقه حتى
 صرعه و لحقناه و قد ذبحه ، فلما رأينا ذلك ساومناه الناقة بمجد ، قال :
 ليس عندي من نسلها إلا ابن لها و ابنة ما أيعها بشيء . ١٠

و المهادى ١ ابل من تساج مهرة و نوق مهادى ٢ ، و ولد الناقة
 يقال له حوار إلى أن يعظم ، فإذا فطم ٣ فهو فصيل ، فإذا دخل في
 السنة الثانية فهو ابن مخاض ، و الأثثى بنت مخاض ، وإذا دخل في
 السنة الثالثة فهو ابن لبون . فإذا دخل في السنة الرابعة فهو حق ،

(١) في بن : فأبى .

(٢) في الأصل : نهزو .

(٣-٢) العبارة و كلمة « أي » مكررة في الأصل .

(٤) هنا يستأنف الكلام في بر .

(٥) في هامش بر : الحوار .

(٦) في بن : أعظم .

[٢١١ : ب] فإذا دخل في الخامسة فهو جذع ، فإذا دخل في السادسة فهو ثنى ، فإذا دخل في السابعة فهو رباع ، فإذا دخل في الثامنة فهو سدس ، فإذا دخل في التاسعة فهو بازل ، فإذا دخل في العاشرة فهو مختلف ١ . والادم الإبل الخالصة اللياض ، والميس التى يخالط ٢
 ٥ يياضها شقرة ٣ ، والصهب التى يغلب عليها الشقرة . والحمر ٤ الخالصة الحمر ، والرمك التى ٥ يخالط حررتها سواد ، والورق التى يخالط ٦ يياضها سواد ٦ . والحمر من الإبل أظهرها جلدا ، والورق أطيبها لحا . وقالت أبو عبيس : ما صير معنا فى حرنا إلا بنات المم ومن الإبل إلا ٧ الحمر ٨ ومن الخيل إلا الكت ٩ . والكت الشديد الحمر ١٠ من الخيل ، ولا يقال للفرس كيت حتى يكون عرفه وذنبه أسودين . وإن الله ١١ أكرم الإبل وشرها إذ قال لها « كوني » فكانت . وأخرج

(١) عن بن ، وفى بر : مختلف .

(٢) عن بن ، وفى بر : يخالط

(٣) فى بن : شئ من الشقرة .

(٤) فى بن : والحمر .

(٥) كذا فى بن ، وهى فى بر : الذى .

(٦-٧) فى بن : سوادها يياض .

(٧) ساقطة من بن .

(٨) عن بن ، وفى بر : الأحمر .

(٩) فى بر : كت . وبامش بر : الكيت .

(١٠) زيد فى بن : تعالى .

فألقه صالح عليه السلام من صخرة ضياء^٢ وخص بها العرب دون غيرهم . وكان يركبها^٣ الأنبياء عليه السلام^٤ ، وجعلها مباركاً ، تنفع بما تجده ، وتصدر على الحمل الثقيل ، والسير الطويل ، وتصدر على الماء^٥ أياماً عدة . وقد ذكرها ربنا في كتابه العزيز فقال : "والبدن جعلناها من شئنا الله لكم فيها خير"^٦ . وأول من غزا^٧ من غزواته^٨ صلى الله عليه وسلم غزاة بدر ، وكان معه مائة فاضح من الإبل ، وكان أصحابه يستقبون الفاضح في الطريق ، وكان معه فرسان يركب أحدهما المقداد ابن الأسود ، ويركب الآخر مصعب بن عمير ، فلقوا قريشا في عددها وعديدها فهزمهم الله تعالى بمكة رسول الله صلى الله عليه وسلم - انتهى .
٩ ولحم الإبل حار مسخن ملهب يزيد في السوداء كلحم البقر لأنه ١٠

(١-١) العبارة ساقطة من بن [١٠٦ : الف] .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) عن بن ، وفي بر : الأولاء .

(٤) في بن : العطش .

(٥) كذا في بن ، وفي في بر : أيام .

(٦) قرآن كريم ٢٢ : ٣٦ .

(٧) في بن : غزى .

(٨-٨) العبارة ساقطة من بن .

(٩) هذا القسم من هنا إلى « في قوى الجماع جدا » ساقط من بر بأجمعه ، وهو وارد في بن [١٠٦ : الف] ، وقد نسخناه من الأصل كما هو لأهميته في الطب العربي ولو أن فيه عبارات غامضة لكنها قليلة العدد . وقد أدخلنا في أوله لفظة « لحم » بدل « لحوم » لا نسخا معها ما يتلوها من الأطفال .

يولد دما غليظا على المرة السوداء، لكن ليس كغلظ المرة السوداء
التي يولدها لحم البقر، فإذا طبخ بالخل كسر الخل حرارته، ولطف
لحمه، وإن طبخ بالمرى النقيع الذي تصنعه المغاربة لطفه المرى أكثر مما
يلطفه الخل وهذا وأسرع بإخراجه عن البدن، ولكنه مع ذلك
ه أشد اللحوم. ولبن الإبل سهل البطن مخرج للام الأصفر من بطون
المستقيين، وينفع من ورم الطحال لأنه ينقصه، لكنه يثقل البدن
غذاء كثيرا، وينفع الكبد الوجعة، وأضع ما هو للشيخوخ لأن أجسادهم
ضعيفة وأصلحتهم غليظة بما فيه من القوة البورقية، وينفع أيضا من
البواسير، وقد يهيج شهوة الغذاء، ويقوى الجماع. وقد قال جالينوس:
١٠ ألبان الإبل جيدة للبدن الذي فيه أخلاط حارة يابسة لأنها تنقص
الصفراء والسوداء المحترقين، وينفع من الفساد المزاج، ولا شيء
أضع من ألبانها شفاء من الدرب، والدرب فساد المعدة. ودهن اللسان
حار جدا إذا شرب أدرّ البول وفنت الحصى في المثانة وقمع من نهش
الهوام ومن صر النفس، وإذا اكتمل نفع من الظلة في البصر والماء
١٥ الأسود النازل في العين، إذا مسح به الظهر أبطل النافض، وإذا
احتملت به المرأة أخرج الجنين والمشمة وقمع من خروج الرحم إذا
احتمل مع الشمل المذاب. وإن دهن به الذهر^٢ والحالبان زاد في قوى

(١) في الأصل: التي. وتصحيحها لازم لاستقامة العبارة.

(٢) كذا في الأصل، ولعله يقصد «الذبر» الذي هو آلة الرجل، وقد تكون
الكلمة «الظهر» وهي أقل احتمالا من الأخرى.

الجماع جدا .

فلنذكر الآن ما قيل في البحيرة و السائبة و الوصيلة و الحام ان شاء الله تعالى . البحيرة هي الناقة تلد خمس بطون فتشق أذنفا و تسرح لا يحمل عليها و لا تركب . و السائبة إذا سافر الرجل أو مرض يقول : إذا رجعت من سفرى أو أقيمت من مرضى هذا ، فلك الناقة سائبة مثل البحيرة . و الوصيلة كانت في الجاهلية إذا ولدت الشاة في البطن العاشر ذكرا ، و إن كان أنثى لا يؤكل ، و إن ولدت توأمين ذكرا و أنثى في البطن السابع لا يؤكل الذكر و لا الأنثى لأن الذكر وصلته أخته نفسها و ألفت عليه حرمتها بأن لا يؤكل . و الحام هو عمل الإبل يلد عشر مرات فيقولون : « حى ظهره » ، فلا يحمل عليه و لا يركب ، فلما جاء الله بالإسلام ١٠ فعل هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب كمثلهم ، فقال الله تعالى :
 " ما جعل من بحيرة و لا سائبة و لا وصيلة و لا حام " ٢ - الآية .

[شجرة البلسان]

فلنذكر الآن شجرة البلسان ، ٣ أما شجرة ٢ البلسان فنبتها بأرض مصر خاصة ، و المستعمل منها حبها و عيداتها و دهنها ، و أقوى ما فى ١٥ البلسان دهنه و بعد دهنه حبه و بعد حبه عيداته . و من مصر يصل ذلك

(١-١) هذا القسم بأجمعه ساقط من بن .

(٢) قرآن كريم ١٠٣ : ٥ .

(٣-٣) فى بن : و شجرة .

(٤) فى بن : منبتها .

إلى جميع البلدان . وقد ذكر دياسقوريدوس الفيلسوف بعد طلوع بهم
 الكلب بأن يشرط بالمشارط من حديد^١ ، والذي يسيل منه شيء^٢ يسير
 والذي يجتمع منه في كل ستة ما بين الحسين إلى الستين رطلا ، وياع
 في مكانه وزن الفضة^٣ ، وله منافع كثيرة ، وقد كان يعض الكنائس
 ٥ صنم من الرغام يكي فتخضع^٤ النصارى لبكائه^٥ ، وقد كان بعض المسلمين
 اطلع على ذلك فقال : هذه حيلة ، فصر إلى حين [٢١٢ : الف] إن
 المطر ، فوضع ثيابه في جراب و أتى إلى الكنيسة عريانا وقت السحر ،
 فوقف على باها ، فلبس ثيابه و غيَّب الجراب تحتها^٦ و دق باها
 و اعتمد على عكازه منحنيًا ، فخرج القسيس فوجده كأنه قدم من سفر
 ١٠ و أتوا به لم تبطل بالمطر ، فسأله عن حاله فقال : قدمت من سفر
 و أريد أن أقيم عندك قليلا^٧ أستريح و أرتحل . فقال القسيس : أرى
 ثيابك غير مبلولة^٨ و المطر كأفواه القرب^٩ . فقال : إن من عاذق
 أنى لم تبطل لى ثياب^{١٠} من المطر . فقال : ادخل . فلما دخل قال :

(١) في بن : الحديد .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : الدرهم النقرة .

(٤-٥) في بن : لبكائه النصارى .

(٥) في بن : سمته .

(٦) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٧-٨) العبارة ساقطة من بن ، و واردة في بن .

(٨) كذا في بن ، و هي في بن : ثيابا .

علمني ذلك . فقال له المسلم : إن علمتي بكاه الصنم علمتكَ منع المظهر
 للثياب ١ للتصير لك حيلة أخرى ٢ : نأكل بها أموال النصارى كما تأكلها
 ييكاه الصنم فقال : نعم ، و معنى به إلى موضع الصنم فرفع رغامه ،
 وإذا ٣ تحتها قربة ماء صغيرة متصل ٤ ملؤها إلى عيني الصنم ٥ بخيط مدهون
 بدهن اللسان ، فإذا اجتمعت النصارى وانقضت صلاتهم استقبلهم بالوعظ ٥
 وغمز الرغامه برحله فيجرى الماء في الخيط ٦ من باطنه ٧ إلى عيني الصنم
 فتجرى منهما الدموع فتصنع النصارى ويتباكون عند رؤيتهم الدموع السائلة
 على خدي الصنم ، ويتهللون ٨ بالأدعية ، ويمدون ٩ القسيس عند ذلك
 ٩ بالدرام وغيرها ١٠ ويقولون : إن الحجر ١١ خشع من وعظه حتى سالت
 دموعه و ذلك لصلاحه ١٢ وبركته . فلما فهم المسلم منه تلك الحيلة التي ١٠

(١) في بن : ثيابك .

(٢) في بن : ثانية .

(٣) في بن : فإذا .

(٤) في الأصلين : متصلة .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٧) العبارة ساقطة من بر ، وواردة في بن .

(٧) في بن [١٥٢ : ب) : فيتهلون .

(٨) كذا في بن ، وهي في بر : فيمدوا .

(٩-٩) في بن : ينغمهم - أو - يرقهم . والكلمة غير واضحة .

(١٠) في بن : الصنم .

(١١) في الأصل : صلاحته .

تحيل بها على أخذ أموال النصارى، قال القيس له ١: وإذ قد تعلمت حيلتي فعلني أنت حيلتك ١. فأخرج ٢ له الجراب من تحته وقال: إذا أردت أن تسلم ثيابك من المطر ضمها ٣ في جراب وامش عريانا. فقال ٤: تمت حيلتك ٥ على حتى ظهرت ٦ على حيلتي الخفية ٧، ٨ وليست حيلتك كحيلتي ٩ فاكتمها على ١٠ ولا تظهرها للصارى. فقال: ١١ إن أردت كتمانى ١٢ فأعطى ١٣ ما جمعت ١٤ منهم بحيلتك هذه ١٥. فأكرمه القيس وأحسن إليه خوفا من إظهار ١٦ المسلم ١٧ لهم حيلته ١٨، فتركه المسلم على ما هو عليه ومضى إلى حال سبيله .

(١-١) في بن: فعلني أنت إذا حيلتك اد قد تعلمت حيلتي .

(٢) زيد في بن: للمسلم .

(٣) في بن: فاجعلها .

(٤) زيد في بن: القيس يا مسلم .

(٥) زيد في بن: الباردة .

(٦) في بن: أظهرتك .

(٧) عن بن، والكلمة ساقطة من بر .

(٨-٨) ساقطة من بن .

(٩-٩) ساقطة من بر، وواردة في بن .

(١٠) عن بن، وى بر: أعطى .

(١١) في بن: جمعت .

(١٢) الكلمة ساقطة من بر، وواردة في بن .

(١٣) في بن: هك .

وكذلك كان يعمل مثل ذلك في كنيسة إقامة التي يحجها^٢
 النصارى بالقدس الشريف في يوم السبت الذي تسميه النصارى سبت^٣
 النور . يعمل القسيس خيط إريسم من خلف حائط الكنيسة مدهونا
 بدهن اللسان متصلا طرفه بالقنديل المعمر^٤ بالزيت ، فيطلق فيه^٥ القسيس
 النار من وراء الحائط فتسرى [٢١٢ : ب] النار فيه إلى أن تصل^٥
 بالقنيلة فيشتعل القنديل ، و النصارى يجتمعون^٦ في وقت السحريها
 منتظرون^٧ النور ينزل في القنديل من السماء يزعمهم ، فإذا اشتعل
 القنديل من ذلك الحيط الرقيق الذي هو كالشعرة من رفته صرخوا
 صرخة عظيمة^٨ يزعمون بقلّة عقولهم^٩ أن النور نزل من السماء في
 القنديل . فظهر^{١٠} المسلون على حيلة القسيس فُضرب وأُهين وأُخذت^{١٠}
 منه الأموال التي^{١١} جمعها بجبلته تلك وحلت إلى السلطان - انتهى^{١٢} .

(١) في بن : القنينة .

(٢) عن بن ، وفي بر : تزورها .

(٣) في بن : سبت .

(٤) الكلمة ساقطة من بر ، وواردة في بن .

(٥) في بن : يصل .

(٦) في الأصليين : يجتمعين .

(٧) في بر : منتظرين . وفي بن : ينتظرون .

(٨) في بن : واحدة .

(٩) في بن : عقولهم .

(١٠) في الأصليين : فظهرت .

(١١) في الأصليين : وأخذ .

(١٢) كذا في بن ، وهي في بر : الذي .

[من عجائب مصر العرس]

نعود إلى ذكر عجائب مصر . ومن أعاجيب مصر العرس وهي
 من أعاجيب الدنيا ، وذلك أنها دويصة متحركة ، وإذا رأت الثعابين
 دنت منها ، فينطوي الثعبان عليها ، يريد أن يقطعها ويأكلها ، فتحنى
 ٥ وتزهر زفرة يقطع الثعبان قطعاً . والثعابين بمصر أكثر منها في بلاد
 الدنيا ، ولولا العرس لاكلت الثعابين سكان مصر وأهل أعمالها .
 وهي هناك أصح لأهلها من القنابد لأهل ' بيجستان ، لأن بيجستان بلد
 كثير القنابد والأفاعي ، وفي شرطهم أن لا يصاد منها ٢ فتغد ولا يقتل
 لأن الثعبان يحسه ناعم ٥ والقنعد مشوك ٥ ، فإذا رأى الثعبان ٣ سعى له
 ١٠ وجرحه بشوكه ، فينتن جرحه ، فيموت الثعبان من أذى النمل له
 بأكل جرحه ٦ .

[بيجستان بعراق العجم]

وبيجستان مدينة بعراق العجم ، وكان أميرها فيما مضى يقال له

(١) في بن : أعاجبت .

(٢) في بن : مأهل ، ومحنها في بن .

(٣) في بن : فيها .

(٤) كذا في بن ، وهي في بن : ناعما .

(٥-٥) في بن : والقنعد ذوات شوك . وفي بن : مشوكا .

(٦-٦) في بن : القنعد سعى له فإذا لمسه جرحه القنعد بشوكه القائم بجسده فينتن

الجرح فيشمه النمل فيسعى إليه يأكل جرحه فيموت الثعبان من أذى النمل له .

طلحة الطلحات ، وكان شجاعا سخيا له عطايا و مكارم ، فلما مات رثى
بمرثية منها :

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات - انتهى .

[بن ١٥٦ : ب] اقال الأصمعي : المعروف بالكرم طلحة بن عبد الله التيمي ،

وهو طلحة الخير ، وطلحة بن عمرو ، وهو طلحة الجود ، وطلحة بن ه

عبد الله بن خلف . وهو طلحة الطلحات ، وسمى بذلك لأنه كان أجودهم .

دخل كثير عزّة عليه عابدا ، فقعده عند رأسه ، فلم يكلمه لشدة ما به من

الضعف ، فأخذ كثير و التائه عليه ، ففتح طلحة عينه فقال : وبحك

يا كثير ما تقول ؟ فقال [بر ١٥٧ : ألف] كثير :

يا بن النواذب من خراقة والذي لس المكارم وارتنى سجاد ١٠

حلت بساحتك الوهد من الوري فكأعما كانوا على ميعاد

لنعود سيّدا وسيّد غيرنا ليت التشمكي كان بالمواد

فاستوى جالسا وأمر له بمائة ألف درهم وقال : هي لك إن عشت في

كل سنة . وكانت وفاة طلحة الطلحات بسجستان فرتاه بعض الشعراء

بمرثية منها البيت المتقدم ذكره وهو : ١٥

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

[أول من ابتدع المساحة]

[٢١٢ : ب] فترجع ٢ إلى ذكر من ابتدع المساحة . قيل إن أول

(١) هذا القسم إلى « فترجع إلى ذكر من ابتدع المساحة » ساقط من بروارد

في بن . (٢) في الأصل : يا ابن .

(٣) هنا يتألف الكلام في كلا الأصلين . وفي هامش بر : أول من

ابتدع المساحة .

من لبندع المساحة أهل مصر ، و ذلك بمكان زيادة النيل و نقصائه ،
 فيعملون^١ المساحة بحدود التجوف^٢ من الفرق^٣ لإفاضة الماء^٤ على أرضهم
 و تصويبه عليها ، لحدوا الحدود و تحرزوا من الفرق و سيأتى ذكر
 المساحة^٥ ، و ما^٦ قيل فيها عند تعدد^٧ العلوم إن شاء الله تعالى .

[من عيوب مصر]

و ذكر بعض الأطباء إن أجل عيوب^٨ مصر اختلاف الهواء في كل
 وقت و حين يوجد بها الحر ثم البرد في يوم واحد .

[عن الاهوية]

^٩ فلنذكر الآن الاهوية و ما قيل فيها . أما الاهوية فأصلها الهواء
 ١٠ البارد لأنه يصلح لحفظ الصحة و يقوى الأبدان و الشهوات ، و يسخن
 الأجفان ، و يهود المضم ، و لاسيما لأصحاب الأمزجة الحارة . و أما
 الهواء الحار فلا يصلح لحفظ الصحة على أكثر الأمر للأبدان الحارة ،
 لأنه يسخن الأبدان ، و يهفر الألوان ، و يهيج العطش . و يرعى

(١) في بر : يعملوا . و مضمها في س كما أوردناه بالنص .

(٢) في بر : التجوف . و هي كما أوردناه بالنص عن بن .

(٣-٤) في بن : و الإفاضة .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : ما .

(٧) عن بن ، و في بر : تعدد .

(٨) في بن : عيون .

(٩) هذا الجزء ساقط من بر ، و وارد في بن لغاية « في المنفعة و المضرة » .

الحواس ، ويمحي القلوب ، ويعفن السماء ، إلا الأبدان الباردة التي تحتاج إلى تسخين ، وللزكّمين والمفلوجين والمشحّنين من الرطوبة .
 و أما الهواء الرطب فمائدته كثيرة ، وذلك يحفظ الرطوبات عل الأبدان ويصلح أحوال النحاء . و يلين الجوّاد واللحوم ، ويكسبها لدونة وتقاه ،
 و الهواء البابس على ضد ذلك . وكذا أصلح الرياح الأربع الشمالية ه
 أغنى الحوية ، لأنها تشدّ الأبدان ، وتذكي الحواس ، وتدفع الغفونات
 عن الهواء ويصح بها . و أما القبيلة فهي على ضد ذلك ترخي الأبدان ،
 وتكدر الحواس ، وتثير السماء . و الشرقية والغرية دون هاتين الرّيحين
 في المنفعة والمضرة .

١٠ [ووصف مصر مدينة فرعون]

[٢١٢ : ب] و مصر مدينة فرعون اتخذ لها سبعين^١ بابا ، و جعل
 حيطانها بالحديد و الصفر ، وفيها كانت الأنهار تجري من تحته وهي
 أربعة أنهار . قيل إن هارون الرشيد قرأ في المصحف ذات يوم فر
 بقوله تعالى حكاية عن فرعون " أليس لي^٢ ملك مصر وهذه الأنهار
 تجري من تحتي^٣ " فقال الرشيد : [٢١٣ : الف] اقتخر الكافر بملك ١٥
 مصر ، فوالله لا أوليها إلا لعبد نكاية له . فولى عليها عبدا يقال له خصيا^٤
 احتقارا لفرعون ، و قال : فان كان لا^٥ بد من الاختيار فأهل الإسكندرية

(١) هنا يستأنف الكلام في كلّ من بر و بن .

(٢) في بر : سبعون . و محته في بن كما أو ردها بالنص .

(٣) الكلمة ساقطة من الآية في بن . (٤) قرآن كريم ٤٣ : ٥٢ .

(٥) في بن : الحبيب . (٦) في بن : ولا .

أحق منه بالافتخار لأن الانتصار فخرى من تصبهم فتخترق أسرابها من
خليجها ، وهم لا يصدون ذلك افتخار على أحد يل يحمدون الله تعالى
على ما أنعم عليهم بها ليملاؤا منها صهاريج دورهم ، فتباً لفرعون
افتخر بالماء والماء غرق ، فلعنة الله على الكافرين .

[في موضوع اللعنة]

٢ ساذكر هنا ما قيل في اللعنة إن شاء الله تعالى . قيل اللعنة
العد ، ومعنى لعنة الله : أعدوه الله . وكان^٢ العرب إذا نمرد الشرير منهم
طردوه وأعدوه عنهم ثلثاً يؤخذون^٣ بجرأته وسوء لعبا . واللعان
مشتق من اللعنة ومعناه البعد ، فلما كان لفظ اللعن مذكوراً في حلف
١٠ الزوج عن^٤ التحالف الواقع بين الزوجين لعانا و ملاعنة غلب فيه
ما يصدر من الرجل على ما يصدر من المرأة لأن حلف الزوج سابق
على حلف الزوجة و سبب له . ولما أنزل الله سبحانه : ” والذين
يرمون المحصنات ” الآية ، كان هذا الحكم عاماً في الزوجات والأجنبيات .
ثم جعل للأزواج مغلصاً من حد القذف باللعان لأن الزوج يلحقه العار
ويحد النسب بزناه وروحه ، فلا يمكنه الصبر عليه و توقيف أمره

(١) في الأصلين : ليملوا .

(٢) هذا القسم بكامله عن موضوع «اللعنة» ساقط من ب ، ويستأنف الكلام فيه
ابتداء من «نعود إلى ذكر صفة دار فرعون» ، وبهامش ب : فرق بين اللعنة والغضب .

(٣) في الأصل : وكانت

(٤) في الأصل : يؤحدوا .

(٥) كذا في الأصل ، و ربما كانت الكلمة « عند » و يستقيم بها السياق .

على البيّنة كالمعتذر بخلاف الاجنبى فانه لا يلحقه عار بزناه غير زوجته ،
ولا يفسد نسبه و الاولى به السر . و فى حديث ابن عباس أنه قال :
لما نزلت الآية ” و الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء
فاجلدهم ثمانين حدة و لا تقبلوا لهم شهادة أبداً “ قال سعد بن عباد :
أهكذا نزلت يا رسول الله ، لو رأيت لكاع و قد تصخذا رجل لم يكن
لى أن أهيجه أو أن أخرجه حتى آتى بأربعة شهداء ؟ فوالله ما كنت
لآتى بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يا معشر ! ألا تسمعون ما يقول سيّدكم ؟ قالوا : لا تلبه فأنه رجل غيور
ما تزوج ثيب قط إلا عذرا و لا طلق زوجته فاجترى أحد أن يترجها .
فقال سعد : يا رسول الله بأنى أنت و أمى و الله إنى لاعرف أنها من الله ٥
و أنها لحق . فوالله ما لثوا حتى جاء هلال بن أمية من حديقة له فرأى
بينيّه و سمع [٢١٢ : ب] بأذنيه ، فأمسك حتى أصبح ثم غدا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنى جئت أهلى عشاء
فرأيت رجلا مع أهلى ، رأيت بينى و سمعت بأذنى . فكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما آتاه و قتل عليه جدا حتى عرفت الكراهة فى ١٥
رحمه . فقال هلال : يا رسول الله ! إنى رأيت الكراهة فى وجهك ،
و الله يعلم إنى لصادق ، و إنى لأرجو أن يجعل الله فرجا . فقال : ابتلينا
بما قال سعد ! يجلد هلال و تبطل شهادته فى المسلمين . فهم رسول الله

(١) قرآن كريم ٢٤ : ٥٠ .

(٢) ربما كان الأصح : يا معشر الناس .

صلى الله عليه وسلم بضربه فانه ' اخذا لك ' يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي : " و الذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم " الآيات . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سعد إن الله قد جعل فرجا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلوا إليها . فلما اجتمعا فقال لها ٥ فكذبت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يعلم أن أحداكما لكاذب ، فهل فيكما تأتب ؟ فقال هلال : لقد صدقت وما قلت إلا حقا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاعنوا بينهما ! قيل لهلال لإشهاد فشهد أربع شهادات بأفقه إنه لمن الصادقين . فقيل له عد الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس ، وإنها لموجة التي توجب ٢ ١٠ عليك العقوبة . فقال هلال : والله ما يعذبني الله عليها كما لم يعذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فشهد الخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين . ثم قيل لها : تشهدين . فشهدت بالله إنه لمن الكاذبين . ثم قيل لها عد الخامسة : اتق الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس وإن هذه الموجة التي توجب عليك العذاب . فلكأت ساعة وقالت : ١٥ والله لا أفصح قومي . فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين . هرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ، وفضى أن

(١-١) كذا في الأصل ولا نستقيم العبارة بها وربما كان الأصح أن يحل محلها لفظة « كذاك » .

(٢) قرآن كريم ٢٤ : ٧ .

(٣) في الأصل : يوجب .

الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرى ولدها . وقد أشار بعض أهل المعاني
أن الغضب أشد من اللعنة ، ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ، فلي
هذا إن بدلت المرأة الغضب باللعنة لم يجرها وأعادت اليمين الخامسة
على ستمها ، ولو بدل الرجل اللعنة بالغضب أجراه ، والاولى اتباع
الآية - انتهى .

[صفة دار فرعون و الهرمين]

نعود إلى ذكر صفة دار فرعون و مجالسه و غرفه إن شاء الله تعالى .
ذكر بعض [٢١٤ : الف] أهل العلم أنه رأى بمصر - ويقال لمصر أيضا
منف^١ - دار فرعون و مجالسه و مشاربه و غرفه ، وكل ذلك حجر
واحد ، فان كانوا هذيوه و حسنوا صنعة حتى صار في الملوسة واحد^٢ ١٠
لا يستبان فيه مجمع حجرين و لا ملتقى^٣ صخرتين فهذا عجب . و إن كان
جبل واحد فقبوه الرجال و حذاق الصناع بالمتأقر حتى خرقت تلك
المخارق فان هذا لا عجب .

و بمصر الهرمان^٤ و هي مبنية بالرخام و المرمر ، عرض كل حجر
و طوله ما بين عشرة أذرع إلى ثمانية أذرع ، كل حجر ملتصق إلى ١٥

(١) ما يستأف الكلام في كلا الاصلين بر و كذلك بن .

(٢) ساقطة من بن و مكانها يياض بالأصل .

(٣) في الاصلين : واحد .

(٤) في الاصلين : ملتقا . و بهامش بر : مجالس فرعون .

(٥) في بن : الهرمين . و بهامش بر : الأهرام .

الآخر لا يستين التصاقه إلا لحاذ البصر ، سَمَك كل واحد منها أربعاً ذراع طول في أربعاً ذراع عرض ، فكلما ارتفع رق ، مكتوب عليهما بالقلم المستند كل ١ سحر وكل شيء من الطب ٢ و كل طلسم مكتوب عليها ، إِنَّا بَيْنَاهَا فِي سِتِّ سِنِينَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَهْدِمَهَا فِي سِتِّ سَنَةٍ . فَإِنَّ الْمَدْمَ أَيْسَرُ ٥ من البناء ١ .

فذكر أن بعض ملوك بني العباس قصد هدمها ، فإذا خراج مصر جميعه لا يقوم بهدمها فتركها . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ما قيل فيها إن شاء الله تعالى .

و في واحات مصر حجارة من تناول منها حجراً فحركه فأنما يحرك ١٠ مقلة في جوفها نواة .

تم الجزء الثالث

(١ -) كذا في الأصلين ، وربما كان الأصح صياغة العبارة من جديد على الوجه الآتي : في ست سنين فمن شاء فليهدمها في ستين سنة فإن المدم أيسر من البناء . [فيها] كل سحر وكل شيء من الطب و كل طلسم .
(٢) في ر : الطيب . و صحتها في بن [١٥٧ : ب] كما أوردها بالنص .

خاتمة الطبع

تم بمتة تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء الثالث من كتاب الإلام
 للعلامة محمد بن قاسم بن محمد النورى رحمه الله يوم الاثنين التاسع من شهر
 رمضان المكرم سنة ١٣٩٠ هـ = ٩ نوفمبر سنة ١٩٧٠ م . واعتنى بتصحيحه
 والتعليق عليه الأستاذ الفاضل المستشرق الدكتور عزيز سوربال عليه -
 أبقاء الله للخدمة العلمية . وعنى بتقيقه ومراجعة نسخته راقم هذه الخاتمة
 تحت إدارة الحبيب اللبيب صاحب الفضيلة المدير السيد محماد على العباسى
 عم كرمه الدانى والقاصى .

و فى الختام ندعو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه
 ويرضاه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى
 العظيم . وصلى الله على خير خلقه و نبيه الكريم سيدنا محمد وآله وصحبه
 وسلم أجمعين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد عبد الغفار خان عفى عنه
 (المايجستر - الجامعة العثمانية)
 المصحح بدائرة المعارف العثمانية

593 66
 = - =

* * * * *

DA'IRATU'L-MA'ARIF-IL-OSMANIA PUBLICATIONS
NEW SERIES, No. IX/xiii/iii



KITĀBU'L ILMĀM

BY

Muhammad B. Qāsim al-Nuwairy
(D. after the year 775 A. H./1372 A.D.)

Vol. III

Edited by

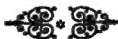
DR. AZIZ SURYAL ATTĪYA^{as}
from the Berlin and Bankipure MSS.

Printed

Under the Auspices of the Government of India

&

Under the Supervision of
Mahamed Ali Abbasi
Director, Da'iratu'l-Ma'arif-il-Osmania



Published by

THE DA'IRATU'L-MA'ARIF-IL-OSMANIA
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU)
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD-7

INDIA

1970 A.D./1390 A.D. ^{Da'iratu'}

